



# الفكر السياسي

مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

تصدر كل ثلاثة أشهر، تعنى بنشر المواد الفكرية والسياسية والاجتماعية والوثائق المتعلقة بذلك

السنة السابعة عشرة / العدد 58 / الربع الثاني للعام 2016 م

## المدير المسؤول د. نضال الصالح

رئيس اتحاد الكتاب العرب

**رئيس التحرير** د. جابر سلمان **مدير التحرير** د. الأرقم الزعبي

**أويننة التحرير**

ميرنا أوغلايان

**هيئة التحرير**

أ. ثابت محمد د. خلف الجراد

د. اسكندر نوqa د. عبد اللطيف عمران

د. مصطفى العبد الله الكفري

## الهيئة الاستشارية

د. تركي صقر د. حسين جمعة  
د. خلف المفتاح د. سهيل عروسي  
د. فايز الصايغ

## التصميم والإخراج

وفاء الساطي

## الاشتراك السنوي

- أعضاء اتحاد الكتاب العرب 400 لس.
- في داخل قطر، للأفراد 600 لس.
- في داخل قطر، للدواوين الرسمية 1600 لس.
- الأقطار العربية، للأفراد 3000 لس أو 200 دولار
- الأقطار العربية، للدواوين الرسمية 10,000 لس أو 250 دولار أمريكي.
- في خارج الوطن العربي، للأفراد 10000 لس أو 300 دولار أمريكي
- خارج الوطن العربي للدواوين الرسمية 15000 لس أو 350 دولار أمريكي

دمشق - أوستراد المزة - صب: 3230

هـ - 6117240 - 6117243

فاكس: 6117244

البريد الإلكتروني لاتحاد الكتاب العرب:

Email: alfikralsiyasi@mail.com

Website: http://www.awu.sy

## **شروط النشر في مجلة الفكر السياسي**

- 1 - أن تتسم الأبحاث والدراسات بالجدة والمنهجية وسلامة اللغة.
- 2 - أن تكون ذات طابع فكري سياسي.
- 3 - ألا يزيد حجم البحث عن ثمانية آلاف كلمة، وتنسقى من ذلك الملفات.
- 4 - أن ترافق بالبحث سيرة وجيبة تتضمن الاسم الثلاثي للباحث.
- 5 - أن يرسل البحث مرفقاً بقرص مدمج (CD) أو عن طريق البريد الإلكتروني للاتحاد أو عن طريق موقع الاتحاد الإلكتروني.
- 6 - أن توضع حواشى البحث ومصادره ومراجعه في نهاية المادة.
- 7 - أن توجه جميع المراسلات باسم رئاسة التحرير.
- 8 - ألا تُردّ المواد التي تلتلقها المجلة إلى أصحابها سواءً نشرت أم لم تنشر.

---

التوزيع في الجمهورية العربية السورية:

المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات

فاكسن: 2122532 / هافت: 2127797 / صب: 12035

ملاحظة: الأبحاث والمقالات المنشورة في المجلة تعبّر عن آراء أصحابها  
وتحتسبها يخضع لاعتبارات فنية.

---

## **في هذا العدد من مجلة الفكر السياسي**

---

### **الافتتاحية**

— مشروع الدولة الوطنية في مواجهة الأطماع الاستعمارية ..... د. جابر ابراهيم سلمان .... 5

### **الدراسات**

— خلايا الإرهاب النائمة ..... هيثم دقاق ..... 11

### **ولف العدد**

#### **" القضية الفلسطينية بعد /68/ عاماً على النكبة "**

— ثمانية وستون عاماً اكتملت من رحلة نضال لم تكتمل ..... محمد إسماعيل حديد .... 25

— سقوط الإنكار الصهيوني للمسؤولية عن النكبة الفلسطينية ..... إبراهيم عبد الكريم ..... 89

— نكبة السياسات .. وسياسة النكبات ..... رافع الساعدي ..... 121

### **نافذة أخيرة**

— الخمر القاتل ..... أ. الأرقم الزعبي ..... 173

**من أقوال السيد الرئيس**

**بشار الأسد**

**رئيس الجمهورية العربية السورية**

**«فلسسطين قضيتنا القومية التي نشأنا وتربيتنا على  
الالتزام بها والإخلاص لها».**

من حديث سيادته لصحيفة امجد  
الأردنية في منتصف أيار عام  
2002 م

## مشروع الدولة الوطنية في مواجهة الأطهاع الاستعمارية

بقلم د. جابر إبراهيم سلمان

ثمة حاملان يتنازعان المشهد السياسي في المنطقة منذ تشكيل مفهوم الدولة الوطنية، هما: الحامل الوطني والحامل القومي اللذان يتحدد بهما الانتماء للوطن أو للآمة، وتكون العووية الوطنية أو القومية.

وقد جاء الحامل القومي مع أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين متقدماً على الحامل الوطني الذي لم تكن معالمه قد تبلورت وأخذت بعدها الحقيقي، ربما لأن سياسة الاستعمار ذات النزعة العنصرية العرقية الفاشية هي التي أيقظت لدى الشعوب المستعمرة الشعور القومي مبكراً، ولكن من دون تعصبٍ أو إقصاء لآخر، وهي التي دفعت بتلك الشعوب للبحث عن مخارج تمكّنها من التفلت من رقبة المستعمر ومن التحرر من ممارساته التعسفية ومن جبروته وسلطوته على رقاب أبناء المنطقة طوال عهودٍ خلت.

ولم يكن من قبيل المصادفة أن تستفاض شعوب المنطقة الخاضعة للاستعمار منذ قرون، وتهبّ من كبوتها هبةً رجلٍ واحدٍ على

مستعمرتها. مُسْتَلِي إرادتها. المُتَحَكِّمِين بِمَقْدَرَاتِ أَبْنَائِهَا وَالْمُتَلَاعِبِين بِمَصَائِرِهَا، مُتَخَذِّهَا مِنَ الْحَامِلِ الْقَوْمِيِّ وَالْاِنْتِمَاء لِلْأَمْمَةِ عَامِلٌ جَذِيرٌ بِاستقطابِ لِأَجِيَالٍ بِأَكْمَلِهَا كَيْ تَوَحَّدَ صَفَوْفَهَا وَتَحْزَمَ أَمْرَهَا لِلتَّخلُصِ مِنْ جَوْرِ الْمُسْتَعْمِرِين وَهِيمَنَتِهِمْ، لِيَكُونَ ذَلِكَ بِدَايَةً لِتَشَكُّلِ الدُّولَةِ الْوَطَنِيَّةِ بِمَقْوِمَاتِهَا الْعَصْرِيَّةِ الْحَضَارِيَّةِ الَّتِي تَبَيَّنَ اِحْتِيَاجَاتِ مَوَاطِنِيهَا فِي تَحْقِيقِ حَيَاةِ حَرَةِ كَرِيمَةٍ، تُسْهِمُ فِي خَرْوجِهِمْ مِنَ النَّفَقِ الظَّلْمِيِّ وَالْتَّبعِيَّةِ الْاسْتِعْمَارِيَّةِ وَالْاِنْطِلَاقِ بِهِمْ إِلَى مَعَارِجِ الْعَدْلَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، بِمَا يُوْفِرُ سُبُّلَ النَّمْوِ وَالتَّقدِيمِ وَالْاِزْدَهَارِ لِلْوَطَنِ بِرَمَّتِهِ.

لقد اكتشفت قوى اليمينة الاستعمارية فيما بعد كَمْ هي مغفلةً عندما سمحت للشعوب التي استعمرتها بإقامة كياناتها الوطنية، متوهّمةً أن تلك الشعوب عاجزةً عن تنظيم شؤونها الذاتية وإدارتها في إطار منظومة حكمٍ وطنيٍّ مؤسساتية تحملُ مقوِّمات الدولة العصرية القادرة على النَّهوض والمواكبة، بعيداً عن أي إملاءات خارجية أو عن أي وصايةٍ من أحد أو تبعيةٍ لأحد..

ولعل ما يؤكدُ حقيقةَ ذلك الوهم الذي رانَ على عقول قادة الغرب الاستعماري، وسيطرَ على أفكارهم ما صرَّحَ به أحد قادة البيت الأبيض بعد الاحتلال الأنكلو-أمريكي للعراق في آذار من عام 2003م، مبيِّناً أنَّ الغرب ارتكب خطيئةً كبرى بعد الحرب العالمية الثانية عندما أعطى الشعوب التي استعمرها استقلالها، وسمح لها بإقامة منظومة حكمٍ مستقلةٍ على أراضيها، حيث قال: ((إن الخطيئة الكبيرة التي ارتكبها الغرب بعد الحرب العالمية الثانية السماح لشعوب المنطقة ببناء الدولة الوطنية)).

وما يمكن استخلاصُه من القول السابق هو أنَّ فيه دعوةً صريحةً لِهدم بنية الدولة الوطنية في المناطق التي استهدفتها أمريكا منذ أحداث

الحادي عشر من أيلول عام 2001م، وهو في جوهره تعبيرٌ عن مشروعها المعروف بمشروع الشرق الأوسط الكبير الذي طالما سوق له قادتها، وعملوا على ترجمته ونقل بنوده من حيز التطبيق، فمن أفغانستان عام 2001م، إلى العراق عام 2003م، فلبنان عام 2006م الذي شهد تعرّض مخاض مشروعهم المستسخ بطبعته الحديثة باسم ((مشروع الشرق الأوسط الجديد)); لتدرج كُرة النار بعدها إلى تونس ولبيبا ومصر وقبل ذلك إلى اليمن، وصولاً إلى سورية قلعة المقاومة وخط الدفاع الأول عن الأمة وعن قضياتها العادلة..، سورية التي كانت وستبقى ملتقى حضارات العالم وقبيلة أحراره، وقطب الرحى المسكون بجازية الانتقام للأرض وللوطن، والمتجذر في عمق التاريخ، ورمز الوحدة الوطنية التي تعد بتوعها الجيو - سياسي والثقافي والديمغرافي في نقطة قوتها، وعاملًا مهمًا من عوامل استمرار صمودها في وجه زنادقة العصر.. سماحة الحروب وتُجّار الدماء، ولأنها كذلك تكالبت عليها قوى الشر والعدوان من كلّ حدبٍ وصوبٍ، لإضعافها أو لتمهيداً لإركاعها وجعلها لقمة سائفة يسهل ابتلاعها ومن ثم هضمها..

على أن السؤال الذي يطرح نفسه: لماذا روج الغرب في البداية لمفهوم الدولة الوطنية؟ هل كان ذلك حرصاً على شعوب المنطقة أو أن ثمة شيئاً آخر يؤسس له هذا الغرب المعروف بتاريخه الاستعماري؟!

بالتأكيد لم يكن ترويج الغرب لمفهوم الدولة الوطنية من باب الحرث على شعوب المنطقة بل جاء في إطار تكريس تجزئة الأمة ليكون بديلاً عن مشروع وحدة الأمة ذي البُعد القومي الذي يشكل ببنائه الجغرافية والديمغرافية والاقتصادية والثقافية خطراً على مصالح الدول الاستعمارية وعلى أهدافها في المنطقة.. فأي منظومة حكم لشعب المنطقة

---

على أساس الانتماء للأمة يُعدُّ تحصيناً قوياً يحول دون تمرير المخططات الاستعمارية، فضلاً عن أن ذلك يهدّد ذراعَ الاستعمار الغربي في المنطقة المتمثل بالكيان الصهيوني وبأذياله من العملاء والمأجورين في الداخل ممن تاجروا بدماء الأبرياء، وتحولوا إلى ورقة ضغط على شعوب المنطقة وعلى حكوماتها الوطنية.

كما أن مشروع الدولة الوطنية العصرية بمفهومه السيادي وببعدِه الحضاري يشكلُ هو الآخر عائقاً أمام مخططات دول الغرب الاستعماري، وهو ما لم تكن تقبل تلك الدول بتعيم نسخته، لأنَّه يتعارض مع أطماعها الاستعمارية في إبقاء شعوب المنطقة أسيرةً أهواها وتابعاً لسياساتها التي تتظر بعين واحدة، ولا ترى الأشياء إلا من زاوية مصالحها.

وقد نجحت سورية الدولة الوطنية العصرية في قطع الطريق على مخططات الأعداء، وهياليوم تقدمً مواكب الشهداء كوكبة تلو كوكبة، وسيسجل التاريخ أنَّ وطنناً يستبسِل أبناؤه في الدفاع عن ترابه هو منتصرٌ لا محالة.

# **الدراسات**



## خلايا الإرهاب النائمة

هيثم دقاد

بعض الناس يستهويهم العمل في الظلام أو في الظل بعيداً عن أعين الرقباء لخروجهم عن عادات وتقالييد مجتمعهم أو لكونهم منبودين فيه، ويرون أنفسهم في محيط من الأعداء لأنهم يعملون ضده. وبعد الأخطر منهم من يعيشون الحياة العادلة بين الناس في النور، ويمارسون عملهم في مجتمعهم بشكل عادي، وهم يميلون إلى ممارسة العنف لحماية أنفسهم ومعاداة الآخرين.

إن إيديولوجية التطرف يجعلهم يميلون إلى العنف، خاصة حينما تتم مواجهتهم بالعنف أو حينما يصطدمون في مواجهة إيديولوجيات أخرى، أو لفرض إيديولوجيتهم على الآخرين فيكون العنف الوسيلة الوحيدة في عملهم.

وقد بدأ العنف ينتشر عالمياً بسرعة، نتيجة تطور أساليب استخدام تقنية المعلومات والآليات تصديرها ودعمها من جهات متقدمة وممولة يطلق عليها أمراء الحرب. وقد استفادت المنظمات الدينية الأصولية السلفية المتطرفة من هذه التقنيات لإيجاد دوائر صراع غير متكافئة أريد للجميع الانغماض فيها، يدفعون بها ثمناً باهظاً من حياتهم وأمنهم، وهي في الحقيقة نتيجة طموحات شخصية مشوهة غير مسؤولة من أمراء الحرب.

يُطلق مصطلح "المنظمات السرية" (Secret organizations) أو "الخلايا النائمة" (Sleeper Cells) أو "الطابور الخامس" (Fifth column)<sup>(1)</sup> في الإطار العام على مجموعة من الأفراد الذين يخفون أداءهم وأنشطتهم الداخلية، ويعملون وفق مفاهيم خاصة واتصالات معينة لتحقيق أهدافهم ومطامعهم.

ويمكن تعريف **الخلايا النائمة** بأنها مجموعة متخفيّة من الأفراد تبدو وكأنها خاملة نائمة لا نشاط لها في المجتمع الذي تعيش فيه، لكنها وب مجرد أن تتلقى الإشارة المتفق عليها من القيادة التي تحكم بها، سواء من داخل المجتمع أم من خارجه، تقيق من نومها المصط manh، وتظهر على حقيقتها لتؤدي مهمتها المتفق عليها، سواء بالتجسس أم بالتخريب أو بالقتل وتنفيذ العمليات الإرهابية الشنيعة. والخلايا النائمة تعمل ضد الحكومات التي تعيش تحت سلطتها، وبدلًا من أن تعارضها بالعلن وبالطرق المشروعة، تتجسس عليها وترصدّها وتتبع جميع الوسائل غير المشروعة لتنفيذ مهامها، حتى لو جرها الحال إلى التعامل مع الأعداء في الخارج للانقضاض عليها. والخلايا النائمة مصطلح أمني استخدم أيام الحرب الباردة يشير إلى جماعات تجسسية صغيرة تزرع خلف خطوط العدو لتتلقى أخباره أو تقوم بأعمال تخريبية أو تبث الشائعات، وهي إما فرد أو مجموعة أفراد متخفين غير منظوريين، يجمعهم توجه وعقيدة وشعور واحد فيما بينهم ضد الآخر، ويتم تعزيز توجههم الفكري والعقائدي بالأساليب التقنية أو المتبعة. وتعمل هذه الخلايا بعيداً عن مرجعياتها مما يتيح لها التخفي والاختباء، وتكون لها حرية اتخاذ القرار في بعض الأحيان.

وقد اعتمدت الجماعات الإرهابية على **الخلايا الكامنة أو النائمة** في المناطق التي سيتم التحرك فيها. لا يوجد لها هيكل تنظيمي، فهي تشكل وحدات منفصلة عن بعضها تتوزع في عدة مناطق حيوية، لذلك فإن التوصل إلى خيط خلية ما، لا يفيد في كشف بقية الخلايا. غالباً ما تكون الخلية وحدة تنظيمية صغيرة مستقلة عن الأخرى لضمان عدم كشف الخلايا الأخرى. وقد تكون الخلية من عناصر مواطني الدولة نفسها الأصليين الذين يجندون تحت إغراءات مالية أو يوعدون بامتيازات ومناصب لاحقة، أو من مواطني الدولة التي تحرّكهم وتجندهم إما لنوازع دينية أو مذهبية أو عنصرية أو استعمارية.

تظل الخلايا النائمة في حالة كمون مؤقت تترقب هدفها وتحطّط له بانتظار نوم الأجهزة الأمنية أو بانتظار ضعفها أو ضعف الخصوم المنافسين لها لستيقظ وتعمل على توجيه ضربتها، وقد تستمر في عملها أو تعود إلى حالة الكمون كما كانت، وهي بهذا الشكل تمثل طابوراً مندساً بين الجماهير وفي مفاصل المجتمع الإنساني للتعبئة ضد الدولة. وعليه لا يمكن لأحد أن يتبع بالزمان والمكان الذي تستيقظ فيه لتشتعل بعمل إرهابي ما، وهذا ما يساعدها على الظهور بأشكال

وأماكن غير متوقعة لتوجيهه ضربة مجهرية مفاجئة و فاسية، ويجب الانتباه إلى أن صمت وسكون هذه الخلايا لا يعني زوال تأثيرها وخطرها.

تركز هذه الخلايا على الفئات العمرية الصغيرة والأقل علمًا لزج عناصرها في تنظيمات التطرف ضمن خلاليها النائمة لوقت الطلب، كونهم لا يستطيعون الصمود أمام وسائل الإقناع الموجهة إليهم. وكذلك على المثقفين السطحيين من الجيل الشاب الذين يسودهم القلق والعداء لمجتمعهم بسبب عدم قدرتهم على التماض في ميدان العلم وفشلهم في ميدان العمل، فيميلون إلى العزلة ومن ثم إلى العدوانية ضد السلطة أو الآخر.

إن هذه الخلايا أشد فتكاً من القوات العسكرية كونها قوات سرية متخفية بملابس مدنية من الصعب معرفة عددها أو عدتها، وهي تتحرك عادة في الجبهات الداخلية، في حين أن القوات العسكرية معروفة العدد والعدة تجاهه الأعداء في جهات القتال الخارجية.

خطورة هذه الخلايا تكمن في أنها ليست نائمة كما يشير المصطلح أو يتصور بعضهم وإنما هي يقطنة ومحترسة تنتظر الإشارة لتقوم بتنفيذ المهام الموكلة إليها، وهي لا تتورع عن تفخيم أشد الأعمال الإرهابية إجراماً من دون أن يمنعها رادع ديني أو أخلاقي أو إنساني، إنها ذات ضمائر ميتة. ما يقتضي أن تأخذ الحكومات إجراءات قوية لكشفها وتجريدها من أسلحتها، وإيقاف نشاطاتها قبل أن تأذف ساعة تحرّكها.

**تنوع هذه الخلايا على عدة صنوف** بحسب النشاطات المكلفة بها، فمنها استخباري يقوم بجمع المعلومات المطلوبة عن البلد الذي تنتشر فيه، أو ينشر الشائعات الكفيلة بزعزعة الوضع الداخلي، ومنها لها مهمات قتالية، تقوم بعمليات إرهابية من تفجير وقتل واغتيالات ومساعدة القوات المعادية. إجمالاً تكلف الخلايا بعدة واجبات الغرض منها إثارة القلاقل والفتن وزعزعة الأمن والاستقرار والقيام بأعمال عنف منتظمة، متبعة أسلوب الذئاب المنفردة في عدوانها.

وغالباً ما تنتشر هذه الخلايا في مناطق التوترات السياسية، موزعة على تجمعات سكنية مختلفة ليسهل عليها العمل من خلالها من دون أن يشعر بها أحد. وأحياناً تكون هذه الخلايا تحت أغطية مختلفة كالمؤسسات الدينية والمراكز الخيرية والصحية والتجارية والطلابية والمراكز الثقافية والمدارس الأجنبية أو التبشيرية ومؤسسات المجتمع المدني، وحتى مراكز الأبحاث والدراسات وغيرها.

إن بعضاً من المحللين قالوا: إن الخلايا النائمة داخل المدن هي التي كانت وراء نجاح التنظيمات الإرهابية في اقتحامها وليس بقوتها العسكرية، لذلك تعد الخلايا النائمة أبرز ما يثير القلق، لأن عناصرها يعملون في الخفاء على مساعدة المسلحين، ويكونون دليلاً لهم عند الاقتحام وتثبيت الاحتلال، بينما هم في العلن يمارسون أعمالاً عادلة كالنجارة والحدادة والبناء... ولهذا السبب يجب الحذر كثيراً من أي عائلة أو جماعة جديدة تسكن في مناطق التجمعات السكنية إلى حين التعرف عليها أكثر.

هذا وتلعب سفارات وقنصليات وممثليات الدول الداعمة لهذه الخلايا في مد الجسور إليها لدعمها في تدعيم الأنشطة المعادية المعارضة، واستقطاب قادة الرأي من بعض المثقفين والكتاب والصحفيين والفنانين ورجال الأعمال ليكونوا قوة العمل على الأرض، كما تقوم بمراقبة الحركات الدينية بأنواعها لاستغلالها وتنميتها أو تصنيعها، سواء كانت خلاياها ظاهرة أم مخفية، وخاصة التكفيرية المتعصبة منها ورکوب موجتها، ومتتابعة تسليحها، وإنشاء أو كار لها، وتأمين مستلزماتها لستخدامها عند الحاجة. وتتجند المرتزقة للقيام بالأعمال الإرهابية، وتوجه المظاهرات والمسيرات المناوئة للسلطة، وتُذكّي الحروب الأهلية وأعمال التصفية الجسدية والاعتقالات والخطف والتعديب وانتزاع الاعترافات، والتخطيط للقيام بانقلابات عسكرية أو سياسية، وترسيخ ثقافة الهزيمة في عقل الشعب العربي، وقتل الأمل ونشر ثقافة الخنوع والخضوع.

ولا تتورع في استخدام الوسائل "التكنولوجيا" المتقدمة للتتصت والمراقبة للحصول على المعلومات، وخاصة الأمنية منها، باستخدام الأقمار الصناعية التجسسية في تعقب الاتصالات بأنواعها وإرسالها.

**توظيف أو شراء بعض وسائل الإعلام الفضائية المنظورة والمقرؤة والمسمعة** كخلايا نائمة تتخفى بداية بتوجه وطني معتمد حتى تكسب ثقة الجمهور، وتسرّع مراسليها لجمع المعلومات وتزييفها وفق أجندتها، لترويجها من خلال ماكينتها الإعلامية، هدفها من ذلك تخريب الوعي العربي وتهشيم الثقافة المحلية لتمزيق النسيج الاجتماعي دينياً وطائفياً، وزعزعة الثقة في المنظومة الثقافية العربية والنظام التربوي لإحداث فراغ فيه من دون طرح البديل، وإطلاق التسميات المختلفة على من تعاديهم لتكون رمزاً لأجندتها (مثل: محور الشر، أو غير ذلك، والدعوة للتدخل الإنساني أو المطالبة بحظر جوي أو تسمية المعارضة بالمعتدلة وهي التي تقتل وتنهب وتسرق...)، وقد كانت محطة الجزيرة والعربية أكبر خلية إعلامية

نائمتين، استيقظتا للترويج لما أطلق عليه الربيع العربي، ولتغرساً أنبيابهما في عنق الأمة العربية، وتدعوا إلى الطائفية والإقليمية، متباكيتين على القتل والجرح والمشردin والنازحين، وهم اللتان أوصلتهما إلى ذلك من خلال إعلامهما التحريري. وأقصى ما استطاعت أن تفعلاه هو الدفع بالخلايا النائمة إلى استغلال بعض المطالب الشعبية وتصويرها على أنها حركات احتجاجية بعدد من المدن، وأنها حركات بالآلاف من خلال تزوير الصور، وفيه كثير من الأحيان كان يبث خبر المظاهرات المفبركة قبل قيامها، وعندما لم تنجح خططهم، دفعوا بالخلايا القتالية النائمة بأموال الداعمين من أمراء الحرب، للتشنيع بالنظام، وبيع مشاهد الدماء للعالم لترويج إعلامهم.

**مراكز الأبحاث والدراسات المدعومة من الخارج التي تتخصص ظاهرياً في البحث بقضايا علمية واجتماعية واقتصادية، يتم فيها جمع المعلومات بهدف تشریحها وتحليلها لمعرفة نقاط القوة والضعف فيها، واستشراف الأزمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وشيكة الواقع مرحلياً ومستقبلاً، واقتراح الحلول.**

تستغل هذه الدراسات لتكون دليلاً عمل مستقبلياً لهم للتأثير على القدرة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وعلى خططها التنموية ومعدلات النمو الاقتصادي، بفرض الغزو الاقتصادي والثقافي والعقائدي تدريجياً ولفسل العقول وهيكاتها.

**تشكل الشبكة العنكبوتية ألغاماً** يستفيد منها الإرهابيون ومنظمات التطرف لنشر أفكارهم وأدبياتهم ولتجنيد المتطوعين والمقاتلين وتدريبهم، واستطاعت في الوقت نفسه من تجنب كشف الشخصيات القيادية الفاعلة في التنظيم، وبالتالي تعرّضها للخطر، وهي بهذا الشكل تشكل خلايا نائمة تحركها عند الحاجة عن بعد وفي الوقت الذي تريد.

**واهتمام بعض المنظمات بالمرأة كونها محور الحياة الاجتماعية، والوصول إليها يعني كسبها، وبالتالي كسب الأسرة بكمالها لما لها من أثر بالغ على أطفالها، من أجل ذلك تشتمل بعض الجمعيات لإنشاء النوادي والمعاهد التي تهتم بالمرأة خاصة. أما الخلايا الإرهابية فقد استخدمت النساء والجنس وغير ذلك لجمع المعلومات واصطياد العملاء واستقطابهم وابتزازهم ومن ثم تجنيدهم، أو من خلال إغرائهم بما يسمونه جهاد النكاح. وفي تقرير لمفوضية الأمم المتحدة السامية لشؤون اللاجئين وصندوق الأمم المتحدة للسكان ومفوضية اللاجئين النسائية جاء فيه:**

---

"خلصت دراسة ميدانية إلى أن النساء على وجه الخصوص عرضة للعنف الجنسي وأشكال أخرى من الاعتداء" لدمير الأسرة من خلال استغلال حاجاتهن الغذائية أو الاجتماعية أو الطبية لتقديم خدمات جنسية - رضاء أو قهراً - ولتحصيل مبالغ تحتاج إليها لمواصلة الحياة.

**والملاجئ والمعسكرات** التي أنشئت لإيواء المهاجرين اللاجئين تعمل على تجنيد وتغيير ولائهم بشكل غير مباشر مستغلين حاجاتهم الاجتماعية لإيوائهم وإطعامهم وإكثارهم والعناية بالمرضى منهم. أو بشكل مباشر بالإقناع أو بالتهديد أو بالتعليم.

"ويمكن إجمال نشاط خلايا الإرهاب النائمة بالآتي":<sup>(2)</sup>

- 1 ضرب المصالح الاستراتيجية الحيوية في البلد الذي تخفي فيه كالمشاريع الصناعية الكبرى والمطارات والموانئ ومحطات القطارات والفنادق الكبرى والمناطق السياحية.
- 2 القيام بتجهيزات في مناطق مكتظة بالسكان لإثارة الفزع والملع بين السكان وتحفيزهم على الهجرة من مناطقهم أو الركون في مناطق سكناهم من دون حركة.
- 3 تحريض الأقليات الإثنية والعنصرية والطائفية الموالية لدولة الخلايا ضد حكومتها المركزية، ما يساعد على فتح جبهة داخلية ترهق تلك الحكومة وتستنزف إمكاناتها.
- 4 القيام بحملة من التصفيات والاغتيالات ضد أركان الدولة التي تعمل بها الخلايا واستهداف كبار المسؤولين وال العسكريين والعلماء والشخصيات المؤثرة أو المناوئة للدولة المجندة لهذه الخلايا.
- 5 نشر الشائعات والبلاغات الكاذبة لإرباك القوات الأمنية وتشتيت قوتها وزعزعة الأمن الداخلي، ونشر إشاعات حول شح المواد المعيشية الأساسية كي يتدفع الناس على تخزينها وبالتالي خلق شح فيها.
- 6 ضرب محطات الوقود والمنشآت الاقتصادية ومحطات الماء والكهرباء لخلق أزمات اقتصادية تربك الدولة، وتشير سخط الشعب عليها.
- 7 تنظيم التظاهرات والمسيرات الاحتجاجية ضد السلطات المحلية ورفع شعارات لنصرة الدولة المُجَنَّدة للخلايا.

إن كل جماعة متطرفة فصلت فتاوى على قياسها تختزل في داخلها تيارات ومذاهب تتقاطع مع بعضها ومع الآخرين، حتى وصل الأمر فيما بينها إلى العداوة وإلى النزاعات وشن الحروب. ويدفع إلى ذلك بعض المتفذين أو المرموقين من أمراء الحرب الذين يرون أن أقصر الطرق لتحقيق غاياتهم هو الدين الذي يغزو القلوب، وبالتالي يلمع صورهم على أنهم المدافعون عنه، وأن الآخرين متخاذلون أو خارجون عنه.

والسؤال المطروح: لماذا تُشوّهُ الخليّا الإسلامية صورة الإسلام المتسامح الذي لم يسمح يوماً باضطهاد الآخرين، فأليسَوه صفة الإرهاب لضرره من الداخل ولزعزعه العالمين: العربي والإسلامي وتقسيمهما، مستخدمين الخليّا الإرهابية التي تُكفر وتقتل وتهجّر وتسبّي النساء في الوقت الذي يشهد فيه التاريخ أن أبناء المنطقة احتضنوا جميع من تعرّضوا للاضطهاد في العالم حين احتلت بلدانهم أو مررت أقطارهم بأزمات؟ إذ استقبلوهم أحسن استقبال وأكرموا ضيافتهم، حتى أصبحوا جزءاً من مجتمعاتهم. وجبل قاسيون في دمشق شاهد على ذلك، حيث يضم فيه أحياً أطلق عليها اسم حي المهاجرين وهي الأكراد والشركسية والتغالبة، وهي المغاربة في وسط دمشق، وهي فلسطين واليرموك، واسم الجماعات التي وفدت إليه، والتي يستدل عليها حالياً بأسماء العائلات (بيت الجزائري، المصري، السعودي، الهندي، الشيرازي، أصفهاني، داغستانى، ألبانى، سمرقندى، بخارى..الخ).

والسؤال الآخر: لماذا لا يوجه الإسلاميون بنادقهم نحو العدو الصهيوني بدلاً عن توجيهها إلى إخوانهم في الوطن؟ أو لماذا لا يعلم الإسلاميون أبناءهم مقاتلة العدو الصهيوني من دون التعرض إلى المدنيين الأبرياء؟ إنهم بسلوكهم ينفذون ما دعا إليه مفكرو الصهيونية والغرب من ضرورة إعادة إحياء الصراعات المذهبية والعرقية والقبلية بين المسلمين من جديد، بعد أن عفا عليها الزمن وطوى ملفها الناشر. يقول ديفيد بن جوريون أول رئيس وزراء للكيان الصهيوني: "إن عظمة إسرائيل ليست في قبالتها الذرية ولا في ترسانتها المسلحة، ولكن في العمل على تفتت ثلاثة دول، هي: العراق وسوريا ومصر، إلى دوليات متاحرة على أساس طائفية ودينية، ونجاحنا في هذا الأمر لا يعتمد على ذكائنا بقدر ما يعتمد على جهل الطرف الآخر"، وهذه الدول تشكل مثلث القوة الذي كان يقف بالمرصاد لمطامع الكيان الصهيوني.

---

بالنتيجة إنها إشعال حرب متنقلة فجرتها خلايا نائمة بين العرب المسلمين أنفسهم، عزّزها بشكل مستمر الغرب المتصهين، وتبنتها الرجعية العربية، لتفرق شعوبها في بحيرة من الدم، والمعروف أن الدم يزيد من حجم الصراع، والعنف لا يغسله إلا عنف مضاد.. وبالتالي يزداد حجم الصراع امتداداً وقوفاً، وتذهب العقول لتحل محلّها الغرائز الحيوانية، ويُساق الجميع كقطيع من الأغنام إلى الذبح وهم لا يدرّون أن نهايّتهم ستكون إلى المسلح.

**إن مركزية الإرهاب ومحاربته بأشكاله المختلفة شأن فكري أولاً، لا يهزم الإرهاب بقوة الجيوش والأسلحة فقط بل بالثقافة والفكر واكتساب العقول والقلوب، فال الفكر هو القاعدة الرئيسة التي على أساسها يتم التجنيد وجمع المال ووضع خطط التخريب وتخريجها. وعليه فإن محاربة الإرهاب تبدأ من تجفيف منابعه الفكرية والعقائدية في بلد نشوئه الأصلي، ثم تأتي بعد ذلك محاربته في الأرض التي انتشر فيها بالتعاون مع أصحاب الأرض نفسها، لأنها أدرى بشعوبها، ولا فائدة من قتالهم في الأرض التي حلّ فيها الإرهاب إذا كان المنبع ما يزال يضخ من يسمّونهم بـ "الجهاديين". وفي المستقبل القريب أو البعيد سيعود هؤلاء إلى بلدانهم يحملون الخبرة القتالية، فضلاً عن فكرهم التكفيري لكل من لا يعتقد بما يعتقدون.**

كما أنَّ تبرئة الجميع من تهمة الإرهاب هي مسألة عبّشية عقيمة، فهناك تيارات وجماعات ودول فاعلة في العالم تستخدم الدين لتحقيق أغراضها الدينية، وتبني العنف وسيلة لتحقيق أهدافها، والمدعية للدين منها تستخدم الموروث الديني مظلة لشرعنة أعمالها وتجييش الرأي العام لصالحها. وعليه فإن الإرهاب والسلوك العنفي يتخطى كل الحواجز ولا علاقة له بالدين إلا بالقدر الذي يتم به تسييسه.

إن الغرب يحمل الإسلام مسؤولية بعض أتباعه المتطرفين الذين تباهم بعض أمراء الحرب لتحقيق طموحاتهم الخاصة، مستغلين اسم الدين والدين منهم براء.. فالإرهاب عمل بشري مارسه الإنسان منذ بداية الخلقة، وكل الأعمال الإرهابية التي مورست باسم الدين لم تستند في شرعيتها إلى الدين بل مثلث المصالح الخاصة للذين أرادوا السيطرة على الآخرين باسم الدين.

وهذا التطرف قد يعبر عن نفسه أيضاً في صفوف جماعات اليسار الطفولي، كما أنه قد يعلن عن ذاته في صفوف الجماعات اليمينية أيضاً. ولعل جماعة الألوية الحمراء الإيطالية الماركسية التي قامت في السبعينيات بحوادث إرهابية متعددة تعد

نموذجًا للتطرف اليساري، في حين أن جماعة **كوكلوكس كلان العنصرية** في أمريكا والتي تشكلت أساساً للاحقة السود تعد مثلاً للتطرف اليميني<sup>(3)</sup>. ومنظمة إيتا الانفصالية في إسبانيا، وجماعة "مجاهدو الهند" الإرهابية التي تبنت مسؤولية سلسلة من التفجيرات في مدن نيودلهي وجايپور وأحمد آباد.

يصر أصحاب الفكر الظلامي على أن يخطفوا التراث الذي ينتقونه، ويجعلوه خاصاً بهم لا يشاركون به أحد، وأن يمنعوا مريديهم في خلائهم من التفكير أو التعرف على مصادر قراءة أخرى غير ما يقررونه عليهم، أو أن يفكروا مستقلين، أو يتحدثوا مع أناسٍ يُعدونهم ضالين.. هكذا يعزلون الشباب عن المجتمع عزلاً نهائياً، فيكونون مرجعهم وفكرهم أحادي الاتجاه، له طريق واحد لا يقبل المناقشة فيه ولا رجعة عنه. هذا التيار الفكري الذي يغذى عقول الشباب ويجرفهم باتجاه التشدد التخديري واغتيال عقولهم ثم باتجاه الإرهاب، يدمر جمالية الحياة والطبيعة والإنسانية والطفولة، ويلغي الحب والتسامح والسلام بين الناس.. ليستبدلها برهبة الموت والتربوخ والدم وممارسة كل أنواع القيم التي تحرمها الإنسانية... فتصبح الإرهابُ قريئَةً أمّة التسامح والتخلُّف صفةً أمّة العلم والعلماء، والشرّ بصمةً خيراً مأمةً أخرجت للناس.

**السؤال: كيف يمكن أن تُحصنُ الجيل ونتأكد من عدم انجراوه للغلو؟**  
بالطبع ليس هناك إجابة عن هذه المعادلة غير التعليم المفتوح، والقدر الذي يُخرج من بين دفتيه من خلال المعرفة والمهارة أنساناً قادرin على استخدام عقولهم قبل عواطفهم، هذه العملية التصحيحية هي في الحقيقة إعادة النظر في المفاهيم والفكر وتوقيف هذا العبث بالعقل.

انطلاقاً مما سبق، وبناء على إرادة وطنية لإشادة تقاليد مواطنة صالحة وإرساء قواعد حياة مشتركة في إطار دولة يحكمها القانون لابد من دراسة هذه الظاهرة ووضع استراتيجيات مواجهتها بـ:

- دراسة خريطة التوتر الديني بحسب مناطقه ورصد بؤرها لمعرفة أسباب حدوثها واحتمالات تفجر خلاياها النائمة، واقتراح آليات المواجهة، باعتبار أن ليس كل المناطق تشهد توتراً دينياً، وبعضها يرتفع فيه مؤشر السخونة الطائفية أو الدينية أو القومية. وبعضها الآخر تسوده علاقات هادئة من الود والتعاون، وبعضها مرشح للتوتر في حال تشويط عوامل الاختلاف الكامنة فيه وتحرك خلاياه النائمة.

- رصد مظاهر التمييز الاجتماعي الذي قد يؤدي إلى توترات ومشاحنات، سواء الإفراط في استخدام الرموز الدينية أو الاقتصادية في غير محلها أم في ترويج آراء وفتاوي تسبب الجدل والفرق نتيجة لحالة التدين الشكلي أو المنحرف.
- وتحقق هذه الخريطة مجموعة من الأهداف أهمها: الوقوف على الأسباب الحقيقة التي تسببت أو تسبب في إشعال الخلافات الدينية أو الطائفية أو القومية.
- رصد الخطابات المتطرفة في الإعلام التي قد تسهم في إحياء أو تأجيج الصراع وعدم الاكتفاء بنقدتها، بل دراستها وتشريحها وما ينتظرها من تطوير لتحديد كيفية التعامل معها واستشراف الحلول العملية التي يمكن الأخذ بها.
- تعريف مخططات الإرهابيين الذين يبدون سخطهم السياسي على سياسات الدول ودكتاتورياتها ليمارسوا هم سياسة ديكاتورية وقمعية وبغضها أشدّ بمجتمعاتهم الإنسانية.
- الانطلاق في التعامل مع هذا الملف من معلومات موثقة وليس على اجتهادات أو معلومات قديمة يمكن أن تكون مشوهة يشوبها القصور أو تغيرت معطياتها مع الزمن أو متخيزة لطرف أو آخر.
- إن إعطاء علماء الدين الكبار المتورطين دوراً في الرد على السلفيين وكشف انحرافهم يُعدُّ صمام الأمان والسد الضخم ضد الأفكار المنحرفة، فهم الذين تمرسوا في العلم والدعوة والحكمة، ومررت بهم الفتن وخبروا الأحداث، فلا تستفزهم الأقاويل، ولا تستخفهم المتشابهات.
- ربط الشباب برموز دعوية وعلمية مع أكابر العلماء يُعد خطوة هامة، صحيح أن جميع الدعاة وطلبة العلم لهم قدرهم ومكانتهم، لكن في المسائل العامة والكبيرة هذه لا تؤخذ إلا من أكابر أهل العلم، ومن لهم دور مهم في توعية المسلمين بموقف الإسلام الرافض للإرهاب والعنف بصورة وأشكاله كافة، وتفعيل دور المفكرين والمثقفين والعارفين ببيوطن الأمور، على أن يتحملوا مسؤولياتهم بدرجة أكبر لدعم دور رجال الدين في كشف حقيقة الأمور؛ لأن هدف البيانات كلها هو تربية التربية الروحية للإنسان وجعله مفكراً روحاً متحكماً ذاته، ناضجاً عن نفسه الجهل والأناانية والخوف، مسلحاً بالعلم ليتوصل إلى معرفة الله الحق.
- تربية الأجيال على القيم الوطنية والقومية والتذكير بها، وتنمية الأخلاق لإيجاد الإنسان القدوة الذي يعزز هذا التوجه على الصعيد الفردي والجماعي، والمؤسسات التعليمية تحمل مسؤولية جسمية في تحصين ووقاية الشباب من أي

انحراف فكري باتجاه الغلو والتطرف، من خلال الحوار مع الطلاب وفتح المجال أمامهم للتعبير عن آرائهم بالوسائل كافة وفي مختلف الأنشطة التعليمية. والابتعاد عن أسلوب التقين الذي لا يعتمد على الفهم والحوار والنقد، بل يؤدي إلى صياغة العقل الاتباعي وليس الإبداعي، الذي يمكن أن يُسرِّقه الآخر في غياب المحاكمة العقلية.

- قيام الجامعات ومراكز الأبحاث بإجراء دراسات علمية ميدانية لجميع جوانب ظاهرة التطرف والإرهاب، بدءاً من البيئات الاجتماعية التي أفرزت عناصر التنظيمات والخلايا الإرهابية وأحوال أسرهم من حيث المستوى التعليمي والثقافي والدخل المالي وصولاً إلى تحليل آراء المتطرفين أنفسهم للوقوف على جوانب الخلل في فهمنهم، وتحليل نتائج هذه الدراسات على أيدي علماء الدين والتربويين وعلماء النفس والاجتماع والباحثين من جميع جوانب الظاهرة، واقتراح الآليات الفاعلة للمواجهة.
- معالجة الفقر والبطالة فإنهما عاملان مهمان يؤديان إلى الإرهاب، من خلال التنمية الاقتصادية، وإيجاد فرص عمل للشباب لكتسبيهم، وقطع الطريق على المنظمات الإرهابية التي تستغل بطالتهم وفقرهم لتجنيدهم لصالحها.
- إعطاء الحرية الكاملة في إبداء الرأي لأي مكون في المجتمع والابتعاد عن التهميش الذي يُعدُّ استفزازاً للفرد والجماعة المهمشة، وإجراء حوار جدي مؤسَّسٍ على الاحترام المتبادل، والسماح لهم بالتعبير عن آرائهم ومعاناتهم ومطالبهم، بعيداً عن العنف في صدهم، ما يقلل أو يتفادى الصدام، مع الحرص على الأولويات الوطنية واعتماد مبدأ النقد الذاتي مهما كان صعباً، فالوطن غال وأبناؤه أغلى، مع إبراز أهمية الشفاء الكلي للمجتمع، ومشاركة المواطنين جميعاً بحرية في إعادة بناء الوطن وإبداء الرأي في الدفاع عنه.
- رفد جهاز الشرطة بالأفراد الكفوئين ليكون أكثر فاعلية اجتماعياً، وتقليل المسافة بينه وبين المواطنين حتى يشعر المواطن أن هذا الجهاز يقوم بخدمته وحمايته فعلاً من أي ظلم، ويشعرون أنه قوة سلام اجتماعي حقيقي وملاذهم يدافعون عنهما بعدلة ويحميهم من الإرهاب الفردي والجماعي، ولا يقف موقف المتفرج منها. ومحاسبة ومنع التصرفات غير المسؤولة لبعض عناصره، ولكل من يسيء بتصريفاته منهم للمواطنين على غير وجه حق، وهم وبالتالي مرشد للسلطة لاتخاذ قرارات سليمة.

### **الهواش**

<sup>(1)</sup> **الطابور الخامس** (Fifth column) مصطلح متداول في أدبيات العلوم السياسية والاجتماعية، نشأ في أثناء الحرب الأهلية الإسبانية التي نشببت عام 1936م وأول من أطلق هذا التعبير هو الجنرال أميليو مولا أحد قادة القوات الوطنية الزاحفة على مدريد، وكانت تتكون من أربعة طوافير من الثوار، فقال حينها: إن هناك طابوراً خامساً يعمل مع الوطنيين لجيش الجنرال فرانكو ضد الحكومة. ويصف مصطلح الطابور الخامس بأنه مجموعة من الناس تعمل غالباً على محاولة محاصرة المدينة من الداخل لصالح العدو. قد تكون أنشطة الطابور الخامس علنية أو سرية، وفي بعض الأحيان تقوم القوات السرية بمحاولات حشد الناس علناً لمساعدة هجوم خارجي. ويمتد هذا المصطلح أيضاً إلى الأنشطة التي تنظمها القوات العسكرية. ويمكن لأنشطة الطابور الخامس السرية أن تتطوي على أعمال تخريب وتضليل وتجسس ينفذها مؤيدو القوة الخارجية ضمن خطوط الدفاع بكل سرية.

<sup>(2)</sup> على الكاش: خلايا نائمة أم قنابل موقوتة؟  
[www.alnoha.com/visitor16/5laya.htm](http://www.alnoha.com/visitor16/5laya.htm)

<sup>(3)</sup> **كوكلوكس كلان** Ku Klux Klan: تختصر باسم "كي كيكي"، منظمات أخوية سرية نشأت في الولايات المتحدة، وتومن بتفوق العنصر الأبيض ومعاداة اليهود والكاثوليك والمهاجرين، وأخيراً بالأهلاوية التي تهتم بحماية مصالح أهل البلاد الأصليين وتقديمها على مصالح المهاجرين.. تعتمد هذه المنظمة على العنف وممارسة التعذيب كالحرق على الصليب لمن يكرهونه، مثل الأميركيين الأفارقة وغيرهم.

# **ملف العدد**

" القضية الفلسطينية بعد /68/ عارماً على النكبة"



## ثانية وستون عاماً اكتملت من رحلة نضال لم تكتمل

إضاءة على بدايات الكفاح المسلح ونهاياته في حركة المقاومة الفلسطينية

محمد إسماعيل حديد\*

### توطئة

إن الحديث عن ثمانية وستين عاماً من عمر ثورة هي أطول الثورات المعاصرة، إنما هو غوصٌ خطُّرٌ في لجة مضطربة من التاريخ. والحديث في شأن كهذا حريٌّ بمن عاصر وعايش تلك الفترة شدَّ الرحال إلى من شهد حادثة هنا أو حدثاً هناك، لجمع شهاداتٍ من شهد، وتدقيقها وتصنيفها وربطها ببعضها، ومن ثم توثيقها أصولاً.

وعلى الرغم من صعوبة تحقيق هذه الشروط بشخصٍ واحدٍ، فإني أعدُّ نفسي محظوظاً كوني عاصرت بدايات المرحلة، وانخرطتُ في خضم العمل الثوري الفلسطيني المقاوم، في مرحلتي: السرية والعلنية. وقد منَّ علىِ الكريمية باطالة العمر إلى هذا اليوم، كي أكون واحداً من شهود هذه المرحلة النضالية التي زاد عمرها على نصف قرن، كانت حافلة بالأحداث والمطبات والانعطافات الحادة. وهي (أي المرحلة النضالية) وصلت في فترة ما إلى ذروة مجدها وشهرتها، وقمة أثرها وتأثيرها، ثم تآمد عنوانها إلى حدودِ دنيا لتعيش حالة من الاستكانة هي في غاية

\* عميد متلاعِد، كاتب في الشؤون العسكرية، عضو الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، عضو مؤسس في حركة المقاومة الفلسطينية.

التشابك والتعقيد، بسبب تداخل أحداثها وتعدد ساحتها واختلاف قادتها، وتبادر منطاقاتها، وتفاوت مسارتها، وتأثير الشارع الفلسطيني والعربي بالمواقف والممارسات السلبية التي تبدر عن بعض قادة المقاومة، وارتداد الآثار السلبية لتلك المواقف على القدرة القتالية لفصائل المقاومة.

والموضوع الذي نناوش يتناول قضية من أعقد القضايا حلاً، وأغربها طابعاً، وأطولها أمداً، وأكثرها تداولًا وحديثاً في المحافل الدولية والإقليمية، وقد كتب فيها الكثير من المؤلفات، وحُكِّمَت لأجلها موسوعات عدة، وزخرت بتفاصيلها ملايين المقالات والتحليلات والدراسات، في الوطن العربي وفي خارجه.

وللإنصاف نقول: إذا أردنا التطرق تفصيلاً وتحليلاً لتطور القضية الفلسطينية وتشعباتها منذ النكبة عام 1948 وحتى اليوم، لا حرجنا لعدد كبير من المجلدات واللاحق للإيفاء بالطلب، وقد لا تفي.

لقد أكملت القضية الفلسطينية عامها الثامن والستين، والشعب الفلسطيني المكلوم يتطلع للخلاص.. ولا خلاص، وقضيته تتضرر الحل.. ولا حل. لهذا فإن ما سيرد في شأن المسيرة الفلسطينية إنما هو استعراض لأحداث ينظر إليها الكاتب من زوايا مختلفة، لتجيء أحياناً مغایرة لما استساغه الآخرون، وعدده سنام الحقيقة ولسانها الصادق، يضاف إلى ذلك أننا بصدده الحديث عن مرحلة تاريخية شهدت أحداثاً وقعت فعلاً وليس قوله، ويشهد على وقوعها عديد الشهداء الذين مازال بعضهم على قيد الحياة.

إن قول الحقيقة قاس على بعضهم، وعذب على بعضهم الآخر. ونحن في هذا المقام لن نتعاطى إلا مع ما نعتقد أنه الحقيقة. أما طريقة عرض الحقائق فسيتم عبر تقسيم الشريط الزمني للمسيرة النضالية للشعب الفلسطيني المقاوم إلى حقب زمنية صغرى، تبدأ الحقبة بحدث مهم، وتنتهي بحدث مهم آخر، يكون بداية للحقبة التي تأتي وهكذا..

### **الحقبة الأولى: النكبة والمأذن. من عام 1948 حتى 1956**

فرض الواقع الفلسطيني المعيش تحت حراب الاستعمار البريطاني منذ عشرينيات القرن الماضي، ووطأة الإرهاب الصهيوني الذي تحمي دولته الانتداب، نمطاً من القتال الشعبي الفلسطيني قبل النكبة يسند على الحماسة

والغيرية، أكثر من استناده على الخبرة والدرایة في إدارة الأعمال القتالية تحطيطاً وتتفيداً، وذلك بسبب الحظر البريطاني على الفلسطينيين عندما منع حمل السلاح أو اقتتاله، لاحق الثوار وقتلهم في الميدان، أو أعدمهم شنقاً إذا هم وقووا في أسره.

وبالمقابل كان على هؤلاء الثوار الضعف تظيماً وتسلیحاً وتدريباً وأداءً أن يقفوا في مواجهة قوات الانتداب البريطاني من جهة، ومن جهة ثانية في مواجهة المليشيات الإرهابية الصهيونية المسلحة تسلیحاً جيداً، والتي شارك قادتها والكثير من أفرادها في الحرب العالمية الأولى في الفيلق اليهودي<sup>(1)</sup> مع الجيش البريطاني، فاكتسبوا خبرات استراتيجية وكتيكية على مستويات عالية، شملت التخطيم والإدارة والإمداد والأخلاق، وتحطيط العمليات القتالية وتنفيذها.

لم يكن أمام الفلسطينيين - وهم يرون وطنهم ينتزع منهم شيئاً فشيئاً - إلا أن يستمروا بقتال الصهاينة والبريطانيين باللحم الحي، وبما أتيح لهم من سلاح وذخيرة وخبرة. وكانت جماهير الفلسطينيين تتطلع ببالغ الأمل والتفاؤل إلى الجيوش العربية التي اتخذت الجامعة العربية قرار تشكيلاها، وزجها الفوري في ساحات الشرف لقتال الصهاينة وطردهم من فلسطين، إنقاذاً لشعبها من العصابات الإرهابية الصهيونية.

ولشدة تعلق الفلسطينيين بجيوش العرب الآتية لنصرتهم أصبح وصول تلك الجيوش هاجسهم وجُلّ همهم، حتى قيلت فيها الأهازيج الشعبية التي كانت النسوة ترددُنها في الأعراس والمناسبات الوطنية، وهي تبشر الشعب الفلسطيني باقتراب الفرج، وتتوعد الصهاينة بدنو الهزيمة والاندحار. ومنها على سبيل المثال ما قيل في الضابط السوري المولود في مدينة طرابلس، قائد جيش الإنقاذ: "صهيوني دبر حalk هجموا الثوار، معهم فوزي القاوقجي البطل المغوار.."<sup>(2)</sup>

لكن الجيوش العربية التي انتهت تدخلها بالنكبة لم تكن بالمستوى المأمول، رغم بروز بطولات ومواقف مشرفة، فردية في أغلبها أو جماعية على مستويات صغرى، وإن مجمل الحرب تخللتها مواقف مشبوهة في أكثر من مكان وزمان، ولم يجد المواطن الفلسطيني - آنذاك - تفسيراً لها، سوى أنها الخيانة والتآمر مع البريطانيين والصهاينة. فماذا يؤمن من جيوش عربية عدة أسندت قيادتها للملك عبد الله ملك الأردن، وكان وزير دفاعه ومنسق عملياته الجنرال البريطاني "غلوب باشا".<sup>116</sup>

---

ومن دون الدخول في التفاصيل انتهت الحرب بمعادرة أكثر من 750 ألفاً من الفلسطينيين أرضهم ووطنهم بتشجيع من بعض الجهات العربية، بذرية حمايتهم من ويلات الحرب، وعلى أمل العودة القربيّة إلى بيوتهم فور القضاء على الصهاينة المحتلين، وإنما في تصديق الفلسطينيين لهذه الوعود، أغلقوا عند الرحيل أبواب بيوتهم، واحتفظوا بمقاتلتها لحين العودة، وما زال قسم منهم يحمل تلك المفاتيح إلى اليوم رمزاً للإصرار على العودة مهما طال الزمن.

كان على الفلسطينيين الذين غادروا أرضهم التوجه شطر واحدة من أربع دول عربية تحيط بفلسطين، هي لبنان وسوريا والأردن ومصر، وأثر بعضهم البقاء في مدينه وقراه، خاصة تلك المدن والقرى غير الحدودية كقرى الجليل الأوسط والناصرة وأم الفحم وحيفا ويافا والنقب، ومنهم من قصد الأرض غير المحتلة من فلسطين كالضفة الغربية وقطاع غزة.

بعد بضعة أشهر من وقوع النكبة تقاطرت الدول العربية التي قاتلت جيوشها في فلسطين إلى جزيرة "رودس" اليونانية، بعد أن رضخت للأمر الواقع، وأقرت بالهزيمة وببدأت محادثاتها غير المباشرة مع "دولة الكيان الصهيوني". وفي 23/2/1949 وقعت المذلة بين الأطراف العربية والطرف الصهيوني لمدة سبع سنوات بدءاً من تاريخ توقيعها، وهنا أصيب الفلسطينيون بالإحباط وانقطع أملهم بالجيوش العربية، وساورتهم الشكوك في عودة تلك الجيوش لتحرير فلسطين مرة أخرى. إزاء ذلك كان لابد من التعلق بأمل جديد يبعد عنهم مشاعر القنوط واليأس، ويخلصهم من حالة الذهول جراء ما حدث في رودس؛ ولأن الغريق يتعلق بشدة، فقد تعالت آمال الفلسطينيين بقشة الأمم المتحدة لعدم توفر ما هو أفضل.

بعد ثلاث سنوات من توقيع هذة رودس، وفي 23 تموز عام 1952 حدثت مفاجأة أثلجت صدر الفلسطينيين، وجددت الأمل في نفوسهم، تمثلت بنجاح الضباط الأحرار بقيادة جمال عبد الناصر في الثورة على النظام الملكي في مصر، وصعود الرجل التائر لسدة الحكم. ومنذ الأيام الأولى حدد الزعيم القومي العربي معسّكر أعدائه ممثلاً بثلاث كتل، هي الدول الغربية وفي مقدمتها الولايات المتحدة، وثانيها الكيان الصهيوني، وثالثها الرجعية العربية. وطرح أفكاره القومية وتوجهاته الوحدوية، ورفع شعاره الخالد: "ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة". وقد أغبط هذا الشعار كل الفلسطينيين، وحوّلهم إلى ناصريين وقوميين عرب حتى

النخاع، لاسيما أنهم يَئِسُّوا من الأمم المتحدة عقب قبولها عضوية "إسرائيل" فيها بتاريخ 1949/5/11، وتمييعها المعتمد لكل ما يخدم القضية الفلسطينية من إجراءات وقرارات.

في جانب آخر، وبالتحديد في قطاع غزة الذي كان تحت الإدارة المصرية، لجأت ألوف مؤلفة إلى القطاع من سكان المدن والقرى القريبة منه، كبلدات عسقلان والمجدل وبئر السبع وبعض البدو من النقب، وقدم إليه بأعداد أقل من المدن الأبعد مثل يافا واللد والرملة. وكانت أولى محاولات التسلل إلى الداخل الفلسطيني انطلاقاً من قطاع غزة، تلك التي قام بها بعض المواطنين الذين تركوا مواشיהם في حظائرها، أو أودعوا أموالهم مدفونة في "الحاكورة" (حديقة المنزل) أو تحت شجرة الخروب. وكان من أمر هؤلاء عدم تورُّعهم عن قتل كل من يحول دون وصولهم إلى مواشיהם وأموالهم ومقتنياتهم الثمينة من المستوطنين الصهاينة.

ومع مرور الأيام تطورت أعمالهم، وأصبحوا يهاجمون المخافر للاستيلاء على أسلحتها. وعندما علمت السلطات المصرية بعد ثورة تموز 1952 بهذا النشاط عُين المقدم مصطفى حافظ مسؤولاً عن نشاطهم في داخل الأرض المحتلة، وأصبح هؤلاء الشبان يتلقون التدريبات العسكرية على أيدي الضباط المصريين، ثم يكلفون بجلب المعلومات الاستطلاعية عن العدو، فضلاً عن تكاليفهم بأعمال الوحدات الخاصة كتنفيذ الكمائن والإغارات وتنظيم الدوريات الاستطلاعية في عمق الأرض المحتلة الذي كان يتجاوز الـ 65 كم. وقد نجحت هذه الأعمال نجاحاً باهراً بسبب المعرفة الدقيقة للأرض، وعدم استكمال التجهيزات الهندسية الدفاعية الصهيونية حول المستوطنات، وإشراف ضباط مصرية على التخطيط والتنفيذ لهذه المهام. والأهم من ذلك كله الحماسة الزائدة والصدق المتأjuج في صدور هؤلاء الشبان، تجاه من سلب الأرض والمنزل والبيارة، وطرد أصحابها إلى خارج الحدود.

ومنذ المراحل الأولى لتشكيل مفارز الاستطلاع بقيادة المقدم مصطفى حافظ أقبل الشبان الفلسطينيون في القطاع على التطوع بأعداد كبيرة حتى «بلغ عدد الفدائيين الفلسطينيين في المرحلة الأولى نيفاً وألف فدائي، كما أعلنت السلطات المصرية عن فتح باب التطوع في الكتائب الفلسطينية بغية رفد العمل الفدائي، وكانت أفضلية التطوع للذين لهم معرفة بالأرض والمسالك، أو أدوا خدمة عسكرية سابقة أو يعرفون اللغات الأجنبية، ولاسيما العبرية»<sup>(3)</sup>.

---

في 28/2/1955 شنت وحدة من قوات "الكوماندوس" الصهيونية إغارة على قطاع غزة استهدفت محطة المياه المركزية وأحد معسكرات الجيش المصري، وأدت لاستشهاد وجرح العشرات في رسالة للرئيس عبد الناصر الرافض للضغوط البريطانية والأمريكية لتوطين اللاجئين في قطاع غزة، ووقف عملياتهم الفدائية، والممتنع عن الانخراط بسياسة الأحلاف، لاسيما حلف بغداد، والرافض لوقف إمداد الثورة الجزائرية بالسلاح والعتاد.

في صبيحة اليوم التالي للعدوان عمت قطاع غزة المظاهرات المطالبة بحمل السلاح وإطلاق يد الفلسطينيين للانتقام من العدو الصهيوني، وقد استجابت السلطات المصرية لهذا المطلب. وأعلن الرئيس عبد الناصر عن تبني مصر لأعمال المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة رسمياً بإطلاقه حرب الفدائيين التي استمرت بشكل مكثف من أيلول 1955 وحتى العدوان الثلاثي في تشرين الأول 1956.

كما تشكلت في الأردن مجموعات سرية كان الملحق العسكري المصري العقيد صلاح مصطفى يشرف على تزويدها سراً بالأسلحة، وتمكن المخابرات "الإسرائيلية" في 14 تشرين الأول 1956 من اغتياله بطرد متفجر، مثلاً ما قامت بتصفية العقيد مصطفى حافظ في قطاع غزة في 13 تموز 1956.

كان الموقف من الاحتلال الصهيوني في سوريا مشابهاً للموقف المصري في قطاع غزة، فعلى أثر نكبة فلسطين، والاعتداءات "الإسرائيلية" المتكررة على الأرضي والقوات السورية، شكلت المخابرات العسكرية السورية كتيبة الاستطلاع 68 من الفلسطينيين لجمع المعلومات عن العدو<sup>(4)</sup>، تمهدًا لهاجمة قواقله العسكرية ودورياته ومستعمراته وثكناته، وزرع الأنفاق على طرق إمداده<sup>(5)</sup>. وقد عُدَ ذلك نواةً لانطلاق العمل العسكري الفلسطيني لاحقاً.

### **الحقبة الثانية: إجهاض ومخاض من عام 1956 حتى 1965**

لقد استهلت هذه الحقبة بالعدوان الثلاثي على مصر، ودخول جيش الاحتلال الصهيوني إلى قطاع غزة عنوة، وتصفية الحساب مع الفدائين الفلسطينيين.

وفي 29/10/1956 بدأ العدوان الثلاثي على مصر، وفي بداية العدوان، كان نصيب قطاع غزة وابلاً غزيراً من قذائف الدبابات والمدفعية الثقيلة، أعقب ذلك دخول دبابات العدو إلى القطاع وهي ترفع الأعلام والشارات المصرية، تضليلًا

لأهلالي، وحماية لها من قذائف الفدائيين. وللانصاف نقول: لقد قاتلت مدن غزة وخان يونس ورفح، وغبرها من مدن وقرى ومخيימות القطاع، قتال الأبطال، وأخرت تقدم القوات الصهيونية الزاحفة تجاه الأرضي المصرية على الطريق الساحلي، ما أعطى الفرصة لقيادة العسكرية المصرية كي تسحب القوات المنتشرة في سيناء، وتعمل على تعزيز المنظومة الدفاعية المنوط بها حماية قناة السويس.

لكن القوات الصهيونية، بعد استيلائها على القطاع، ارتكبت أبشع أعمال القتل والتنكيل وأفظعها بحق الشعب الفلسطيني. فقد تمكنت من جمع الأسلحة والذخائر من المعسكرات والمستودعات والمنازل، وأقدم جنود الاحتلال على استجواب المدنيين كباراً وصغاراً باستخدام أقسى أساليب العنف، وقاموا بإعدام كل من ثبت حمله السلاح أو التعاون مع المصريين. وقبل عملية الانسحاب التي تمت بداية عام 1957 نجح الصهاينة بإسكات صوت البندقية الفلسطينية في القطاع، وإجهاض المقاومة بضرب هيكلها التنظيمي وكيانها المادي، وإعادتها إلى المربع الأول من النضال.

كان هذا هو الإجهاض القسري الذي أسقط جنين المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة، وهو الذي أنيق من رحم النكبة، أما المخاض الجديد فكان ملول وجاء ونما وترعرع على أرض سوريا الآبية، وبالتحديد في مدينة دمشق، والأكثر تحديداً، في أماكن تجمع الفلسطينيين في حي الأمين ومخييم اليرموك.

وللحقيقة والتاريخ فإن المخاض الفلسطيني كان جمعياً بدأ بعد انهيار المقاومة المسلحة في قطاع غزة، وتعددت الحركات الكفاحية الفلسطينية التي باتت قيد الولادة بفارق عام أو عامين بين الولادة الأولى والأخيرة. وللحقيقة أيضاً فإن أولى الفصائل الفلسطينية التي كانت تعد نفسها بشكل جدي، وتعتمد الأساليب السليمة في انتقاء المقاتلين وتأهيلهم وتدريبهم استعداداً لانطلاق الكفاح المسلح لتحرير فلسطين هي: جبهة التحرير الفلسطينية.

وبالتزامن مع ذلك تأسست حركة فتح التي كانت تعتمد على العناصر الجاهزة، المؤهلة عسكرياً ضمن الجيوش العربية المختلفة.

ويتزامن مع الفترة نفسها إقدام فرع فلسطين في حركة القوميين العرب على تشكيل النواة الأولى لمجموعات الكفاح المسلح في الحركة، وقد حملت اسم "شباب الثأر" لتكون الجناح العسكري لحركة القوميين العرب. وبسبب العلاقة

---

## **ثمانية وستون عاماً اكتملت من رحلة نضال لم تكتمل**

الوطيدة التي كانت قائمة بين قيادة الحركة والرئيس عبد الناصر، تلقى أفراد هذه المنظمة تدريبات عسكرية في مدينة إنشاص بمصر أواسط عام 1964، إلا أنها لم تقم بأي نشاط عسكري إلا بعد حرب حزيران عام 1967.

وعلى صعيد جبهة التحرير الفلسطينية وحركة فتح فقد حدثت بعض التفاهمات بينهما عام 1964، وكانت أن تفضي إلى الوحدة الكاملة بين الفصيلين، إلا أنه في نهاية العام حصل خلاف حاد بين أحمد جبريل وياسر عرفات، أدى لوقف كل أشكال التعاون والتسيق، ووصول العلاقات بينهما إلى حد القطيعة.

### **الحقبة الثالثة: نجم الثورة يتافق من عام 1965 حتى 1970**

تُعد هذه الحقبة العصر الذهبي للكفاح المسلح الفلسطيني المنطلق من خارج الأرض المحتلة، وفيها كانت انطلاقة حركة فتح، بإعلان بيانها الأول في 1/1/1965 الذي أصدرته قوات العاصفة الجناح العسكري لحركة فتح، والذي أسس لانطلاقة العمل الفدائي المنظم، انطلاقاً من سوريا وبدعم وتأييد كاملين من الحكومة السورية والشعب السوري<sup>(6)</sup>. تلتها انطلاقة جبهة التحرير الفلسطينية وبيانها الأول في 13/4/1966، ثم صدر البيان الأول باسم طلائع حرب التحرير الشعبية / قوات الصاعقة في 8/6/1967، وهي الجناح العسكري للتنظيم الفلسطيني الموحد التابع لحزب البعث العربي الاشتراكي، أعقب ذلك الإعلان عن تأسيس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في 11/12/1967 بدمج أربع منظمات فلسطينية كانت قائمة هي: "جبهة التحرير الفلسطينية" برئاسة أحمد جبريل، و"شباب الثأر" بقيادة جورج حبش وهي منبثقة عن حركة القوميين العرب، و"منظمة أبطال العودة" وهي منظمة صغيرة كانت تعمل في محيط مدينة الخليل في الضفة الغربية، و "مجموعة أحمد زعور" وهي مجموعة من الضباط المسرحين من الجيش الأردني أطلقوا على أنفسهم اسم الضباط الأحرار، وهم ناصريون وترتبطهم علاقات تسييقية مع شخصيات وأجهزة رسمية مصرية.

يضيف إلى الفصائل المقاتلة فصيل فلسطيني مؤهل عسكرياً وتنظيمياً، يغلب عليه الطابع العسكري، حمل اسم "قوات التحرير الشعبية" وهو الجناح الفدائي لجيش التحرير الفلسطيني. وجيش التحرير هو الجناح العسكري لمنظمة التحرير

الفلسطينية التي تأسست في 28 أيار 1964 تفيذاً لقرار المؤتمر الوطني الفلسطيني الأول المنعقد في القدس، والذي تبنته الجامعة العربية.

لقد تشكلت ألوية جيش التحرير الفلسطيني من الجنود المتطوعين والمجندين في العراق باسم قوات القدسية، وفي سوريا باسم قوات حطين، وفي مصر باسم قوات عين جالوت، وفي الأردن باسم كتيبة زيد بن حارثة التي تحولت فيما بعد إلى قوات بدر. أما في لبنان فقد تمركزت في جنوبه كتيبة مصعب بن عمير.

وقد اشترك جيش التحرير الفلسطيني مع الجيشين العربيين: السوري والمصري في حرب حزيران 1967 وتشرين 1973 على جبهتي الجولان وسيناء، وخاض مع رفاق الخندق والسلاح معارك مشرفة ضد الجيش الصهيوني، وقدم العديد من الشهداء، وساهم بعمليات الإنزال الجوي خلف خطوط العدو في حرب تشرين المجيدة، فضلاً عن مشاركته القوى الوطنية اللبنانية في حربها ضد الكيان الصهيوني عام 1982.

وعلى الرغم من كثرة فصائل المقاومة الفلسطينية التي أعلنت عن انطلاقتها، بدءاً من 1/1/1965 وحتى ما قبل حرب حزيران 67، لم يُحُضْ أي منها عملاً مسلحاً في داخل الأرض المحتلة إلا حركة فتح وجبهة التحرير الفلسطينية، وكان مسرح أعمالهما سهل الحولة والضفة الغربية. وبعد حرب حزيران ظهرت منظمة الصاعقة (سوريا)، ومنظمة الأنصار (الشيوعية)، وجبهة النضال الشعبي (الداخل)، والجبهة العربية (العراق)، وقوات التحرير الشعبية (جيش التحرير)، ونتج عن هذه الفصائل فصائل جديدة عدّة بسبب تعدد ظاهرة الانشقاقات والانقسامات.

وفي المجمل هبت المقاومة الفلسطينية بعنفوان لم يألفه العدو، فتمرّقت بعض المجموعات على حدود الجولان وبدأت أعمالها القتالية ضد العدو في الجولان، وتسلل قسم آخر إلى جنوب لبنان وتمرّق في منطقة العرقوب على حدود فلسطين المحتلة.

أما القسم الأكبر من المقاتلين فقد تحرك تباعاً باتجاه غور الأردن بسبب عدم إحکام سيطرة العدو على الحدود، وسهولة التسلل من الغور إلى داخل الضفة الغربية المحتلة. وكان التجمع الأكبر للفدائيين في بلدة الكرامة الأردنية التي تبعد عن نهر الأردن قرابة أربعة كيلومترات، وبدأت عملياتها المتفاوتة في النوعية بين

زرع ألغام على الطرق الترابية التي تسلكها دبابات وناقلات العدو، ومهاجمة كمائنه ونقاطه استناده، إلى قصف مواقعه بالقذائف الصاروخية أو المهاونات، أو التسلل بالعمق إلى داخل الضفة الغربية لتأمين دخول كوادر قيادية فلسطينية، أو لاستطلاع هدف معين، أو لتهريب أسلحة وذخائر وتخزينها إلى حين الحاجة إليها.

أما في قطاع غزة فكان الوضع مختلفاً، وبعد تأسيس جيش التحرير الفلسطيني عام 1964، تشكلت قوات عين جالوت وتسلحت، وانتشرت على أرض القطاع. وقبل حرب حزيران 1967 بلغ تعداد أفرادها 5000 بين جندي وضابط. يضاف إليهم 4000 آخرين من جنود الاحتياط. وبعد احتلال القوات الصهيونية قطاع غزة عام 1967 قامت باعتقال قرابة 6000 من أفراد الجيش والاحتياط، عزلت منهم قرابة 1000 وأرسلتهم لمعتقل عتليت قرب حيفا، وما تبقى طردتهم خارج القطاع إلى مصر. أما من تبقى من دون اعتقال في القطاع، فقد دفوا أسلحتهم وتواروا عن أنظار الصهاينة مؤقتاً، للحيلولة دون اعتقالهم.

أنشأت السلطات المصرية في منطقة العامرة قرب الإسكندرية معسكراً لتجميع مقاتلي جيش التحرير وضباطه المعدين من تمكنا من مغادرة القطاع قبل حملة الاعتقالات، وقد أعيد تنظيم وحدات الجيش هناك بثلاث كتائب صاعقة هي 329 و339 و349، وتم نشرها قرب البحيرات على ضفة قناة السويس، وأسندت قيادتها إلى ضباط مصريين.

ساء المقاتلين عملية سلختهم عن قيادتهم الأصلية، ووضعهم في أماكن انتشار من دون عمل، بينما أهلهم في قطاع غزة يتعرضون للعسف والإرهاب على أيدي قوات الاحتلال الصهيونية. واتفق الضباط على تنظيم احتجاجات سلمية، حضر على أثرها من القاهرة اللواء يحيى حمودة قائد جيش التحرير الفلسطيني، فالتحقى بالمحتجين وسمع مطالبهم التي تلخصت بتشكيل قوات فدائية على غرار المجموعات التي تقاتل في أغوار الأردن، وإدخالها إلى قطاع غزة لتمارس العمل العسكري هناك. وقد حمل حمودة المطالب إلى أحمد الشقيري رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية الذي عرضها بدوره على أعضاء اللجنة التنفيذية، فاتخذوا قراراً بتشكيل وحدات صغرى تابعة لجيش التحرير الفلسطيني تقاتل بطريقة الفدائيين تسمى قوات التحرير الشعبية. ورُصدت الميزانيات اللازمة لتمويل احتياجاتها.

---

وفي أيلول 1967 اختارت قيادة جيش التحرير مجموعة من الضباط ممن عرف عنهم الشجاعة وحازوا ثقة أبناء شعبهم بهم في قطاع غزة، وزودتهم بالمال الكافي من أجل دخولهم إلى القطاع عن طريق بغداد، والبدء بتجمیع عناصر جيش التحرير المتوازین فيه، وتشكيل مجموعات قتالية صغیری، والشرع بأعمال السطع والمهام القتالية ضد جيش الاحتلال الصهیونی، تحت مسمی قوات التحریر الشعوبیة. وسافرت هذه المجموعة من مطار القاهرة إلى مطار بغداد، فاستقبلهم قائد قوات القادسیة الذي زودهم بلباس الجيش العرائی، وتحركوا براً إلى مدينة المفرق الأردنیة حيث تنتشر قوات من الجيش العرائی بقيادة العمید حسن النقیب، ومن هناك تحركوا براً إلى الأغوار الأردنیة وعبروا نهر الأردن من مخاضة الكریمة، فوصلت المجموعة إلى بیت فوریک قرب نابلس، ثم توجهت جنوباً إلى رام الله فالخلیل، لیستقرروا في نهاية المطاف بقطاع غزة.

لقد أحسنت قيادة جيش التحرير انتقاء المجموعة الأولى المؤسسة لقوات التحریر الشعوبیة، وفي الوقت نفسه كانت المجموعة عند حسن ظن قيادتها بها، فقد أنجزت مهامها على أكمل وجه. وقبل أن ينتهي عام 1967 كانت العمليات الفداییة قد بدأت في قطاع غزة، لتقارع وحدات العدو المنتشرة على أرض القطاع.

لم يمض وقت طویل حتى وصل قطاع غزة لمرحلة کان فيها إذا جن اللیل تحول إلى أرض محررة لا يجرؤ الصهایین على التحرك فيها أو مغادرة دباباتهم أو دشمنهم أو مخاکبهم. أما في النهار فتنقل السيطرة للعدو الصهیونی. ومع كل تحول بين لیل ونهار کان العدو يدفع ضریبةاحتلاله خسارة بشیریة أو مادیة، أو الاثنتین معاً. وهذا ما دفع "غولدامائیر" وزیرة خارجیة العدو آنذاک إلى القول: أتمنی أن أستيقظ ذات صباح فأجد قطاع غزة وقد ابتلعني البحر.

وهكذا لم يأت عام 1968 حتى كانت الجبهات المحيطة بالکيان الصهیونی قد اشتعلت بالمقاومة الفلسطینیة التي كانت توجه الضربات الموجعة لجنود الاحتلال. ففضلاً عما كان يتعرض له جيش العدو في قطاع غزة والضفة الغریبة، کان جنود الجيش الصهیونی يذوقون طعم العلقم في أغوار الأردن مع كل مغیب شمس. وحتى جنوب لبنان کان الفداییون ينطلقون منه إلى الأرض المحتلة لأداء واجباتهم النضالیة. كما انتشرت بعض القواعد على حدود هضبة الجولان للغرض ذاته، ونجحت بتنفيذ الكثیر من العمليات التي أنزلت بالعدو خسائر

---

فادحة، ولم يُترك العدو يشعر بالأمان حتى خارج فلسطين المحتلة، فقد نشطت العمليات الخارجية تحت شعار "وراء العدو في كل مكان".

أصيب قادة العدو وخلفاؤهم الغربيون بالهisteria، وهم لا يدرؤن كيف يخرجون من هذا المأزق المصيري الذي بات يواجه الكيان الصهيوني، فالجيش الذي انتصر العام الفائت على ثلاث جبهات عربية في ستة أيام، أصبح يئن تحت الضربات الموجعة. لذا سارعت الدول الغربية بإطلاق المبادرات وتنفيذ المناورات وممارسة الضغوط لاحتواء المخاطر التي أصبحت تهدد الكيان الصهيوني في الصميم.

أما قادة الاحتلال فقد بدؤوا يتخبظون على غير هدى، فتارة يقصدون جنوب لبنان، وتارة أخرى يشنون الحملات الفاشلة على قطاع غزة، وأحياناً يقصدون بالطائرات معسكرات الفدائيين في داخل الأراضي السورية والأردنية، ولم يهمل العدو الساحة الأوروبية، فبدأ بعمليات استخبارية استهدفت بعض الشخصيات والرموز الفلسطينية.

لكن الحماقة الأبرز التي ارتكبها قادة الكيان الصهيوني، تجلّت بمعركة الكرامة التي شنها جيش الاحتلال بتاريخ 21/3/1968 على قرية الكرامة، معلق الفدائيين الفلسطينيين في غور الأردن الشرقي، التي يتمركز فيها مقاتلون من كل التنظيمات الفدائية. أما هدف العملية فهو القضاء التام على القوى المقاتلة للشعب الفلسطيني، لصرفه بشكل نهائي عن التفكير بحلم العودة إلى فلسطين.

فقد بدت حشود الجيش الصهيوني قبالة بلدة الكرامة، ظاهرة للمراقب من دون مناظير ميدانية، واتضح توايده من خلال تكثيف الطلعات الجوية فوق البلدة، وانكشفت خططه حين حشد دباباته وناقلات جنده على مقرية من جسري داميا شمال الكرامة، واللنبي جنوبها. كذلك شوهدت حشود ضخمة في مواجهة البلدة تماماً من ناحية الغرب، ما يوحى بتحرك بري باتجاه الكرامة من الشمال عبر جسر داميا ومن الجنوب عبر جسر النبي ومن الغرب عبر جسر ميداني معدني قد تتم إقامته، أو عبر مخاضات المنطقة (الحايك والشعشاعة). وكان ثمة حشود على اتجاه فرعى تضليلي في منطقة وادي عربة جنوب البحر الميت.

وعلى الرغم من وضوح المعطيات أمام العين، واتفاق جميع الفصائل على طبيعة النوايا المبيتة للجيش الصهيوني بالعدوان البري على البلدة، فإن خلافاً نشأ بين قادة

الफسائل فيها حول طريقة خوض المعركة الدفاعية، فهنا رأي ينادي بالانسحاب من الكرامة وتجنب المعركة الفاصلة فيها، لأنه من الخطأ المغامرة بمعركة مصيرية في المكان الذي يريد العدو، ورأى أصحاب هذا الرأي أن الأنساب هو التمركز في جبال السلط المطلة على الكرامة، وخوض معركة جبلية بدل حرب الشوارع التي استعد العدو لخوضها، حيث سيلجأ لتدمير كل بناء يتمركز فيه مقاتل، لاسيما أن أبنية البلدة هي طبقة واحدة، وغير حصينة وسهلة الانهيار. أما إخلاء البلدة فضرورة يمليها الموقف، لأن في صفوف المقاومة عدداً لا يستهان به من الأشبال (دون سن الـ 18) فضلاً عن وجود بعض الأغراز الذين لم يستكملوا تدريبهم العسكري.

أما أصحاب الرأي الآخر، فقد عدُوا إخلاء البلدة وصمة عار وطني على جبين المقاومة، وأنه ينبغي خوض المعركة في الكرامة، دفاعاً عن الكرامة العربية والفلسطينية، فإذا النصر أو الموت دون ذلك، وعزّز أصحاب هذا الرأي موقفهم، بضرورة استثمار خصائص الأرض في البلدة والاستفادة مما تقدمه من إخفاء جيد للأفراد والسلاح، ما يسمح بتحقيق المفاجآت لقوات العدو وإنزال الخسائر الجسيمة في صفوفه، على عكس القتال المكشوف في الجبال، خاصة أن جبال السلط جرداء قاحلة. وعدّ أنصار هذا الرأي أن الانتشار الجيد في البلدة وحسن إدارة المعركة كفيل بتعويض التفوق العسكري الصهيوني.

وللمرة الأولى يكون الخلاف سبباً في تحقيق إنجازات عسكرية ميدانية مهمة. فقد انسحبت الكتلة الرئيسية لأصحاب فكرة الانسحاب وتمركزت على السفوح الغربية لجبال السلط المطلة على بلدة الكرامة، وشرعت بتنفيذ أعمال هندسية سريعة لتجهيز الأرض وتحضيرها للمعركة الدفاعية المرتقبة، بينما ظل في البلدة أصحاب فكرة الدفاع حتى الموت، وزوّدت الكمانات على مشارف البلدة وفي داخلها، وتحقق الترابط الناري بما يسمح خوض المعركة من شارع لشارع ومن بيت لبيت.

في الصباح الباكر من يوم 21/3/1968، بدأ القصف المدفعي الكثيف على بلدة الكرامة والسفوح المطلة عليها، فضلاً عن نشاط غير مسبوق للطيران المقاتل والطائرات من دون طيار، ثم تحركت الدبابات والناقلات نصف المجنزرة على ثلاثة محاور تجاه بلدة الكرامة: المحور الأول من جسر دامية على نهر الأردن شمال

الكرامة، والمحور الثاني من جسر النبي جنوب البلد، والمحور الثالث من جسر المندسة في الجهة الجنوبية الغربية. وقد اشتباك كمائن الفدائين مع أرتال الدبابات والناقلات وأوقعت فيها بعض الخسائر، وأبلت البلاء الحسن بأرتال الآليات المدرعة والدبابات وهي على الطرق المؤدية للبلدة، على رغم من المظلة الجوية "الإسرائيلية" في سماء المنطقة. وعندما اقتربت الأرتال من مداخل بلدة الكرامة لاقتحامها من ثلاثة جهات أقدم العدو الصهيوني على إجراء إنزال قوات محمولة جواً على السفح الغربي لسلسلة جبال السلط، لإحكام الطوق حول البلدة.

لكن المفاجأة غير المتوقعة كانت بانتشار أعداد غير قليلة من المقاتلين في أماكن إنزال العدو، فاشتبك مقاتلو المقاومة على السلسلة الجبلية مع مهاجمي العدو في منطقة الإنزال، وأوقعوا فيهم خسائر جسمية أدت إلى عودة الطائرات لالتقاط القوة القائمة بالإنزال، وهذا ما حال دون تطويق المقاومة، بل على العكس، فقد قامت مجموعات من المقاتلين بعد إفشال الإنزال بمناورة ناجحة لضرب مؤخرات العدو المشتبك مع كمائن المقاومة على أطراف البلدة، ما خلق إرباكاً وفوضى في صفوف الجيش الصهيوني، وحقق مفاجأة صدمت قادته وجعلته يتخبط في قراراته. وهكذا لم يصمد الجيش الصهيوني على أرض الكرامة أكثر من عشرين ساعة، غادر بعدها مذعوراً، تاركاً قتلاه ودباباته ومجنزراته المدمرة في أرض الميدان.

لقد أssiست هذه المعركة المظفرة لما بعدها، فقد علت أسهم المقاومة لـ<sup>لُطّاوِل</sup> العنان، وأصبح اسمها على كل لسان، واندفع آلاف المتطوعين من كل البلدان العربية (عدا السعودية والخليج) للالتحاق بصفوف المقاومة، وأصبح الوجود الفلسطيني المسلح مقبولاً جماهيرياً في كل مكان، وانتشرت القواعد وعمت كل الجبهات، وغطت غور الأردن من الباقورة شمالاً حتى سويمة شمال البحر الميت، وانتشرت حتى في غور الصاليف ووادي عربة جنوب البحر الميت. وعلى جبهة الجولان انتشرت القواعد من جباتا الخشب وجبا ونبع الصخر شمالاً، حتى عابدين ومعرية وكوبيا جنوباً. وكذلك في الجنوب اللبناني أصبح المقاتلون في الهرارية وكفر شوباً وحلّتا ومرجعيون وحاصبيا يظهرون في الشوارع والأسواق، وانتشرت قواعدهم غرباً (غرب جنوب لبنان) تجاه النبطية ومارون الراس، وكانوا في كل مكان يرتدونه محل ترحيب وقبول وتقدير من المواطنين. كما انعكس انتصار الكرامة على

الروح المعنوية للمقاتلين في القطاع فزاد من وتيرة أعمالهم، وزادهم شغفاً لانتزاع انتصار على غرار انتصار الكرامة.

وهكذا فقد اعتقد الصهاينة أن القضاء على المقاومة في بلدة الكرامة سينهي العمل الفدائي إلى الأبد، لكنهم حصدوا عكس ما تمنوا، فقد خدشت الهزيمة هيبة الجيش الصهيوني، صاحب الشهرة العالمية في العمليات الخاطفة، وجردته من هذه الشهرة، الأمر الذي زاد من حجم الإقبال على المقاومة فلسطينياً وعربياً وحتى عالمياً، وشرعت الحركات الثورية العالمية المناضلة ضد الإمبريالية بفتح قنوات مع المقاومة الفلسطينية، للتنسيق والتعاون معها، وتبادل الدعم السياسي والعمل الأمني.

وفي غمرة التألق الذي عاشته المقاومة بعد انتصار الكرامة طرقت مجالاً حيوياً لم تعرفه حروب العصابات من قبل، ففي غور الأردن - وهو الجبهة الأهم من حيث اتساعها وتعداد مقاتليها، وحرية الحركة فيها، واتصالها مع الضفة الغربية (خزان المقاومة البشري) - حققت المقاومة فوزات نوعية، حين تمكنت من تطوير وسائل الصراع مع العدو الصهيوني بشكل لافت، فتم تصنيع دارات التفجير باللائلكي لأول مرة عام 1969، واستخدمت ميدانياً في نسف جسر الحمة أثناء مرور باص مبيت محمل بالضباط الصهاينة، وبالطريقة نفسها تم نسف باص عسكري على طريق كفر برم - أفييفيم شمال فلسطين المحتلة، كما تمكنت من رسم سيناريوهات للمعارك وخوضها لاسلكياً عن بعد، وقد استخدم هذا الأسلوب المتتطور في منطقة "الجفتلوك" في الغور الأوسط. كما تم تطوير حشوات متفجرة تتفجر بمجرد سقوط ظل الجنود الصهاينة عليها، واستخدمت هذه الطريقة على طول الجبهة الأردنية. كما استخدمت المسطرة والصاروخ في تدمير آليات العدو، واستخدم الفسفور لتعليم الثغرات في حقول الألغام ليلاً، كما استخدم التفجير بالصوت، والتغيير بقطع الأشعة وغير ذلك الكثير.

وعلى صعيد التكتيك الميداني، فقد فرضت نفسها المبادئ الراسخة التي كانت تتردد بين المقاتلين كقواعد ميدانية يجب احترامها والعمل بمضمونها، كالرد على بعض المجموعات التي كانت تركز مدافعاً على المهاون أو صواريخ الكاتيوشا على بعد مناسب من الضفة الشرقية لنهر الأردن، ثم يطلق أفرادها بضع قذائف أو صواريخ على نقاط استناد العدو المحسنة، فتخطئ هدفها في أغلب

الأحيان، ثم تفادر المكان وأفرادها يهজون وكأنهم حرروا القدس! كانت القاعدة الأولى تقول: «ليس لهم أن تصل قذائف المقاتلين، إنما لهم أين تصل أقدامهم»، لأن أثر القدم على الأرض يخيف العدو أكثر من أثر القذيفة التي انتهت خططها بانفجارها. ومن أفضلية إزالة الخسائر البشرية في صفوف العدو عما سواها، تقول القاعدة الثانية: «قتل جندياً بلا دبابة خير من تدمير دبابة بلا جندي»، أي أن الجندي عند العدو أهم من الدبابة، وثمة قاعدة ثالثة تقول: «المقاتلون شركاء في صناعة الثورة .. وليسوا أجراء» ..

بعد عام كامل على معركة الكرامة وتداعياتها على الصديق والعدو، ابتدأت في مصر حرب استنزاف ضارية، شنها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر على العدو الصهيوني في سيناء، ونفذتها القوات الخاصة المصرية باحتراف، وكانت الغاية من هذه الحرب في ذلك الوقت اصطياد عدة عصافير بحجر واحد، وأهم هذه العصافير إعادة الثقة بالنفس للجيش والشعب المصري بعد هزيمة حزيران، وقد حقق الاستنزاف أهدافه حين بدأ العدو يئن على وقعها.

لم تقتصر العمليات المصرية في حرب الاستنزاف على شبه جزيرة سيناء، بل تعدتها لعمليات نوعية خارج الأراضي المصرية، كـ«تجير الحفار» الإسرائيلي على سواحل أبيدجان عاصمة ساحل العاج باستخدام الصفادع البشرية، وعملية إيلات التي قامت بها الصفادع البشرية المصرية أيضاً في ميناء أم الرشراش "إيلات" حين قامت بإغراق بارجة صهيونية راسية في الميناء بالتعاون مع القوات العراقية والأردنية والمقاومة الفلسطينية.

في هذه الفترة الذهبية من عمر الصراع مع العدو الصهيوني، والتي -للأسف- لم تستمر طويلاً، فقد العدو صوابه، ولم يعد يعني أين السبيل، فتارة يشن غارة على مطار بيروت فيديمـر 13 طائرة مدنية لأن مقاتلاً فلسطينياً أطلق بضع رصاصات على طائرة "إسرائيلية" في مطار أوروبي، وتارة أخرى يشن عدواناً برياً على العرقوب في جنوب لبنان في تعرض لخسائر بشرية ومادية من دون أن يحقق أيّاً من أهدافه. وتتكرر الاعتداءات على قضايا مرجعيون وبنت جبيل وصور من دون طائل.

وبسبب هذا التخييب والموقف الصعب الذي كان نتيجة الخسائر اليومية على جبهة الداخل ممثلة بقطاع غزة والضفة الغربية وعلى جبهة جنوب لبنان وجبهة الجولان وجبهة الأردن وجبهة سيناء المصرية، فضلاً عن مطاردة الفدائيين

لـ"الإسرائيлиين" في كل مكان من الدول الأوروبية، اهتزَّ الكيان الصهيوني في الصميم، وضعفَت ثقة المستوطنين بجيشهم وأحزابهم ومؤسساتهم، وبدأ الكثيرون منهم بالهجرة المعاكسة، فهرعت الولايات المتحدة لطرح المبادرات، وحياة المؤامرات، وتقديم الإغراءات، وإطلاق التهديد والوعيد للطرف الراهن للحل الأمريكي. وبدأت المنطقة تعج بالحركات السياسية النشطة، لإنقاذ الكيان الصهيوني من ورطته التي لا يملك حلًا للخروج منها.

شكلت مبادرة "وليام روجرز" وزير الخارجية الأمريكية في إدارة الرئيس "ريتشارد نيكسون" الفخ المحكم الذي وقعت به الأطراف المعنية بالصراع العربي - الصهيوني، مصر والأردن والمقاومة الفلسطينية، فقلب الطاولة وخلط الأوراق وشق الصف وبدأت سلسلة التراجعات والهزائم. فقد نصت المبادرة على وقف إطلاق النار لمدة ثلاثة أشهر في كل من سيناء وغور الأردن، للبدء بمباحثات لتطبيق القرار 242، وقد وافق الرئيس جمال عبد الناصر على المبادرة من باب أن "إسرائيل" لن تتوافق عليها، فيكون الرفض "الإسرائيلي" سبباً في إ Heraجها دولياً، وفضح سياستها الراهنة للسلام. ووافق عليها الملك حسين ملك الأردن، ورفضتها سوريا والعراق والمقاومة الفلسطينية. وكانت الطامة الكبرى حين وافقت "إسرائيل" على المبادرة ولم يعد مجال أمام عبد الناصر للتراجع عنها. لقد كانت هذه الأجواء المكثرة بين مصر والأردن من جهة، ومنظمة التحرير بقصائصها المقاتلة من جهة أخرى، مقدمات مشوومة لجازر أيلول الأسود عام 1970، التي ارتكبها النظام الأردني بحق المقاومة والشعب الفلسطيني في الأردن بشكل عام.

#### الحقبة الرابعة: أيلول الأسود أولى الهزائم العسكرية عام 1970

في الحقيقة لم تكن مبادرة "روجرز" هي السبب الحقيقي أو الوحيد لتفجر الصراع بين المقاومة والسلطة الأردنية، لكن يمكن عدّها الشعبة التي قسمت ظهر البعير، لأن ثمة أسباباً أخرى مصدرها تراكمات ناجمة عن وجود المقاومة على الأرض الأردنية. فقبيل معركة الكرامة ببضعة أشهر حاصر الجيش الأردني بلدة الكرامة في محاولة لطرد الفدائيين منها، لكنه لم يفلح، مما أوجر صدر المقاومة على النظام، وإن لم تُبُدِ ذلك.

أما النظام فقد ساءه قيام المجموعات الفدائية بعبور نهر الأردن عبر سرايا الحجاب<sup>(7)</sup> من دون تسيق مسبق معها، وحجة الجيش في ذلك أن الفدائيين حين يشتغلون مع العدو وينسحبون عبر موقعه يقوم "الإسرائيليون" بفتح نيران المدفعية والرشاشات الثقيلة تجاه الواقع الأردنية التي عبر منها الفدائيون، فيتعرض جند تلك الواقع للأخطار بسبب عدم حيطةهم، وجهلهم بعمور الفدائيين من قطاعهم.

وفي مقابل هذه الذرائع كان للفدائيين ما يسُوّغ عدم تسييقهم مع الجيش، فقد حدث أكثر من مرة أن تقوم مجموعات فدائية بالتنسيق مع قيادة الألوية الأردنية لعبور النهر من منطقة معينة، وبعد العبور كانت تتعرض المجموعة الفدائية لكمين صهيوني على الطريق الذي كانت تسلكه!.

ومن الأشياء التي ربما يصعب تسوييفها هو قيام أحد فصائل المقاومة يوم 6 أيلول 1970 بخطف ثلاث طائرات أجنبية بعد إقلاعها من مطار "فرانكفورت"، وإجبارها على الهبوط في مطار صحراوي في مدينة المفرق الأردنية، أسموه مطار الثورة، تلا ذلك توجيه إنذار للعدو الصهيوني للإفراج عن أسرى فلسطينيين لديه، مقابل السماح بإعادة إقلاع الطائرات مع ركابها، وعندما لم يستجب العدو الصهيوني للطلب، قام بتفجيرها مقاتلو ذاك الفصيل الذي خطفها بعد تأمين ركابها في أماكن آمنة، والسماح لهم بالعودة لبلدانهم.

بعد ذلك يعلن الملك حسين عن إقالة مشهور حديثة رئيس الوزراء الأردني، وتشكيل حكومة عسكرية برئاسة محمد داود، وتعيين المشير حابس الماجالي قائداً للجيش وحاكمياً عسكرياً عاماً، واتخذ قرار القضاء على المقاومة أو طردها خارج الأردن، ووضعت الخطة لتحقيق هذه الغاية، وبدأت وسائل الإعلام الأردنية حملات التمجييش ضد المقاومة، وحشدت القيادة العسكرية الأردنية مئات الدبابات وألاف العربات المصفحة من طراز "سكاوت" وعشرات الآلاف من الجنود، واعتمد الملك حسين على عناصر الباادية بشكل رئيس، بسبب ولائهم للنظام، وخلو تشكيلاتهم من العنصر الفلسطيني الذي يمكن أن يتعاطف مع الفدائيين الفلسطينيين.

في الجانب الآخر، وعلى صعيد المقاومة، فقد اتخذ كل فصيل ما رآه مناسباً لمحابهة التحديات المحتملة والتهديدات المتوقعة، وقادى الأئماء العاملون للفصائل الفلسطينية إلى اجتماع طارئ عقد في مقر رصد فتح في الشميساني عند مدخل

عمان الشمالي، تناولوا فيه ما آلت إليه الأوضاع مع السلطة، واتفق الجميع على أن المعركة مع النظام لابد قادمة، وأكدوا ضرورة سحب المقاتلين من قواعدهم في الأغوار، ونشرهم في أماكن مناسبة حول المخيمات وفي داخلها بما يضمن حمايتها من الاستهداف، كما اتفقوا علىبقاء اجتماع الأماناء العامين في حالة انعقاد دائم، يتاوب عليه الأماناء العامون ومن ينبوه عنهم.

في مكان غير بعيد عن حي الشميساني، وعلى مقرية من دوار مكسيم المشهور في جبل الحسين، حيث جرت أعنف المعارك، كان يقع مقر الأمانة العامة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين – القيادة العامة، وكان المقر قد تم تحصينه بشكل جيد، وأغلقت جميع المنفذ المؤدية إليه، وانتشر المقاتلون في الجوار بما يؤمن الحماية والوقاية والدفاع بشكل جيد.

و قبل اشتعال المعارك بيوم واحد اتصل صباحاً الأخ أبو عمار بالرفيق طلال ناجي الأمين العام المساعد للجبهة الشعبية – القيادة العامة<sup>(8)</sup> ، وأعلمه أن مكان اجتماع الأماناء العامين في حي الشميساني غيرآمن، واقتراح عليه أن تعقد الاجتماعات في مقر القيادة العامة في جبل الحسين. وبعد وقت قصير من الموافقة تقاطر الأماناء العامون أو من ينوبون عنهم إلى مقر الجبهة، وبوصول الأخ أبو عمار عُقد على الفور اجتماع حضره لفيف من مسؤولي حركة المقاومة الفلسطينية، وكان الأخ أبو عمار هو من يدير الجلسة.

لم تكن الجلسة جادة بما فيه الكفاية، فكان الحضور يخرجون ساعة يشاؤون، ويعودون بمزاجهم، يدخلون ويتحاور كل اثنين أو ثلاثة مع بعضهم، يدخل مرافقوهم إلى قاعة الاجتماع متى أرادوا ليهمس أحدهم في أذن معلمه كلامتين ثم يغادرا. أما الأخ أبو عمار، وكان الهاتف بجانبه، فلم يتردد عن رفع السماعة بين الحين والآخر ليتصل مع مساعديه ويعطى التعليمات لما يجب فعله. كان هذا هو مناخ اجتماع الأماناء العامين في لحظات تعد من اللحظات التاريخية الحاسمة في عمر حركة المقاومة الفلسطينية، وظل الاجتماع على هذا النحو حتى المساء.

في حوالي الساعة السابعة أو الثامنة مساءً رن جرس الهاتف، فرفع السماعة الأخ أبو عمار، وبعد حوار لم يتجاوز عشر ثوان، أبعد الأخ أبو عمار سماعة الهاتف عن أذنه، وغطى بيده الميكروفون حتى لا يسمع الطرف الآخر ماذا يقول، وقال بما يشبه الهمس: «محمد داود رئيس الوزارة بيخبرنا أن الملك عاييز يجتمع معانا». كان

الأخ نايف حواتمة يجلس إلى جوار أبي عمار، فقال له الأخ حواتمة: «قول له طالما في البلد حكم عسكري إحنا بنعتذر. خلي الملك يلغى الحكم العسكري وقتها إحنا جاهزين»<sup>(9)</sup>.

وبسرعة كبيرة رفع الأخ أبو عمار السماعة إلى أذنه، وقال مخاطباً محمد داود: «يا أخ محمد، أنت عارف أني كنت في الضفة الغربية، وهناك فيه حاكم عسكري للقدس وحاكم عسكري لبيت لحم وحاكم عسكري لنبالس، أنا متضاجئ إنه في الأردن فيه حاكم عسكري لعمان وحاكم عسكري للزرقا وحاكم عسكري لإربد، وكان المدرسة واحدة. أخ محمد بلغ جلاله الملك أنه طالما في حكم عسكري في الأردن فنحن نعتذر. إلغ الحكم العسكري أولاً وبعد كده إحنا جاهزين». رد محمد داود: «سأبلغ قراركم لجلالة الملك». وانتهى الاتصال.

وحتى لا يكون عرض الآراء والتساؤلات التي تبادلها الحضور على طريقة حاضر الجلسات، وتحاشياً لقول: قال فلان ورد علان، واعتراض زيد ووافق عبيد. أدرج ما دار من تساؤلات وآراء بعد الاتصال من دون ذكر أسماء أصحابها. وكان الاستهلال بالسؤال التالي: هل تعتقدون أن الملك سيلغي الحكم العسكري؟ بالتأكيد لا. إذاً ما الذي سيفعله؟ سيحاول ثانية عن طريق طرف ثالث قريب منا للضغط علينا. وهل ستستجيبون إن حدث هذا؟ سوف لن نستجيب إلا بشروط. وما هي الشروط؟ إلغاء الحكم العسكري وعودة الجيش الأردني لشكتناه، عندئذٍ يمكن أن يتم اللقاء وتفاهم. وإذا لم يتصلوا؟ سيكون لنا خيارات أخرى.. وظل الحديث على هذه الشاكلة حتى ساعة متأخرة من الليل، حيث بدأ بعضهم يغادر على أمل الحضور في الصباح، بينما نام بعضهم الآخر في مقر الأمانة العامة حيث يُعقد الاجتماع. ومع انتصاف الليل رفع الاجتماع إلى الصباح، وتفرق الجمع للخلود إلى النوم، استعداداً ليوم جديد حافل بالأحداث الدامية الأليمة.

في حوالي الساعة الخامسة من صباح يوم 17 أيلول 1970 بدأ الهجوم الأردني على المدن الرئيسة بشكل متزامن، وبدأ أولاً بقصف المخيمات الفلسطينية، ثم تحركت الدبابات والعربات المصفحة على أكثر من محور في محاولة لاقتحام المخيمات في مدينة عمان والبقعة والزرقا وإربد، ودارت معارك ضارية على دوار مكسيم، ولم يستطع الجيش إكمال تحركه تجاه مخيم الحسين، رغم محاولات

الالتقاف على أكثر من محور. وحينما خرج الأخ أبو عمار من قاعة الاجتماع للقاء نظرة على الموقف في الخارج، عاد للقاعة وقال: «جبل الحسين سقط يا إخواناً اتفرقوا وكل اثنين يروحوا باتجاه». وفي لمح البصر غادر الجميع القاعة، فخلت بعد أن كانت تتعج، وقد علم فيما بعد أن كل قائد احتمى بسفارة الدولة التي ترعاه، ولم يبق في الميدان إلا من كان بلا سفارة<sup>(10)</sup>.

دخل الأخ أبو عمار إلى مخيم الحسين القريب من مكان الاجتماع ومعه مرافقوه، وانقطعت أخباره ليظهر فجأة في القاهرة من أجل حضور مؤتمر القمة العربي. وفي هذا المؤتمر اتخذ قرار وقف إطلاق النار من الطرفين، السلطة والمقاومة، مؤكداً أن الوجود الحقيقي للمسلحين هو خارج المدن، وأقر المؤتمر تشكيل لجنة المتابعة العربية التي حضرت سريعاً إلى الأردن برئاسة الباهي الأدغم رئيس وزراء تونس الأسبق، ورعت هذه اللجنة خروج المقاومة من عمان وتجمعها في أحراش جرش وعجلون، لتجري المذبحة هناك بعد بضعة أشهر، حيث لا صحافة تفضح الفظائع، ولا سفارة يأوي إليها المهاربون. وقد بلغت الفظائع حدّاً استخدم فيه الجيش وقوات البادية البطلات لقطع الرؤوس بعد نفاد ذخائر المقاتلين، وهذا ما دفع قرابة مئتي مقاتل للتسلل إلى الأغوار وعبر نهر الأردن نهاراً، وتسلیم أنفسهم للعدو الصهيوني الذي تظاهر أمام الرأي العام، بأنه أكثر إنسانية من جنود الجيش الأردني!!.

وهكذا أفل العصر الذهبي للمقاومة بعد خروجها مرغمة من الأردن، وتخليها عن المخيمات التي احتضنتها، وسقطت القواعد والمستودعات، واستولى الجيش الأردني على الأسلحة ولاسيما الثقيلة منها، وانتقلت المقاومة بـ"عجرها وبجرها" إلى لبنان وهي لا تحمل إلا أسلحتها الفردية الخفيفة. وللأسف لم يقم أي من الفصائل بإجراء تقويم موضوعي لما حصل في الأردن، واستخلاص الدروس وال عبر، لأن تقويمًا كهذا سيمس مقامات من اختاروا المواجهة مع النظام، ولم يكونوا على قدر المواجهة<sup>(11)</sup>.

#### الحقيقة الخامسة: صراع لاستعادة التوازن من عام 1970 حتى 1975

اتجهت المقاومة الفلسطينية إلى لبنان بعد هزيمتها الاستراتيجية في الأردن، وليس في خلد قادتها إلا الإصرار على مسح عار الهزيمة، واستعادة التوازن النفسي الذي هزته الصدمة، والاستحواذ على الموقع المرموق الذي كانت تحظى به عسكرياً وسياسياً، قبل طردها من الأردن.

فالهزيمة لم تقتصر على ساحة الأردن فحسب، لأنها رمت بظلها على المقاومة في قطاع غزة، فكانت - من ناحية أولى - عامل تثبيط معنوي ولو بقدر محدود، ومن ناحية أخرى دفعت جيش الاحتلال لتصعيد عدوانه، في محاولة لإكمال ما بدأه النظام الأردني، فينهي المقاومة في قطاع غزة، ليحسم أمرها على ساحتين مهمتين من ساحات الصراع: الأغوار وقطاع غزة.

أما ساحة لبنان، وبسبب وفرة المقاتلين الخارجيين من الأردن، فقد عُزّزت القواعد في الجنوب اللبناني باحتياجها من المقاتلين، وما زاد عن حاجة القواعد وزع على المكاتب والمقرات المدنية المنتشرة في المدن الرئيسية، كبيروت وصيدا وصور وبنت جبيل وطرابلس والمخيomas وغيرها. ولكون العاصمة بيروت هي الأكبر بين المدن اللبنانية، فقد كان نصيبها من المقاتلين كبيراً، وهذا يذكرنا بالقول الذي يُنسب إلى نابليون: «المدن مفسدة الجيوش». فثمة ظروف قد تملّى على الجيش أن يدخل المدن للقتال فيها، وليس في هذا خلل، إنما الخلل يكمن في بقاء المقاتلين في المدن بعد أن تعم بالأمن والاستقرار، وهذا ما حذر منه نابليون. وهو ما وقع به قادة المقاومة، حين تساهلو ولم يضبطوا حركة المقاتلين وسلوكهم في بيروت. . مدينة السحر والسياحة والجمال. .

إن الحقبة التي أعقبت الهزيمة هي حقبة الهجرة الجماعية إلى لبنان، ففي هذه الحقبة امتهنت الأفعال الحسنة بالأفعال الرديئة، بمعنى أنه في الوقت الذي كان فيه المقاتلون في الجنوب اللبناني يؤدون مهامهم النضالية على أكمل وجه، في جو من الود والتعاون مع السكان المحليين، كان هناك نفر من المقاتلين في المدن مازالت تعيش في رؤوسهم تجربة الأردن الفاشلة، فيسعون لتكريس مفاهيم خاطئة تشير الحفيظة، كمفهوم «أرض فتح» يقصد بها جنوب لبنان، و«دولة عين الحلوة» و«جمهورية الفاكهاني» وغير ذلك من المسميات التي كان ينبغي عدم استخدامها. والغريب أن القيادات التي عاشت تجربة الأردن، وعانت من تبعاتها بسبب التجاوزات، لم تحاول فرض الانضباط على مقاتليها، عسكريين ومدنيين على الساحة اللبنانية، حتى لا تتكرر تجربة الأردن الدموية.

وفي المجمل، إن الحقبة التي نحن بصدده الحديث عنها شهدت عمليات صهيونية عنيفة،نفذت بإنقاص وحرفية عالية، وجاءت ترجمة للمخطط الصهيوني بملائحة الفدائيين في كل مكان من جهة، ورداً على عمليات المقاومة الناجحة من جهة

أخرى. وقد شمل الإرهاب الصهيوني الدموي الفلسطينيين في داخل الأرض المحتلة وجنوب لبنان والساحة الأوروبية. وكان الطابع المميز لهذه الحقبة - من الناحية الكفاحية - عدداً من الشخصيات المهمة التي أسست لتحولات نوعية في أساليب المقاومة، نحصرها بالآتي:

**أولاً: بدء عمليات الاغتيال لقادة فلسطينيين من كل الفصائل، ومن أمثلة ذلك:**

- اغتيال غسان كنفاني رئيس تحرير مجلة الهدف التابعة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في بيروت. (8 تموز 1972).
- اغتيال وائل زعبيتر، موظف في السفارة الليبية وممثل منظمة التحرير الفلسطينية عند مدخل شقته في روما (16 تموز 1972).
- اغتيال الدكتور محمود المشرقي مثل منظمة التحرير الفلسطينية في فرنسا، (8 كانون الثاني 1972).
- اغتيال حسين البشير مثل منظمة فتح في قبرص (24 آذار 1973).
- اغتيال الدكتور باسل الكبيسي في باريس، وهو بروفيسور في القانون، في الجامعة الأمريكية في بيروت (6 نيسان 1973).
- اغتيال ثلاثة من كبار القادة في حركة فتح، خلال عملية أسمها الصهاينة "ربيع الشباب" وهم: محمد يوسف النجار وهو ضابط عمليات في منظمة، وكمال عدوان وهو عضو لجنة مركبة لحركة فتح ومسؤول الأرض المحتلة، وكمال ناصر المتحدث الرسمي باسم منظمة التحرير الفلسطينية (10 نيسان 1973).

**ثانياً: ملاحقة العدو في كل مكان:**

ولتجسيد هذا الشعار الذي رفعته الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، شكلت الجبهة جهازاً للعمليات الخارجية حمل اسم "لجنة العمل الخارجي" برئاسة وديع حداد وعدد من المساعدين، وقد نفذ مقاتلو هذا الجهاز عمليات نوعية ناجحة في عدد من الدول، ومنها على سبيل المثال:

- **عملية الكورال سي 11/6/1971:** ناقلة نفط "إسرائيلية" اجتازت باب المندب إلى البحر الأحمر محملة بـ 65 ألف طن من النفط الإيراني (قبل الثورة الإسلامية)، متوجهة إلى ميناء "إيلات"، وقد نفذت الهجوم مجموعة مقاتلة مكونة من أربعة

## **ثمانية وستون عاماً اكتملت من رحلة نضال لم تكتمل**

---

عناصر انطلقت من قاعدتها، مستخدمة القذائف الصاروخية وزورقاً بمحركين قويين، واستمر الاشتباك مدة 12 دقيقة، أصابت القذائف الناقلة بمكانين مختلفين مما أدى إلى إحراق ما تحمله من نفط وتوقفها عن الإبحار.

**اختطاف طائرة سابينا 8/5/1972:** تابعة لشركة "سابينا" البلجيكية قادمة من بروكسل إلى مطار اللد في فلسطين المحتلة، حيث كانت مجموعة من مقاتلي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين قد أتمت استيلاءها على الطائرة، ولحظة استقرار الطائرة على أحد مدرجات المطار، أبلغ قائد المجموعة برج المطار باستيلاء المجموعة على الطائرة، وطلب إطلاق سراح مئة فدائي أسير خلال عشر ساعات، ولا ستقوم المجموعة بتفجير الطائرة بركاها.

### **• عملية "ميونخ" 5-6 أيلول 1972 :**

قامت مجموعة من "منظمة أيلول الأسود" باقتحام مقر إقامة البعثة الرياضية "الإسرائيلية" في "ميونخ" بألمانيا، ونجحت المجموعة باحتجاز أفرادها، مطالبة بإطلاق سراح أكثر من مئتي أسير عربي وفلسطيني من معتقلاتها، وتدخلت القوات الخاصة الألمانية بعملية فاشلة لإطلاق سراح الفريق الصهيوني، فقد طلبت نقل الرهائن ومخطفيهما إلى مطار عسكري بوساطة طائرات هيلوكوبتر، وزوّدت قيادة القوات الخاصة الألمانية، مهرة القناصين المزودين بمناظير للرؤية الليلية في أماكن عدة من المطار المقصود، وتمت عملية النقل ليلاً، ولدى نزول الرهائن والمقاتلين من الطائرات، أطفئت الأنوار في كل أرجاء المطار ليفقد المقاتلون السيطرة على الرهائن، وقام القناصون بإطلاق النار على الفدائيين الذين أدركوا الخديعة فقاموا بتفجير الطائرات، ما أدى لقتل كامل الفريق الصهيوني، واستشهاد المنفذين.

### **ثالثاً: بدء العمليات الفلسطينية النوعية العميقية في داخل الكيان الصهيوني:**

تجدر الإشارة إلى أن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة، هي التي أزاحت الستار عن هذا النمط من العمليات، وكانت الباكرة في مستوطنة "كريات شمونة" (الخلصة). وتعُد هذه العملية أيضاً باكورة العمليات الاستشهادية التي تطورت فيما بعد لتأخذ الشكل الذي نشهده اليوم. ومن هذه العمليات على سبيل المثال:

• عملية الخالصة 11 نيسان 1974 التي فتحت عصرًاً جديداً في عمر النضال الفلسطيني. فهي العملية الاستشهادية الأولى التي نفذتها الجبهة الشعبية - القيادة العامة على الأرض الفلسطينية، حيث اقتحمت مجموعة مكونة من ثلاثة مقاتلين مستعمرة "كريات شمونة" (الخالصة) في شمال فلسطين، وسيطرت على مدرسة وبنية تتكون من 15 شقة، واحتجزت عدداً من الرهائن، وقد تقدم قائد المجموعة بطلب الإفراج عن مئاتِ من الأسرى المعتقلين في السجون الصهيونية، من بينهم الفدائي الياباني "كوزواو كاموتوكا" المشارك في عملية مطار اللد، فرفضت السلطات الصهيونية مطالب الفدائين، وشنَّت هجوماً على المبنى الذي يُحتجز فيه الرهائن، وجرت معركة عنيفة بين مقاتلي الوحدة الاستشهادية وقوات العدو الصهيوني، وبعد أن نفذت الذخيرة من الفدائين، نفذوا الخطة المقررة، وهي تفجير المبنى بعد أن زرعوا العبوات الناسفة في أماكن مختلفة منه. أسفرت العملية عن استشهاد الفدائين الأبطال الثلاثة، ومصرع 18 صهيونياً وجرح 15 آخرين.

• عملية ترشح (معلوت) الأولى 15 أيار 1974 :

من أجل تذكير العالم بالنكبة الفلسطينية 15 أيار 1945، تحرك ثلاثة من مقاتلي الجبهة الديمقراطية، متخطين كل الحواجز التي وضعها العدو على الحدود الفلسطينية - اللبنانيَّة لمنع عبور المقاومين نحو الوطن المحتل، وشرعوا بالتجول بين المستوطنات ومخاطبة المارة باللغة العبرية، فالسلاح والعتاد كانا في حقائب ظهرية تشبه حقائب السياح، ووصلوا إلى المدرسة العسكرية لشبيبة "الجندانع"، وسيطروا على البناء وجمعوا طلاب المدرسة وطالبوها بإطلاق سراح 26 مناضلاً في سجون الاحتلال، رغم العدو الصهيوني أنه قبل الشروط لكسب الوقت، لكنه قام باقتحام المدرسة، مما أدى لقتل 27 رهينة وجرح الباقيين، واستشهاد المجموعة المنفذة.

• عملية عين زيف 4 أيلول 1974 :

في صبيحة يوم 4 أيلول عام 1974، قام ثلاثة من مقاتلي الجبهة الديمقراطية، باقتحام معسكر "عين زيف"<sup>(12)</sup> الصهيوني، واحتجاز عدد من جنوده رهائن، مقابل الإفراج عن المطران هيلاريون كبوتشي، و11 مناضلاً فلسطينياً في سجون الاحتلال، ومن بينهم عمر قاسم عضو اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية.

وقد استطاعت المجموعة اقتحام المبنى العسكري الصهيوني الواقع في منطقة عين زيف العسكرية جنوب غرب قرية فسوطة المغتصبة منذ 1948، وخاضت معركة قاسية انتهت بمقتل العشرات من أفراد العدو، واستشهاد اثنين من أعضاء المجموعة الفدائية، وأسر ثالث بعد إصابته بجروح بليغة.

**رابعاً: تصعيد الاعتداءات على قطاع غزة، ولاحقة الفدائيين، ومحاولة تفتيت القطاع:**

في الحقبة التي مازلنا بصددها، حاول العدو الصهيوني استثمار الوهن الذي حل بالمقاومة عقب خروجها القسري من الأردن. فاعتقد أن باستطاعته توظيف الوضع المستجد للاحاق الهزيمة النهائية بمقاتلي قطاع غزة، وهم الذين أذاقوا الأمرتين قبل الاحتلال الأول عام 1956 وبعده، وخلال الاحتلال الثاني عام 1967 وما تلاه.

فمع بدء الهجمات الصهيونية بإيقاعها العالي عام 1970، اضطررت مجموعات المقاومة إلى التراجع والذوبان في المحيط، (وفقاً لمبادئ حرب العصابات، "إذا تقدم العدو وجب التراجع، وإذا تراجع وجب التقدم"). لكن العدو استغل هذا التراجع لزرع العديد من المستوطنات على الأرض تباعاً، حتى بلغ تعدادها بعد عدة سنوات 21 مستوطنة كانت قادرة على قطع الطريق بين شمال القطاع ووسطه وجنوبه متى شاءت، وباتت أيضاً تملك القدرة على فصل شرق القطاع عن غربه، هذا فضلاً عن زرع عشرات الآلاف من المسلحين الصهاينة على أرض القطاع هم سكان تلك المستوطنات. كل هذه الإجراءات كانت بغرض إخماد جذوة المقاومة وامتصاص عنوانها.

وقبل إسدال الستار على هذه الحقبة، تجدر الإشارة إلى أن الفترة الزمنية من عام 1970 إلى 1975 على الرغم من قصرها، فقد شهدت جهوداً مضنية من قادة المقاومة الفلسطينية لاستعادة توازنها الممسوح على أرض الأردن، يضاف إلى ذلك انطلاق حرب الاستنزاف على الجبهة المصرية التي بدأت في تشرين الثاني 1970 فزادت من إرهاق العدو، واستفحلت أزماته.

جاءت حرب تشرين المجيدة عام 1973 التي شنتها الجيشان السوري والمصري ضد الكيان الصهيوني، لتكون فرصة للمقاومة لأخذ دورها في هذه الحرب المشرفة، فقد شاركت المقاومة الفلسطينية بكل فصائلها وعلى مختلف

الجبهات، بشن هجمات على مؤخرات جيش العدو الصهيوني وفي عميق دفاعاته، من خلال جبهة الجولان وجنوب لبنان والضفة الغربية والأرض المحتلة عام 1948 وقطاع غزة. علماً بأن اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وجهت نداءً إلى الأردن للسماح بدخول مقاتلي الثورة الفلسطينية ليقاتلوا ضد العدو في الأرض المحتلة عبر نهر الأردن، غير أن السلطات الأردنية رفضت السماح بعودة الفدائيين.

لقد تمثل دور المقاومة الفلسطينية في حرب تشرين المجيدة بالنشاط الذي أدىته على جبهاتها، فما إن ابتدأ القتال حتى ضاعت المقاومة بمختلف فصائلها نشاطها العسكري، واشترك جيش التحرير الفلسطيني في المارك التي جرت على الجهتين. وكان لهذا الجيش دوره البارز، إذ أُسندت قيادتاً الجبهتين إلى قطعاته مهمات قتالية عدّة.

ولا يبالغ إذا قلنا: إن المقاومة الفلسطينية فتحت جبهة عمليات ثالثة، إلى جانب الجبهتين المصرية والسورية. وقد كان عمق أراضي فلسطين المحتلة هو مسرح عملياتها ومقصد مقاتليها، فقد نشطت فصائل المقاومة ووحدات الفدائين في الجليل الأعلى والضفة الغربية وقطاع غزة، ونفذت خلال الأيام العشرة الأولى أكثر من مئة عملية كان لها تأثيرها المباشر في رفع الروح المعنوية للشعب العربي الفلسطيني في الأراضي المحتلة، وفي إلحاق الضرر بمرافق العدو وخطوط مواصلاته ومراكز تموينه وقوافله العسكرية<sup>(13)</sup>.

باختصار كانت حقبة ما بعد الأردن 1970 – 1975 غنية بالأحداث والمستجدات، أسست لحقبة جديدة فرضت نفسها بقوة على معادلة الصراع العربي - الصهيوني، فخلقت خلاً استراتيجياً انعكس سلباً على حركة المقاومة، دفعت فاتورته ثمناً باهظاً، لا يقل عن الثمن الذي دفعته في الأردن.

### الحقبة السادسة: الانخراط بالحرب الأهلية اللبنانية من عام 1975 حتى 1982

إن أهم ما ميز هذه الحقبة هو بدايتها ونهايتها، فقد استهلت بنشوب الحرب الأهلية اللبنانية التي استمرت خمسة عشر عاماً، وانتهت (أي الحقبة وليس الحرب الأهلية) بالاجتياح الصهيوني لمدينة بيروت، وطرد فصائل المقاومة من لبنان، كما طردوا من الأردن، وتشتتهم بين اليمن والسودان وتونس والجزائر. لتجسد الهزيمة الإستراتيجية الثانية على ساحة لبنان الصامد. وتلخصت أحداث هذه الحقبة بالآتي:

### أولاً: التورط الفلسطيني بالحرب الأهلية :

للحرب الأهلية اللبنانية التي اشتعلت في 13 نيسان 1975 أسباب مباشرة وأخرى غير مباشرة، فمن الأسباب المباشرة مرور حافلة ركاب تقل عناصر من الجبهة الشعبية - القيادة العامة في عين الرمانة متوجهة إلى مخيم تل الزعتر شرق العاصمة بيروت، وهم يرفعون الأعلام الفلسطينية ويهتفون لفلسطين، عقب انتهاء احتفالهم بتأسيس جبهتهم في مخيم شاتيلا، مما أثار غيظ الانعزاليين الذين بادروا بإطلاق النار على الحافلة فقتلوا 27 عضواً من الجبهة، فتحركت التعزيزات للاحقة القتلة، وتدخلت قوة كبيرة من الانعزاليين، مما أدى لتدخل فصائل المقاومة الفلسطينية إلى جانب القيادة العامة، وتدخل أحزاب انعزالية أخرى لتقف مع القتلة، الأمر الذي استدعي وقوف القوى الوطنية اللبنانية إلى جانب المقاومة، ثم دخول "إسرائيل" على الخط فيما بعد، وهكذا اتسعت دائرة الصراع لتشمل لبنان كله.

أما الأسباب غير المباشرة فهي كثيرة بين اجتماعية واقتصادية وسياسية، لكن الأهم هو انقسام الشارع اللبناني إلى قسمين: الأول، مؤيدو الرئيس الراحل حافظ الأسد بسبب سياساته الميدانية، وخطه الوطني التقدمي المعادي للاستعمار والصهيونية وأذنابهما، ووقفه الصارم إلى جانب الأحزاب الوطنية اللبنانية، والمقاومة الفلسطينية. والثاني أتباع الكيان الصهيوني ومؤيديه، وأصحاب المصلحة في بقائه على الأرض الفلسطينية كأقلية يهودية في محيط عربي معاً، تماماً كالانعزاليين اللبنانيين في محيط عربي يرفض التعرارات الطائفية والتصنيف الإثنى وفكر الانعزال.

بعد قرابة تسعه أشهر من الحرب الأهلية، وفي 6 كانون الأول 1975 عُثر على أربعة جثامين ينتهي أصحابها للتيار الانعزالي، مما دفع الانعزاليين إلى اقتحام مخيم الكرنتينا الواقع في المنطقة الشرقية من بيروت وقتل 1500 من الفلسطينيين، وهدم كل "براكياته" ومنشآته وأزيل المخيم عن الأرض، وعندما اشتد أوار الحرب لم يكتف الانعزاليون بفعلتهم التي لم يحاسبهم عليها أحد، فكرروا في 12 آب 1976 ما فعلوه في الكرنتينا، واقتحموا مخيم تل الزعتر الذي يقع في القسم الشمالي الشرقي من بيروت ذي الأغلبية الانعزالية، وقتلوا 3000 من

---

الفلسطينيين وأزالوا المخيم عن الوجود<sup>(14)</sup>. أدت هاتان المجزرتان إلى هجرة جماعية للMuslimين والمسيحيين، وانقسمت بيروت إلى قسمين عرفا بـ "المنطقة الشرقية" بأغلبية مسيحية. وـ "المنطقة الغربية" بأغلبية مسلمة.

### **ثانياً: تشكيل قوات الردع العربية ووصولها إلى بيروت.**

في شهر حزيران 1976 طلب الرئيس اللبناني سليمان فرنجية من سوريا التدخل لوقف الحرب، فلبت سوريا الطلب. وفي تشرين الثاني 1976 وافقت سوريا على اقتراح القمة العربية في الرياض<sup>(15)</sup>، والذي أعطى لسوريا حق الاحتفاظ بـ 40 ألف جندي هي جوهر قوات الردع العربية التي كانت مهمتها فك الاشتباكات واسترجاع الأمن. أما الدول العربية المشاركة بقوات الردع العربية فهي: سوريا، لبنان، السعودية، السودان، اليمن الجنوبي(قبل وحدة اليمن)، والإمارات العربية المتحدة.

وصلت هذه القوات إلى لبنان خلال الحرب الأهلية، وأسندت قيادتها إلى اللواء (المقدم في ذلك الوقت) سامي الخطيب<sup>(16)</sup>، في محاولة لحقن الدماء وضبط الأمن. إلا أن الدول المشاركة سرعان ما فقدت الاهتمام بوقف الحرب، فانسحبت جميعها تاركة عباء استرجاع الأمن والنظام على عاتق سوريا<sup>(17)</sup>.

### **ثالثاً: الجيش الصهيوني يجتاح الجنوب اللبناني ويقطع شريطاً حدودياً:**

في الصباح الباكر من يوم 15/3/1978 كان عدوان القوات "الإسرائيلية" على جنوب لبنان، الذي استمر ستة أيام متالية. فقد وجدت القيادة "الصهيونية" في العملية التي نفذها مقاتلو حركة فتح في داخل الأرض المحتلة يوم 11/3/1978، (عملية كمال عدوان الآتي ذكرها)، ذريعة لهذا العدوان، على الرغم من أن الشواهد كلها تدل على أنها خططت له منذ أمد بعيد، وانتظرت الوقت الملائم للتنفيذ. وتكمّن وراء رغبة "إسرائيل" في السيطرة على جنوب لبنان عوامل عددة هي:

- 1- العامل الديني: إذ يدّعى الصهاينة أن جنوب لبنان يدخل ضمن حدود أرض الميعاد التي ورد ذكرها في التوراة.

2 – العامل الاقتصادي: المتمثل في التعطش لمصادر المياه، لاسيما نهر الليطاني، عملاً بنصيحة "بن غوريون" أول رئيس وزراء للكيان الصهيوني.

3 – العامل الأمني: الذي يُعدّ الليطاني مانعاً طبيعياً يُسهل عملية الدفاع، ويعرقل عبور الفدائيين.

4 – العامل الفلسطيني: وهو العامل المباشر المهم، لأن وجود قوات المقاومة الفلسطينية في هذه المنطقة (جنوب الليطاني)، يشكل مصدر قلق وخطر دائمين على سكان المستعمرات الشمالية في الكيان الصهيوني. وقد أدى وجود الفدائيين في جنوب لبنان إلى هجرة بعض الصهاينة إلى الداخل، وبقاء الآخرين في حالة استثار دائم.

5 – استغلال الحرب الأهلية في لبنان، وإنشاء جيب طائفي على طول الحدود وبعمق 40 كم حتى الليطاني يكون بأمرة ضابط متعاون مع "إسرائيل" في جنوب لبنان.

في مجريات العدوان الصهيوني لم تكن المهمة سهلة رغم حشد قرابة 30 ألف جندي مع ألوية الدبابات والمدفعية والقوات الخاصة وسلاح الطيران والبحرية، فقد قاتل الفدائيون الفلسطينيون ببسالة في الجنوب اللبناني، تساندهم الأحزاب الوطنية اللبنانية، وقد استطاعت تلك القوات المشتركة من منع وصول العدو إلى نهر الليطاني لاتخاده مانعاً مائياً يفصل بين لبنان وجيشه الاحتلال الصهيوني. كما حالت تلك القوات دون احتلال العدو لمدينة صور، هذا فضلاً عن تكبده خسائر جسيمة في الرجال والعتاد. وقد أسفر هذا العدوان عن اقطاع شريط حدودي بعمق 10 كم أسدت قيادته لضابط لبناني عميل للعدو يسمى الرائد سعد حداد.

**رابعاً: استمرار العمليات النوعية الفلسطينية والرد الصهيوني عليها:**

رغم ضراوة الحرب الأهلية اللبنانية، فإن الاشتباكات مع الانعزاليين لم تمنع المقاومة منأخذ دورها النضالي ضد المحتلين الصهاينة، فنشرت العمليات على الساحة الأوروبية والعمليات الاستشهادية، وفي المقابل لم تتوقف أعمال الاغتيالات الصهيونية لقادة المقاومة. فعلى صعيد العمليات الخارجية تأتي في طليعة عمليات هذه الحقبة ما عرفت بـ"عملية عنزيبي":

• عملية "عنيبي" أوغندا 3 تموز 1976.

في حوالي الساعة التاسعة صباحاً في يوم 27 حزيران 1976 أقلعت الرحلة 139 التابعة للخطوط الجوية الفرنسية من مطار اللد في فلسطين المحتلة، إلى باريس عبر أثينا. كان هناك 58 راكباً إضافياً على الائحة في أثينا من ضمنهم رجل وامرأة ألمانيان وشخصان من العرب. ثمانين دقائق بعد الإقلاع من مطار أثينا، اختطفت الطائرة وعلى متنها 256 راكباً والمخطفون من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. بعد أربع ساعات من التحليق هبطت الطائرة في مطار بنغازي بليبيا للتزوّد بالوقود والتوجه لمطار عنبي في أوغندا.

في عنبي تم نقل الرهائن إلى أحد المباني الفرعية القديمة بالمطار بحراسة الجنود الأوغنديين، ثم ألقى الرئيس الأوغندي عيدي أمين خطاباً حماسياً داعماً للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وعلى الأثر أطلق المختطفون سراح جميع الركاب، باستثناء من يحمل جنسية الكيان الصهيوني. حاول الصهاينة مفاوضة عيدي أمين الرئيس الأوغندي الذي كان داعماً لمنفذ العملية الفدائية من دون جدوى.

يوم 3 تموز أقلعت من مطار شرم الشيخ أربع طائرات على متنها 200 جندي من وحدات مختلفة، وشارك فيها عناصر من لواء المظليين ولواء النخبة "جولاني". وبعد هبوط الطائرات تم استخدام سيارة مرسيدس سوداء وعدد من سيارات الجيب التي تشبه سيارات الجيش الأوغندي لإيهام الجميع أن الرئيس سياد بري حضر للمطار مع حرسه ومرافقه. وعند الوصول إلى القاعدة التي يحتجز فيها الرهائن قاموا بالاشتباك مع الفدائيين وجنود من الجيش الأوغندي، واستشهد الفدائيون بعد 90 دقيقة من المواجهة العنيفة، وقتل في العملية 45 جندياً أوغندياً، وتم تدمير 11 طائرة مقاتلة من طراز ميج 17 سوفيتية الصنع، كانت تحط في المطار لمنع الطائرات الأوغندية من ملاحقتهم عند انسحابهم. وقتل في العملية أربعة جنود صهاينة. ومن بين القتلى الصهاينة كان قائداً إحدى الوحدات التي شاركت في العملية وهو "يونتان نتنياهو" شقيق "بنيامين نتنياهو" رئيس الوزراء الصهيوني في الحكومة الحالية، كما أصيب الملائم الأول "سورين هيرشكوف" إصابة بلغة في العمود الفقري جعلته قعيداً مدى الحياة.

• عملية كمال عدوان 14 آذار 1978 :

في صباح 14 آذار 1978 نزلت مجموعة استشهادية مؤلفة من 13 مقاتلاً بقيادة دلال مغربي من سفينة كانت تمر أمام الساحل الفلسطيني، واستقلت المجموعة قاربين مطاطيين ليوصلها إلى الشاطئ في منطقة غير مأهولة، ونجحت عملية الإنزال والوصول إلى الشاطئ، ولم يكتشفها "الإسرائيليون".

نجحت دلال وفرقتها في الوصول إلى الشارع العام المتوجه نحو تل أبيب، وقامت بالاستيلاء على باص عسكري "إسرائيلي"، وكان هذا الباص متوجهاً إلى تل أبيب، حيث أخذته بهم فيه كرهائن، واتجهت نحو تل أبيب، وكانت تطلق النار خلال الرحلة مع فرقتها على جميع السيارات الإسرائيلية التي تمر بالقرب من الباص الذي سيطرت عليه مما أوقع مئات الإصابات في صفوف جنود الاحتلال خاصة أن الطريق الذي سارت فيه دلال كانت تستخدمه السيارات العسكرية لنقل الجنود من المستعمرات الصهيونية في الضواحي إلى العاصمة تل أبيب.

لحقت وحدات كبيرة من العربات المدرعة وطائرات الهيلوكوبتر بقيادة "يهودا باراك" الباص المخطوف إلى أن تم تعطيله قرب مستعمرة "هرتسليا" .. هناك اندلعت حرب حقيقية بين المجموعة وقوات الاحتلال، حيث فجرت المجموعة الباص بركابه الجنود فقتلوا جميعاً وقد سقط في العملية عشرات الجنود من الاحتلال، ولما فرغت الذخيرة من المقاتلين، أمر "باراك" بحصد الجميع بالرشاشات فاستشهدوا كلهم على الفور<sup>(18)</sup>.

• عملية نهاريا الأولى 22. نيسان 1979 :

في 22 نيسان 1979 انطلقت بحراً من جنوب لبنان مجموعة مؤلفة من أربعة مقاتلين ينتمون لجبهة التحرير الفلسطينية، فوصلت إلى ساحل مدينة نهاريا شمال فلسطين المحتلة. اقتحمت أحد المنازل وتتابعت المسير حتى شارع "جابوتسكي" في نهاريا، ثم اقتحمت عمارة سكنية وتبادل إطلاق النار مع بعض السكان المسلمين، فأخذ المقاتلون بعض الرهائن وتوجهوا نحو الشاطئ. لاحق رجال الشرطة المجموعة واحتسبوا معها، وأسفر الاشتباك عن قتل خمسة من الصهاينة وجرح آخرين، واستشهاد مقاومين اثنين، واعتقل اثنان آخران بعدما استقر في جسم كل منهما عددٌ من رصاصات العدو، وأودع سمير القنطار عميد الأسرى في سجن الاحتلال ثلاثين عاماً حتى تحريره بعملية تبادل مع حزب الله في 16 تموز 2008.

ويستمر العدو الصهيوني بسياسة الاغتيالات لقادة المقاومة الفلسطينية، ففي تموز 1979 تم في مدينة "كان" جنوب فرنسا اغتيال زهير محسن أمين سر منظمة طلائع حرب التحرير الشعبية - قوات الصاعقة، عضو القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي في سوريا، وعضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، ورئيسدائرة العسكرية فيها.

### الحقبة السابعة: الاجتياح والإبعاد عام 1982

ظل حلم الاستيلاء على نهر الليطاني يراود قادة الصهاينة، رغم فشلهم بتحقيقه عام 1978، ففي صباح 4 حزيران عام 1982 بدأت القوات الصهيونية بقصف جوي ومدفعي كثيف على مدينة صيدا وقرى النبطية والدامور وتبين وعرنون وقلعة الشقيف الاستراتيجية، ثم بدأ الجيش الإسرائيلي "بفزو بري للأراضي اللبنانية في 6 حزيران 1982. أما هدف الهجوم - حسبما أعلن الصهاينة - فيرمي لدفع الفدائيين الفلسطينيين وصواريخ الكاتيوشا شمالاً لمسافة 40 كم عن الحدود، ثم عُدلت الأهداف لاحقاً إلى طرد كل القوات الغربية من لبنان، والمقصود بذلك مقاتلو المقاومة الفلسطينية وجندو الجيش العربي السوري الذي دخل لبنان بطلب رسمي من رئيسه، وبتكليف من الجامعة العربية.

شن العدو هجومه بقوات ضخمة بلغت نحو 75 ألف جندي، وتم اجتياز الواقع التي يشغلها 7000 جندي من القوات الدولية بكل سهولة ومن دون أي إجراء. وتقدمت القوات الإسرائيلية على عدة محاور تجاه العاصمة بيروت، ولكنها واجهت مقاومة عنيفة على أيدي القوات السورية، ومقاتلو المقاومة الفلسطينية، ولاسيما في مخيمات الجنوب اللبناني، وواجهه الجيش الإسرائيلي مقاومة شرسة عند محاولته احتلال قلعة شقيف الاستراتيجية.

وعلى الرغم من العداون المباغت فقد تمكّن الجيش العربي السوري من وقف تقدم القوة الصهيونية المتوجهة إلى ضهر البيدر، وقاتل فيما بعد بشراسة في البقاع وكبد الجيش العدوان خسائر فادحة. وبعد احتلال الصهاينة لقلعة الشقيف تم تسليمها إلى العميل سعد حداد قائد جيش لبنان الجنوبي.

بعد أيام من العدوان سقطت صيدا وصور والدامور معاقل منظمة التحرير الواحدة تلو الأخرى، وبدأت التشكيلات الصهيونية بالتقدم نحو الطريق الرئيسي الذي يصل بيروت بدمشق، مخترقة منطقة الشوف الواقعة في الجزء الجنوبي من جبل لبنان. واشتبك الجيش العربي السوري مع الجيش الصهيوني وجهاً لوجه، دفاعاً عن العاصمة اللبنانية.

وفي 9 حزيران 1982 وصل جيش الاحتلال إلى مشارف بيروت، وهناك قاتلت القوات السورية مع المقاومة الفلسطينية قتالاً عنيفاً، وبخاصة اللواء 85 ميكا. فعلى الرغم من حصاره قاتل بعناد، وتمكن من فك الحصار. وفي اليوم نفسه قام سلاح الجو الصهيوني بقصف عدة مواقع للدفاع الجوي السوري، ووقعت اشتباكات جوية عنيفة ضخمة بين 60 مقاتلة سورية و90 مقاتلة إسرائيلية. وتكررت الاشتباكات الجوية الضاربة مرة أخرى بين الطائرات السورية وعددها 200 طائرة، وما يقاربها من الطائرات الصهيونية.

وجرت معركة برية في منطقة السلطان يعقوب يوم 12 حزيران، حيث اشتبك لواء مدرع سوري، تسانده قوة من فصائل المقاومة الفلسطينية، مع لواء مدرع "إسرائيلي". وبعد مواجهات عنيفة انتصرت القوات العربية السورية انتصاراً مشهوداً، وتم الاستيلاء على عشرات الدبابات الصهيونية بعد فرار أطقمها، إضافة إلى إسقاط طائرتين معاديتين من طراز إف 104 (فاتنوم). وفي يوم 14 حزيران 1982 دخل الجيش الصهيوني شرق بيروت، وطوقت قواته القسم الغربي منها، والذي كان معقلأً رئيساً للفدائيين الفلسطينيين.

مع اقتراب نهاية شهر حزيران كان هناك 100 ألف جندي "إسرائيلي" في لبنان، بينما وصل عدد القوات السورية إلى 40 ألف جندي. وكان هناك 11 ألف مقاتل فلسطيني بسلاحهم الخفيف. وفي مطلع شهر تموز قام الجيش الصهيوني بفرض حصار على غرب بيروت، قاطعاً وصول المواد الغذائية والماء إلى تلك المنطقة، وتم منع الانتقال بين شطري بيروت، واستمر القصف "الإسرائيلي" لغرب بيروت بصورة متغيرة طوال شهر تموز. وفي 12 آب 1982، ومع الاقتراب من الوصول إلى اتفاق وشيك حول آلية مغادرة المقاتلين الفلسطينيين لبيروت، قام قادة الاحتلال بحركة مbagha، حين قام سلاح الجو الصهيوني بشن أعنف قصف جوي ومدفعي

---

وبحري على بيروت استمر لعشر ساعات متواصلة، وأدت هذه الحركة غير المتوقعة لأن يتصل "ريغان" هاتفياً مع "مناحيم بیغن" معرباً عن استيائه الشديد من ذلك التصرف، وقد توصل الطرفان المتحاربان لاتفاق على وقف إطلاق النار في 18 آب بوساطة المبعوث الأميركي فيليب حبيب. وفي يوم 19 آب خفت "إسرائيل" من حصارها لغرب بيروت، وسمحت لإمدادات الصليب الأحمر بدخول بيروت الغربية.

أما الجيش اللبناني فلم يتدخل في الصراع نهائياً، وبقي على الحياد، وأما المقاتلون الفلسطينيون فقد كانوا جنباً إلى جنب مع المقاومة الوطنية اللبنانية في خندق واحد، ومعهم قوات الجيش العربي السوري، يتصدون لجيش الفزو بكل بسالة، شهد بها العدو قبل الصديق.

ومن الإنصاف هنا أن ندفع الظلم الذي لحق بسوريا وجيشه العظيم، ذلك الظلم الذي سببه الفارون من واجبهم القومي الذين انسحبوا من قوات الردع تاركين عباء استعادة الأمن في لبنان على عاتق سوريا. فمن سخريات القدر، أن يحط الوضع من قدر الرفيع، ولكي نرد على افتراءات من زعموا أن سوريا لم تقاتل في لبنان ندرج بعضاً قليلاً جداً من شهادات الأعداء قبل الأصدقاء.

- فهذه جريدة "يديعوت أحرونوت" قالت في 11/6/1982: «الرائد» ميشيل بوخنيل "قائد كتيبة دبابات إسرائيلية" في اليوم الخامس من الغزو قال: إنه فقد من كتيبته 22 دبابة وقتل من وحدته 18 عسكرياً من مختلف الرتب وأصيب 87 آخر في جروح مختلفة، وإنه أصيب في المعركة وقد ساقه، ويكمّل الرائد: لقد أصبت بالذهول عندما شاهدت قائد اللواء العقيد الركن "أفيغدور شراير" جثة هامدة بجانب دبابته التي دمرها السوريون».
- كتب "زئيف شيف" المراسل العسكري في جريدة هارتس يوم 11/6/1982: «لقد اتسعت المعرك يوم 10/6/1982 بين السوريين والقوات الإسرائيلية، واندلعت معارك عنيفة بالدبابات والمدفعية حول بحيرة القرعون».
- "أمير دوري" قائد المنطقة الشمالية قال: «يجب عدم الاستهانة بالسوريين، فالجنود السوريون قاتلوا بشكل جيد».

- اعترف "شارون في" 11/6/1982: «أن الجيش السوري فتح منذ اليوم الأول للقتال، نيران المدفعية على وحداتنا المقدمة، وزج بطائراته ضد طائراتنا وذلك ما عرقل تقدم قواتنا».
- اعترف "زئيف شيف" في صحيفة "هارتس" الصادرة في 15/6/1982، بضراوة المعارك بين الدبابات "الإسرائيلية" وال叙利亚، وأنه قد جرت معارك عنيفة جداً بالدبابات من مسافات قصيرة، وأصيبت الدبابات "الإسرائيلية" خلال هذه المعارك بإصابات كثيرة<sup>(19)</sup>.
- النشرة الاستراتيجية البريطانية العدد 16 تاريخ 9/9/1982: «لقد أكد عدد كبير من القادة "الإسرائيليين" في مقابلات أجرتها معهم بعض الصحف "الإسرائيلية" أن القتال في البقاع كان ضارياً للغاية، وأنه أشد من معارك تشرين الأول 1973.
- مجلة "لونفيل أوبرفاتور" الصادرة في 15/10/1982 قالت: «السوريون قاتلوا بضراوة وبشكل رائع أكثر مما كان يتوقعه [البعض]، فقد استطاع السوريون إيقاف تقدم الأرتال الثلاثة "الإسرائيلية" خاصة الرتل الذي كان في الوسط. لقد طلب قائد هذا الرتل المحاصر الدعم الجوي والمدفعي ليتاح له الخروج من الحصار».

في مطلع شهر تموز أحكم جيش العدو حصاره على غرب بيروت، قاطعاً طرق الإمداد بالمواد الغذائية والماء، ومنع وصولها إلى تلك المنطقة، واستمر مقاتلو المقاومة الفلسطينية والمقاومة الوطنية اللبنانيّة في الدفاع عن بيروت بصورة مذهلة، واستمر هذا الصمود حتى طلبت القوى الوطنية اللبنانيّة من منظمة التحرير الفلسطينيّة الموافقة على وقف القتال، والقبول بشروط مغادرة بيروت، لأنّ شعب بيروت لم يعد يحتمل.

في 18/8/1982 توصل الطرفان إلى اتفاق لوقف إطلاق النار بوساطة المبعوث الأمريكي "فيليب حبيب"، وفي اليوم التالي خفف العدو من حصاره لغرب بيروت، وسمح لإمدادات الصليب الأحمر بدخول الشطر الغربي من بيروت. وقدم "رونالد ريغان" ضمناً شخصياً للمقاتلين الفلسطينيين بالحفاظ على أنفسهم في آشاء المغادرة، وأمن عائلاتهم إذا ما غادروا إلى تونس.

---

وعلى الرغم من أنه كانت هناك اقتراحات من قيادات فلسطينية قدمت لعرفات بالتوجه إلى دمشق، لكن عرفات استمع للوعود الأمريكية التي روجت بأنه يمكن إيجاد حل للقضية الفلسطينية بعيداً عن دمشق. وتحقق هدف العدو بنفي المقاتلين، من لبنان إلى منافٍ بعيدة، لينعم العدو بعد ذلك بالأمن الذي كان ينشده منذ تأسست دولة الكيان الصهيوني. وغادر المقاتلون على متن سفينة يونانية وحماية دولية إلى تونس، وسلم الفدائيون سلاحهم الثقيل إلى المقاومة الوطنية اللبنانية، وغادرت آخر دفعة من المقاتلين في 30/8/1982.

في هذه الفترة كان رؤساء الدول العربية قد اجتمعوا في فاس 6/9/1982، وطرحوا مشروعَاً للتسوية السلمية يتضمن اعترافاً بحق جميع دول المنطقة (بما فيها دولة الكيان الصهيوني) في العيش بسلام. ولم يتم اتخاذ أية قرارات لرفع المعاناة عن الشعب اللبناني والمقاومة الفلسطينية، ورضخت منظمة التحرير لمشروع التسوية. أعقاب ذلك دخول الجيش الصهيوني إلى بيروت الغربية، وانتهاء ولاية الرئيس اللبناني الياس سركيس، وانتخاب بشير الجميل رئيساً للبنان تحت الحرب الصهيونية، وفي 14/9/1982 تم اغتيال بشير الجميل، وانتقاماً لهذا الاغتيال قام العدو الصهيوني بحصار مخييمي صبرا وشاتيلا، ثم دخلت ميليشيات الكتائب اللبنانية، وارتكبت مجزرة دموية شنيعة. كان دور العدو فيها إحكام الحصار على المخيمين ومنع سكانهما من الهرب، هذا فضلاً عن إلقاء قنابل الإنارة طوال الليل لتسهيل عمليات القتل والإبادة الجماعية، يضاف إلى ذلك قيامه بالإمداد اللوجستي من طعام وذخائر. وأسفرت هذه المجزرة عن استشهاد 3500 شهيد فلسطيني.

وبعد أسبوع من المجزرة 21/9/1982 انتخب البرلمان اللبناني تحت الحرب الصهيونية أيضاً أمين الجميل، شقيق بشير الجميل رئيساً للبنان، ليكمل ما بدأه شقيقه.

وهكذا أسدل الستار على مشهد الاجتياح والإقصاء الذي كان مأساوياً بكل المعايير، فقد طرد الثقل الثقيل الرئيس للمقاومة الفلسطينية من لبنان، إلى منافٍ بعيدة في تونس والسودان واليمن والجزائر، وكان أقربها إلى فلسطين هو منفى

السودان الذي يبعد أكثر من 2500 كم عن فلسطين. وتضييع المسؤولية عن هذا التشتت والتبعثر والتشظي، ويتبرأ الجميع من تلك النهاية المؤلمة لثورة تعب اللاعبون الكبار من طول أمدها، فلا هم تركوها لغيرهم، ولا أفلحوا في تحقيق نصر يحرر الأرض، ويعيد الحقوق<sup>(20)</sup>.

### الحقبة الثامنة: الانتفاضة الأولى تسحقها أوسلو من عام 1982 حتى 1993

جاءت أولى ردود الأفعال على عملية إقصاء المقاتلين عن ساحة القتال في لبنان، بقيام انتفاضة في حركة فتح بقيادة العقيد أبو موسى<sup>(21)</sup> في 9 أيار 1983. ومنذ اللحظات الأولى لخص قادة الانتفاضة أهدافهم في معارضه الفساد والاستبداد، ورفض التخلص من الكفاح المسلح، ورفض التسويات الأمريكية التي من شأنها تقوية المقاومة، وهذا الحدث المستجد فرض نفسه على الأرض بعد حروب طويلة منهكة، كان بعضها (فلسطيني - فلسطيني)، وبعضاها الآخر كان مع قوى لبنانية تعارض الوجود الفلسطيني في المخيمات، استغلت خلوها من المقاتلين الفلسطينيين، فشنت حرب إبادة ضد السكان في مخيمات لبنان، نجحت في إزالة بعضها عن وجه الأرض، لكن بعضها الآخر ظل قائماً رغم الحصار والدمار، والتكميل والاختطاف والقتل الجماعي، وعلى ضوء ذلك فإن ما تميزت به هذه الحقبة كان الآتي:

#### أولاً: المارك بين فتح الانتفاضة وفتح عرفات 1983 - 1985 :

في صباح 9 أيار 1983 اندلعت شرارة الانتفاضة في حركة فتح من موقع الصويري بالبقاع الأوسط في لبنان، حين أعلن كل من "أبو صالح" نائب قائد قوات العاصفة، والعبيدين "أبو موسى" و"أبو خالد العملة"، وعدلي الخطيب انشقاقهم عن حركة فتح أبو عمار، وتسمية تنظيمهم الوليد باسم "فتح الانتفاضة". ومع هذا الإعلان استنفرت كل الواقع التابعة لحركة فتح عرفات على الساحة اللبنانية، وبدأت المجموعات المؤيدة للحرك الجديد بالتحرك في البقاع للاستيلاء على قواعد فتح عرفات تباعاً. كانت بعض القواعد تبدي استعدادها طوعية للانضمام إلى فتح الانتفاضة، لكن بعضها الآخر كان يرفض ذلك فيحتكم للطرفان للسلاح، ليسقط العديد من الضحايا في صفوف الطرفين المتحاربين.

واستمرت الاشتباكات في تصاعد، وزحفت شمالاً إلى طرابلس، وواجه المعارضون عرفات تحديات كبيرة وعقبات حالت دون انضمام المؤيدين على النحو الذي شهدوه في البقاع، خاصة بعد وصول عرفات بحراً قادماً من تونس، متকراً بزي شيخ جزائري، وقد استطاع تجنيد العديد من القوى والحركات الإسلامية في طرابلس، لاسيما حركة التوحيد برئاسة سعيد شعبان، فضلاً عن عديد المجموعات السلفية أو الصوفية، مستفيداً من خلفيته الإخوانية في إقناعهم بالالتحاق بركبه، وقتل فتح الانتفاضة جنباً إلى جنب مع وحداته ومقاتليه.

إذاء هذا التطور الذي غير المعادلة العسكرية على الأرض لصالح عرفات توجه قادة الانتفاضة بطلب العون من الفصائل المناهضة لعرفات في ذلك الوقت، وعلى رأسها الجبهة الشعبية - القيادة العامة، والصاعقة، وجيش التحرير الفلسطيني الذين حركوا بعض قواتهم إلى طرابلس لمؤازرة فتح الانتفاضة. وهنا دبت الفوضى وأصبح الأخ يقاتل أخيه لمجرد انتتمائه لفصيل يغایر فصيله، وشهد العديد من الفصائل شروحاً وانقسامات جماعية وإفرادية، ونزوهاً غير مسبوق من هذا الفصيل إلى ذاك، وعم الوهن وسأله أوضاع المخيمات التي كانت ساحة لقتال شرس بين الأخوة، حلفاء الأمس أعداء اليوم.

في 20/12/1983 - أي بعد أقل من عام على بدء الاشتباكات - غادر ياسر عرفات طرابلس عائداً إلى تونس يصحبه 4700 مقاتل، قاصدين الجزائر والسودان واليمن، لاستكمال النفي لمن لم يطّلُهم النفي عام 1982، وهدأت أصوات المدافع والبنادق فترة وجيزة، سمحت للفلسطيني المكلوم بلعق جراحه قبل أن تبدأ ما سُمِّيت حينها بـ"حرب المخيمات".

### **ثانياً: حرب المخيمات من 1985 حتى 1987**

تحت شعار "ضبط حركة المقاومة ومنع عودة الحالة التي كانت سائدة قبل عام 1982"، ارتكبت بعض القوى الرافضة للوجود الفلسطيني على أرض لبنان، أبشع المجازر بحق سكان المخيمات، مستفيدة من فراغ الساحة اللبنانية من المقاتلين، وإن وجدوا في بعض الأماكن فهم مجموعات صغيرة لا تقوى حتى على حماية نفسها.

بدأت حرب المخيمات في شهر أيار عام 1985، واندلعت شراراتها الأولى من مخيم شاتيلا، حين حاصرته تلك القوات مدعومة باللواء السادس اللبناني، وشرعت بذك مخيمات صبرا وشاتيلا والداعوق بالمدفعية والدبابات، فأكملت ما حل بها من دمار عام 1982. وقام المحاصرون باقتحام مخيم الداعوق الذي يبلغ عدد سكانه 3000 نسمة، ولا تزيد مساحته عن مساحة ملعب كرة القدم، والذي يقع بين صبرا وشاتيلا، وقتلوا كل من شوهد حياً داخله بلا تمييز، وأزيلت منازل الفلسطينيين بالجرافات، ومسح المخيم تماماً عن وجه الأرض.

وكذلك الأمر لم يسلم مخيم شاتيلا المجاور، فقد دمرت نصف مبانيه بالمدفعية، دون أن يقتسم، وسقط الكثير من الضحايا من كل الأعمار. وبسرعة النار في الهشيم انتقلت هذه الأعمال المجنونة، لتشمل مخيمات لبنان كافة لاسيما في صيدا وصور، وارتكتبت بحق السكان جرائم لا توصف ل بشاعتتها. وكانت حدة الاشتباكات ترتفع وتيرتها وتنخفض، بحسب تدخل الوسطاء ونجاح مساميعهم. واستمرت هذه الحرب المجية من طرف واحد حتى 1986/10/5، حين تم الإعلان عن اتفاق وقف إطلاق النار من دمشق، تم توقيعه برعاية سورية بين طريق الصراع، وهو ما عرف باتفاق دمشق.

لكن، وعلى الرغم من الاتفاق، استمرت الأعمال العدوانية على المخيمات، ولم تتوقف على كامل الرقعة الجغرافية للبنان، لتكمل حرب الإبادة الجماعية بحق الفلسطينيين. وللإنصاف، لابد من القول: إن لبنان لم يخلُ من الشرفاء. فهذا حزب الله<sup>(22)</sup> يسجل موقفاً مشروفاً ينطلق من مبادئه الراسخة حين لم ينأ بنفسه عمما يرتكب من جرائم بحق المخيمات، فهو لم يتتردد عن زج طاقاته وقدراته في أتون المعارك دفاعاً عنمن لحق بهم الظلم، وقدم الشهداء والجرحى ثمناً لهذه المواقف.

كما اتخذت الحركات والأحزاب الوطنية اللبنانية موقفاً سياسياً رافضاً لمنطق الاعتداء على المخيمات وسكانها من الفلسطينيين، ويأتي في مقدمها الحزب الشيوعي اللبناني الذي أعلن بلسان أمينه العام: «إنّ ما يتعرض له الفلسطينيون إنما هو تمرير لأجنادٍ خطط لها ووضع سيناريوهاتها رجال أمن ومخابرات، وشارك في الذبح المباشر وغير المباشر، رجال امتهنوا القتل»، فدفع جورج حاوي أمين عام الحزب الشيوعي اللبناني حياته ثمناً لهذا التصريح.

---

واستمرت حرب المخيمات بين مدخل وحذر، مبادرة هنا واتفاق هناك، وخرق في مكان والتزام في مكان آخر، حتى جاءت الانتفاضة الأولى 1987 التي تعاطف معها معظم دول وشعوب العالم، فبدأت حرب المخيمات بالتخالد، حتى توقفت تماماً في تموز 1988.

### **ثالثاً: عملية الطائرات الشراعية التي أشعلت الانتفاضة الأولى 1987 - 1993 :**

في خضم حرب المخيمات المدمرة، وانحسار العمل العسكري المنطلق من جنوب لبنان، وطمأنينة المستوطنين في شمال فلسطين بعد خلاصهم ممن كان يؤرقهم، ارتات قيادة الجبهة الشعبية - القيادة العامة ضرورة القيام بعمل عسكري نوعي انطلاقاً من الجنوب اللبناني، يكون رسالة مزدوجة الاتجاه، وجهاًها الأولى الاحتلال الصهيوني ومفادها: «أتنا باقون ما بقي الاحتلال»، وجهاًها الثانية أبناء شعبنا الفلسطيني في الداخل والخارج مفادها: «مازلنا على العهد، نقاوم ولا نساوم». وأسندت هذه المهمة للقائد العسكري للأرض المحتلة، وهو مناضل عاش حياته في الظل، بعيداً عن الشهرة والأضواء، فاختار الهدف والوسيلة والمقاتلين، وأقام معسكراً للتدريب على هدف مشابه، وحدد زمان الانطلاق ومكانه.

في مساء 25/11/1987 تحرك سراً إلى الجنوب اللبناني برفقة الفدائين الطيارين وبعض معاونيه، وعلى الأرض مباشرة أعطى أمر القتال لمجموعة الشهيد أبو عمار أدهم، لتطلاق من توها بواسطة الطائرات الشراعية تجاه معسكر "غيبور للناحال" على مقرية من مستوطنة "كريات شمونة" (الخلصة)<sup>(23)</sup>، وهبطت الطائرات في مطار للحوامات الصهيوني، وتم اقتحام المعسكر بالرشاشات والقنابل اليدوية، ونجم عن هذه العملية مقتل 20 من الجنود الصهاينة وجرح 20 آخرين، واستشهاد الفدائي الطيار خالد أكر (سوري الجنسية) داخل المعسكر، وال vadai الطيار ميلود ابن الناجح نومة (تونسي الجنسية).

بعد 12 يوماً من العملية النوعية، الجديدة بأسلوبها وتحطيطها وتنفيذها، كان العالم [بما] فيه المستوطنون الصهاينة في الأرض المحتلة، لا يزالون يعيشون الصدمة والذهول جراء هذه العملية التي شكلت نقلة نوعية في نمط المقاومة وأسلوبها، حيث بدأ المستوطنون - حتى الذين يعيشون بعيداً عن الحدود - يفقدون الشعور بالأمن، لأن الطائرات الشراعية قادرة على الوصول إلى ما هو أبعد من المستوطنات الحدودية.

في هذه الأجواءالمبلدة بالشحنة، المفعمة بالتوتر والاحتقان السائدين في نفوس المستوطنين، قام أحد سائقي الجرافات الصهيونية على حاجز "إيرز" بدھس سيارة فلسطينية تحمل عدداً من العمال العائدين إلى منازلهم، مما أدى لاستشهاد ثمانية منهم، فكانت هذه الجريمة شارة البدء للانتفاضة الأولى التي عرفت باسم انتفاضة الحجارة.

في اليوم التالي 1987/12/8 انطلقت فعالية الانتفاضة من جباليا، موقع الاعتداء، ونزل المحتجون على الجريمة النكراء إلى شوارع البلد، وراحوا يقذفون جنود الاحتلال على حاجز "إيرز" بالحجارة، ثم اتسع إطار الاحتجاج ليشمل قطاع غزة كله، ولم تتأخر الضفة الغربية عن الاستجابة لنداء الوطن، فنزلت الجماهير إلى الشوارع، يملأ قلوبها الإيمان بعدلة قضيتها، وفي الأيدي حجارة يقذفونها في وجه جنود الاحتلال، وكان رد المحتلين المزيد من القنابل الدخانية والرصاص المطاطي والرصاص الحي في أكثر الأحيان، وبالتالي المزيد من الشهداء.

مع قدوم الخامس عشر من تشرين الثاني 1988 عقد المجلس الوطني الفلسطيني دورته الطارئة في الجزائر ليعلن قيام الدولة الفلسطينية المستقلة في غزة والضفة الغربية وعاصمتها القدس، وقبول قراري مجلس الأمن 242، و383. وسارعت دول العالم للاعتراف بهذه الدولة الوليدة على غرار الاعتراف الكاسح الذي حظيت به "دولة إسرائيل" حين أعلن عن قيامها "دافيد بن غوريون" عام 1948. لكن الفرق بين الإعلانين هو أن أول دولة اعترفت بـ"دولة إسرائيل" هي الولايات المتحدة، بينما أول دولة اعترفت بدولة فلسطين هي البحرين.

أما على صعيد البيت الفلسطيني فقد عُدَّ القبول بقرارى مجلس الأمن 242 و383 اعترافاً ضمنياً بـ"إسرائيل"، وبعد أقل من شهر ألقى ياسر عرفات خطاباً في الأمم المتحدة دعا فيه إلى ما أسماه "سلام الشجعان"، وعلى الأثر قررت الولايات المتحدة الأمريكية فتح حوار مع منظمة التحرير الفلسطينية.

في هذه الأثناء كانت الحرب العراقية - الإيرانية قد انتهت عام 1988. وفي 2 آب 1990 غزا صدام حسين دولة الكويت، فتسرب عرفات رئيس اللجنة التنفيذية بإعلان تأييد الشعب الفلسطيني لصدام حسين في غزو الكويت، فحفظتها أميرها لعرفات وشعب فلسطين. وفي 26 شباط 1991 عاد أمير البلاد ليحكم الكويت

---

بعد تحريرها وكان الإجراء الأول الذي قام به هو طرد الفلسطينيين منها ، وكان معظمهم من فلسطيني الضفة الغربية وقطاع غزة ، وعاد هؤلاء المطرودون إلى بلدانهم وأهليهم ، وبعد أن كانوا مصدراً لتمويل أسرهم بالمال ، أصبحوا عاطلين عن العمل مستهلكين لا منتجين . وكان من آثار ذلك أن خف صخب الشارع الذي كان يعيش بالمنتفسين ، وتقلص العنفوان وانخفضت الوتيرة.

#### رابعاً : اتفاق "أوسلو" 1993 أحمد لهيب الانتفاضة الأولى .

في عام 1993 توقفت فعاليات الانتفاضة تماماً بعد ست سنوات حافلات بالنضال الوطني الأمثلة ، ضرب خلالها الشعب الفلسطيني أروع الأمثلة في البطولة والفاء ، فقد قدم الشهيد تلو الشهيد حتى بلغوا 1300 شهيد ، وسقط من الصهاينة 160 قتيلاً . لقد توقفت الانتفاضة بعد الإعلان عن اتفاق "أوسلو" بين ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية وإسحق رابين رئيس الوزراء الصهيوني ، وتسويق الاتفاق على أنه انتصار لا انكسار ، وروجت له وسائل الإعلام المختلفة على أنه تحقيق للمطالب التي قامت لأجلها الانتفاضة ، وأن دواعي الاستمرار بها قد انتهت ، فانتهت الانتفاضة .

وحتى لا ندخل في متأهلات أوسلو ، نكتفي بتلخيص المهم فيها: فقد التزمت منظمة التحرير الفلسطينية على لسان رئيسها ياسر عرفات بحق دولة "إسرائيل" في العيش بسلام وأمن ، والوصول إلى حلٍ لكل القضايا الأساسية المتعلقة بالأوضاع الدائمة من خلال المفاوضات ، وأن إعلان المبادئ هذا يبدأ حقبة خالية من العنف ، وطبقاً لذلك فإن منظمة التحرير تدين استخدام الإرهاب وأعمال العنف الأخرى ، وستقوم بتعديل بنود الميثاق الوطني لتتماشي مع هذا التغيير ، كما ستأخذ على عاتقها إلزام كل أفراد منظمة التحرير بها ، ومنع انتهاء هذه الحالة وضبط المتهكين .

#### خامساً : استمرار الصراع بوتيرة عالية صهيونياً ومتعرجة فلسطينياً .

منذ العدوان الصهيوني على لبنان عام 1982 وحتى انتهاء العنف - بحسب المزاعم - بتوقيع اتفاقية أوسلو 1993/9/13 وما تلاها ، فإن جيش الاحتلال لم يكف عن ملاحقة رموز الشعب العربي الفلسطيني واغتيال قادته في الداخل وفي الشتات . وعلى الضفة الأخرى كان التراجع في الأعمال الميدانية واضحاً بجلاء ،

---

## **ثمانية وستون عاماً اكتملت من رحلة نضال لم تكتمل**

وتعود أسباب ذلك إلى تغريب معظم المقاتلين إلى منافיהם من جهة، وانشغال القسم الآخر بالصراعات الداخلية والدفاع عن المخيمات من جهة أخرى.

على أنّ الظاهرة الأهم في هذه الحقبة هي محاولة الطليعة الوطنية في الضفة الغربية وقطاع غزة استسلام راية الكفاح المسلح من يد الذين أجبروا على التخلّي عنها، بعد أن أرسلوا قسراً إلى المناية البعيدة. فمن رحم الانقضاض ولدت في الضفة الغربية نوّيات العمل العسكري الذي لم تعتد الضفة على ممارسته لظروفها الموضوعية. أما في قطاع غزة، حيث البدايات المبكرة للكفاح المسلح، فقد أعيد تنظيم الخلايا والمجموعات، وجهزت الإمكانيات واستكملت النواصص، وأعدت الخطط استعداداً لدور نضالي محوري قادم.

### **الحقبة التاسعة: عصر أوسلو من عام 1993 حتى 2000**

تميزت هذه الحقبة، من الناحية العسكرية، بحضور العمليات الاستشهادية في الضفة الغربية والقطاع، وشموليتها التي غطت أغلب المدن والمستوطنات، بما فيها القدس وتل أبيب، كما شهدت أولى المحاولات لصناعة الصواريخ في قطاع غزة. أما ما تبقى من الفصائل الفلسطينية المسلحة على الساحة اللبنانيّة فقد أصابها الوهن والتراخي، وتراجع الدور إلى الحد الذي اقترب من حد الانعدام، لكن الفراغ الحاصل في الجنوب اللبناني، عوّضه حزب الله بشن عملياته النوعية الناجحة على شريط لحد الجيش الصهيوني فيه.

وعلى المقلب الآخر استمر العدو بجرائمها البشعة وعملياته الاصطفائية لاغتيال القادة الفلسطينيين على مختلف الساحات. ومن الناحية السياسية وقعت بعض الأحداث التي كانت في مجلها ابتعاداً عن نهج المقاومة، وتصب في مصلحة العدو. وبناءً عليه، فقد تلخصت أحداث الحقبة سياسياً وعسكرياً بالبنود الآتية:

#### **أولاً: أحداث سياسية تزيد من فك الارتباط مع الكفاح المسلح:**

كان اتفاق أوسلو 13/9/1993 الخطوة الأولى على درب مليء بالألغام. فبعد خمسة أشهر من توقيعه - بما جلب للصهاينة من مكاسب بوقف الانقضاضة، وبما حمل من بنود تنص على انتهاء العنف - أقدم طبيب يهودي يدعى "باروخ غولدشتاين" على التسلل إلى الحرم الإبراهيمي ليلة النصف من رمضان، الموافقة لـ 25 شباط 1994، وفتح النار على المصلين فجراً وهم سجود، فقتل منهم 29 مصلياً، وجرح

150 قبل أن يقذفه أحد المصلين بجهاز إطفاء الحرائق، ثم ينهال عليه المصلون بالضرب حتى الموت.

لم يكن لهذا الفعل أي رد فعل من الجانب "الإسرائيلي" أو الفلسطيني، فالباحثات مستمرة وقد أفضت في 4 أيار 1994 إلى اتفاق في القاهرة حول ما سمي غزة - أريحا أولاً، الذي يعطي للفلسطينيين حكماً ذاتياً محدوداً في الضفة الغربية وقطاع غزة خلال 5 سنوات. ووفقاً لهذا الاتفاق وعد قادة الكيان الصهيوني بالانسحاب جزئياً من الضفة الغربية وقطاع غزة خلال ثلاثة أسابيع من تاريخ التوقيع، وعلى ضوء ذلك أقيمت السلطة الفلسطينية، وأصبح ياسر عرفات رئيساً لها في 5 تموز 1994، أي بعد أربعة أيام من دخوله إلى قطاع غزة.

وتتوالى الأحداث مسرعة، ففي الوقت ذاته الذي قامت فيه السلطة الفلسطينية في الضفة والقطاع، أعلن رئيس الوزراء الأردني عبد السلام المجالي عن "نهاية عصر الحروب". أعقب ذلك لقاء ضم "إسحق رابين" والملك حسين في البيت الأبيض بناء على دعوة من "كلينتون"، تبع ذلك توقيع الأردن ودولة الكيان الصهيوني اتفاق وادي عربة في 26 تشرين الأول 1994 على الحدود بين البلدين.

وعندما اشتد أوار العمليات الاستشهادية، وامتدت لتضرر عميق الاحتلال، واستشعر الصهاينة خطر التهديد الوجودي لكيانهم، سارعت الدول الحريصة على أمن "إسرائيل"، وفي مقدمتها الولايات المتحدة، بالدعوة لعقد مؤتمر دولي في شرم الشيخ أسموه تضليلاً "مؤتمر صانعي السلام"، وعليه فقد استضافت مصر في 13/3/1996 القمة الدولية بمشاركة 29 دولة، وكان الحضور العربي في المؤتمر ممثلاً بـ 12 دولة، وامتاع سورية ولبنان عن المشاركة في القمة بسبب الحضور الإسرائيلي، وقد ناقشت بشكل رئيس إنقاذ عملية السلام الفلسطينية - "الإسرائيلية"، وتوفير الأمن في المنطقة، ومكافحة العنف والإرهاب، ولفرط الخبث السياسي للراعي الأميركي فقد ربط استئناف المفاوضات بوقف أعمال العنف، (ويقصد بالعنف العمليات الاستشهادية)، واتخذ المؤتمر قرارات تعكس اهتمام دول العالم بمكافحة الإرهاب، بعده خطراً على السلام العالمي.

وفي 24 نيسان 1996 انعقد المجلس الوطني الفلسطيني ليصوت على إلغاء بنود الميثاق الوطني الفلسطيني التي تتعارض مع الاعتراف المتبادل بين الكيان الصهيوني ومنظمة التحرير. وفي 14/12/1998 صادق أعضاء السلطة الفلسطينية

---

ومنظمة التحرير في قطاع غزة، بحضور الرئيس الأمريكي "كلينتون" على إلغاء البنود التي تدعوا إلى تدمير "إسرائيل" وعدم الاعتراف بوجودها، وتحرير كامل التراب الفلسطيني. لكن - وعلى الرغم من هذه التنازلات المرعبة وطنياً - لم يقتصر قادة الكيان كعادتهم لم بهذا الإجراء، ورفض "نتيابو" الانسحاب من شبر واحد من الأرض المحتلة في الضفة الغربية وقطاع غزة، وحل "الكنيست" وطالب إجراء انتخابات مبكرة، كي يقوم غيره بتنفيذ خطوات الانسحاب التي لا يقرها.

**ثانياً: العدو يستمر في عمليات الاغتيال، ويبدأ بشن اعتداءاته على الجنوب.**

استمراراً في السياسة الإجرامية بملائقة قادة المقاومة وتصفيتهم، قام العدو الصهيوني خلال هذه الحقبة بعدة عمليات اغتيال، كان أهمها:

- اغتيال فتحي الشقاقي أمين عام حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، أمام فندق بجزيرة مالطا، بتاريخ 26 تشرين الأول 1995.
- اغتيال يحيى عياش الملقب بالمهندس، وهو خبير تجهيز الأحزمة الناسفة للعمليات الاستشهادية التي شهدتها الكيان الصهيوني منذ عام 1993، حيث وقع الاغتيال في 6 كانون الثاني 1996، في قطاع غزة عن طريق تفجير جهازه الخلوي.

وعلى صعيد الجنوب اللبناني شرع حزب الله اللبناني بشن عملياته النوعية في الشريط الحدودي ضد جيش الاحتلال لإرغامه على الانسحاب من الجنوب، وقد رد العدو بما أسماه "عملية تصفيه الحساب" أو "عملية الأيام السبعة" التي شنها طيران الجيش الصهيوني في تموز 1993 لمدة سبعة أيام متواصلة، بهدف القضاء على المقاومة اللبنانية ممثلة بحزب الله، مما أوقع الخسائر الجسيمة من الضحايا بين صفوف المدنيين.

لم تمض ثلاث سنوات على عدوان تموز 1993 حتى عاودت حكومة العدو انتهاج سياسة العدوان على لبنان، مسلحةً بدعم أمريكي، فأعدّت حكومة "شمعون بيريز" آنذاك العدة، وارتکب الاحتلال سلسلة اعتداءات ردّت عليها المقاومة باستهداف المستوطنات الشمالية، فاتخذت حكومة العدو من ذلك ذريعة لبدء عدوان وحشي في 11 نيسان 1996 استمر 16 يوماً، تحت اسم "عنقيد الغضب"، ونفذت الطائرات الإسرائيلية أكثر من 1100 غارة جوية ترافقت مع

قصف شامل بأكثـر من 25 ألف قذيفة. وكما في عدوان تموز 1993، لم تسلم البنـى التحتـية والمرافق الحـيـوية من التـدمـير، وفي المقابل نفذـت المقاومـة الإـسـلامـية 639 عمـلـيـة قـصـفـ صـارـوـخـيـ علىـ المستـوطـنـاتـ الشـمـالـيـةـ، فـضـلـاـ عنـ سـيـلـ منـ الـهـجـمـاتـ وـالـمـواـجـهـاتـ ضـدـ العـدـوـ وـعـمـلـائـهـ فيـ المنـطـقـةـ المـحـتـلـةـ منـ جـنـوبـ لـبـانـ.

وخلال عدوان "عنـاقـيدـ الغـضـبـ" شـنـ طـيـرانـ العـدـوـ الصـهـيـونـيـ غـارـةـ وـحـشـيةـ بـالـقـنـابـلـ العـنـقـودـيـةـ، عـلـىـ قـرـيـةـ قـاناـ فيـ جـنـوبـ لـبـانـ، فأـوـدـىـ بـحـيـاةـ 102ـ مـنـ الـمـدـنـيـينـ، كـانـواـ قـدـ لـجـؤـواـ إـلـىـ أـحـدـ مـلاـجـئـ الـأـمـمـ الـمـتـحـدةـ، وـعـلـىـ الرـغـمـ مـنـ رـفـعـ عـلـمـ الـأـمـمـ الـمـتـحـدةـ الـأـزـرـقـ فـوـقـ الـمـنـشـأـةـ الـمـقـصـوفـةـ، فـإـنـ ذـلـكـ لـمـ يـحـمـمـهاـ مـنـ الـعـدـوـانـ الصـهـيـونـيـ الـذـيـ لـمـ يـتـرـتـبـ عـلـيـهـ إـلـاـ اـسـتـكـارـ أـمـيـنـ عـامـ الـأـمـمـ الـمـتـحـدةـ لـهـذـاـ الـعـدـوـانـ الـبـرـيـ.

### ثالثاً: بدء العمليات الاستشهادـيةـ فيـ دـاخـلـ الـأـرـضـ الـمـحـتـلـةـ عـامـ 1948ـ :

ثـمـةـ متـغـيرـ جـدـيدـ طـرـأـ عـلـىـ معـادـلـةـ الـصـرـاعـ معـ الـعـدـوـ الصـهـيـونـيـ، اـهـتـزـ لـهـولـهـ رـكـنـ الـاسـتـيـطـانـ الـأـهـمـ مـمـثـلـاـ بـالـمـسـتوـطـنـيـنـ، المـدـعـومـيـنـ بـآلـةـ حـرـبـ يـقـودـهاـ قـتـلـةـ محـترـفـونـ يـسـمـونـهاـ - خـطاـ - "الـجـيـشـ الإـسـرـائـيـلـيـ"، بـذـلـكـ المـتـغـيرـ كـانـ وـصـولـ قـوـافـلـ الـاستـشـاهـديـنـ الـفـلـسـطـيـنـيـنـ إـلـىـ عـمـقـ الـكـيـانـ الصـهـيـونـيـ، ليـضـرـبـوـ ضـربـتـهمـ الـمـؤـلـةـ فيـ الصـمـيمـ، الـأـمـرـ الـذـيـ دـفـعـ الـكـثـيـرـيـنـ مـنـ الـعـائـلـاتـ الصـهـيـونـيـةـ لـحـزـمـ حـقـائـبـهاـ وـمـغـادـرـةـ الـأـرـضـ الـتـيـ لـمـ تـكـنـ يـوـمـاـ لـهـمـ، وـلـآـبـائـهـمـ وـأـجـادـهـمـ كـمـاـ يـزـعـمـونـ، لـذـاـ فـإـنـ مـاـ جـاءـ فيـ "كتـابـ القـادـمـ لـقتـلـكـ" مـؤـلـفـهـ "يعـقوـبـ بـيـرـيـ" رـئـيـسـ جـهـازـ "الـشـابـاكـ" الصـهـيـونـيـ السـابـقـ، إنـمـاـ هوـ تـعبـيرـ وـاقـعـيـ عـمـاـ يـجيـشـ فيـ صـدـورـ الـمـسـتوـطـنـيـنـ، منـ هـلـعـ وـجـزـعـ، جـرـاءـ مـاـ رـأـوـهـ مـنـ شـبـابـ وـشـابـاتـ فيـ عمرـ الـزـهـورـ يـتسـابـقـونـ لـلـشـهـادـةـ فـداءـ لـفـلـسـطـيـنـ وـأـرـضـهاـ الـمـبارـكـةـ. لـقـدـ أـفـادـ "بيـرـيـ" فيـ كـتـابـهـ: أنـ الـعـمـلـاتـ الـاستـشـاهـديـةـ

هيـ أـوـلـ تـهـدىـدـ وـجـودـيـ تـواـجـهـهـ دـوـلـةـ الـاحـتـلـالـ مـنـ اـغـتصـابـ فـلـسـطـيـنـ عـامـ 1948ـ .  
لـقـدـ كـانـتـ باـكـورـةـ الـأـعـمـالـ الـاستـشـاهـديـةـ فيـ الضـفـةـ الغـرـيـبةـ سـيـارـةـ مـفـخـخـةـ  
أـعـدـهـاـ الـمـهـنـدـسـ الشـهـيـدـ يـحـيـىـ عـيـاشـ، وـقـادـهـاـ الـاستـشـاهـاديـ سـاـهـرـ حـمـدـ اللهـ تـامـ  
(22ـ عـامـ)ـ مـنـ كـتـائـبـ الـقـسـامـ بـتـارـيخـ 1993/4/16ـ، عـنـدـمـ فـجـرـهـاـ فيـ دـاخـلـ  
مـقـهـىـ "فـيلـجـ إنـ"ـ الـذـيـ يـرـتـادـهـ الـجـنـودـ الصـهـايـنـيـةـ فيـ مـفـتـصـبـةـ "مـيـحـولاـ"ـ الـقـرـيـةـ مـنـ مـدـيـنـةـ  
بـيـسانـ.

كانت هذه العملية إيذاناً بقص الشريط عن هذا النوع المميز من العمليات. تلاها العديد والكثير منها على مجمل الساحة الفلسطينية بدءاً من طبرية في الشمال حتى إيلات في الجنوب، ومن بيسان شرقاً حتى تل أبيب غرباً، وقد ارتفعت أعداد العمليات الاستشهادية باضطراد، كما سنرى لاحقاً.

### **الحقبة العاشرة: الانفراقة الثانية تخدمها قمة شرم الشيخ من عام 2000 حتى 2005**

شهدت بداية هذه الحقبة حدثين مهمين أولهما: انسحاب جيش الاحتلال من جنوب لبنان (شريط لحد) دون قيد ولا شرط، تحت ضربات المقاومة الوطنية اللبنانية. وثانيهما: اندلاع الانفراقة الفلسطينية الثانية لتشمل مدن الضفة الغربية وقطاع غزة كافة. وشهد العامان 2001 و2002 تصعيداً كبيراً في وتيرة الصراع بين جيش الاحتلال الصهيوني من جهة، والجماهير الفلسطينية المدعومة بفصائل المقاومة من جهة ثانية، فقد شهدت الانفراقة الثانية تطوراً جوهرياً، حين تخلت عن سلاح الحجارة، ليستخدم نشطاؤها الأسلحة النارية، كما ارتفعت معدلات العمليات الاستشهادية إلى حد غير مسبوق. أما العدو الصهيوني، وقد أصابه الجنون، فقام بشن عملية عسكرية واسعة في الضفة الغربية لإعادة احتلالها، متخللاً من كل العهود والاتفاقيات والمواثيق، وشرع في إقامة جدار الفصل العنصري بين الضفة الغربية والأرض المحتلة عام 1948. وفي قطاع غزة كرر العدو طريقة انسحابه من جنوب لبنان، مع بعض التعديلات لوجود مستوطنات في قطاع غزة يلزم تفكيكها. وبطبيعة الحال لم يتوقف عن عمليات الاغتيال للقادة والكوادر الأساسية في حركة المقاومة، حيث نجح في اغتيال ثلاثة من قادة المقاومة الأوائل، وهم أبو علي مصطفى، وأحمد ياسين، و Yasir Arafat. وأهم أحداث هذه الحقبة:

#### **أولاً: سقوط نظرية المناطق العازلة:**

جسد هذا السقوط الانسحاب الصهيوني المفاجئ من جنوب لبنان من طرف واحد بلا قيد ولا شرط، تحت وطأة ما تعرض له جيش الاحتلال من ضربات مؤلمة من المقاومة اللبنانية مثل بحزب الله الذي كانت صواريشه تصل إلى مستوطنة كريات شمونة (الخالصة) وما حولها، مما يعني أن الشريط الحدودي المحتل، أو ما أطلق عليه العدو اسم المنطقة العازلة، لم يفلح في حماية المستوطنات الشمالية من

صواريخ المقاومة، فضلاً عن أن وجود القوات الصهيونية في الجنوب اللبناني يكبدتها خسائر فادحة يومياً بلا طائل. وقد اتخذ هذا الإجراء "يهودا باراك" الذي كان رئيساً للوزراء آنذاك، وكان انسحاب الجيش الصهيوني من جميع المدن والقرى في الجنوب اللبناني عدا مزارع شبعا اللبنانية التي ماتزال محظلة حتى اليوم.

### **ثانياً: اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الثانية:**

عقب تدليس "شارون" برفقة حراسه المسجد الأقصى في 28 أيلول 2000، اندفعت جموع المصلين إلى التجمهر ومحاولة التصدي له، فاندلعت المواجهات واستشهد على إثرها في اليوم الأول 7 فلسطينيين وجُرح 250 آخرون. كما أُصيب 13 جندياً إسرائيلياً. وفي الأيام التي تلت اتساع إطار الانتفاضة ليشمل كل الضفة الغربية وقطاع غزة. وُيعدُ الطفل الفلسطيني محمد الدرة رمزاً للانتفاضة الثانية، وبعد يومين من اقتحام المسجد الأقصى أظهر شريط فيديو مشاهد إعدام واضحة للطفل البالغ (11 عاماً) الذي كان يحتمي إلى جوار أبيه ببرميل إسمنت في شارع صلاح الدين جنوب مدينة غزة. لقد تميزت الانتفاضة الثانية مقارنة بالأولى بكثرة المواجهات، وتصاعد وتيرة الأعمال العسكرية بين المقاومة الفلسطينية والجيش الصهيوني. وطبقاً لأرقام فلسطينية وإسرائيلية رسمية، أسرفت الانتفاضة الثانية التي دامت نحو 5 سنوات، عن استشهاد 4412 فلسطينياً وإصابة 48322 آخرين، بينما قتل 1069 إسرائيلياً وجُرح 4500 آخرون<sup>(25)</sup>. ومن أبرز أحداث الانتفاضة الثانية اغتيال وزير السياحة في حكومة الاحتلال "رحبعم زئيفي" على يد مقاومين من "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين"<sup>(26)</sup>.

وتوقفت انتفاضة الأقصى في الثامن من شباط 2005 بعد اتفاق هدنة بين "الإسرائيليين" والفلسطينيين في قمة "شرم الشيخ" التزمت بها السلطة الفلسطينية، وفرضتها على المقاومين ومنعت عملياتهم، بينما الطرف الصهيوني لم يلتزم بها.

### **ثالثاً: تصعيد غير مسبوق في تنفيذ العمليات الاستشهادية:**

بلغ عدد العمليات الاستشهادية عام 2000 (5) عمليات استشهادية. وفي عام 2001 (41) عملية استشهادية. وفي عام 2002 (47) عملية، ثم تناقصت في عام 2003 إلى (23) عملية. وفي عام 2004 استمر التناقص ليصل إلى (18) عملية، وفي

عام 2005 تراجع الرقم إلى (9) عمليات، وقد غطت تلك العمليات الاستشهادية كل فلسطين المحتلة عام 1948، ويعزى التراجع في أعداد العمليات الاستشهادية لسبعين: أولهما، قيام العدو بشن عملية واسعة النطاق لإعادة احتلال الضفة الغربية تحت مسمى "السور الواقي"، والنجاح في احتلالها ومحاصرة المقاطعة ومنزل ياسر عرفات رئيس السلطة الفلسطينية. والسبب الثاني، البدء بإنشاء جدار الفصل العنصري عام 2002 لتطويق الضفة الغربية وتقطيع أوصالها. وعلى صعيد آخر نجحت المقاومة في قطاع غزة بإنتاج الطراز الأول من الصواريخ التي تصل إلى المستعمرات القريبة المحطة بقطاع غزة، مستفيدة من تجربة حزب الله في جنوب لبنان.

**رابعاً: العدو يعيد احتلال الضفة الغربية ويحاصر منزل عرفات في رام الله:**

شن جيش الاحتلال في 29 آذار 2002 عملية واسعة النطاق حشد لها 30 ألف جندي، أسمتها "عملية السور الواقي" التي انتهت في تموز 2002. كان غرض العملية وقف الانتفاضة الثانية والعمليات الاستشهادية. وقد أعطى شارون شارة البدء بهذه العملية عقب عملية استشهاده في نتانيا أدت لقتل 38 صهيونياً وجرح 146 آخرين، وقد تمكن الجيش الصهيوني من احتلال كل المدن في الضفة الغربية بما فيها رام الله، وحصار رئيس السلطة الفلسطينية في المقاطعة حتى وفاة عرفات 4412 / 11 / 2004، وكانت حصيلة هذه العملية من الخسائر استشهاد فلسطينياً، وقتل 332 جندياً صهيونياً، وجروح 3000 وتدمير 68 دبابة "ميركافا" وقتل 728 مستوطناً<sup>(27)</sup>.

كانت أصعب العمليات العسكرية على الجيش الصهيوني معركة مخيم جنين، حيث قام الجيش باقتحام المخيم وتجريف عدد من أبنائه واعتقال الكثير من سكانه، وقد قتل حوالي 50 جندياً إسرائيلياً وجروح 140 واستشهد حوالي 107 فلسطينيين من داخل المخيم، وجروح حوالي 355.

**خامساً: شارون يبدأ بناء جدار الفصل العنصري حول الضفة الغربية:**

بتاريخ 23/6/2002 بدأت حكومة "شارون" بناء جدار الفصل العنصري بطول 770 كم، وحتى نهاية 2015 تم الانتهاء من بناء ما يقرب 406 كم، أي ما نسبته 52.5% من المسار الكامل للجدار<sup>(28)</sup>. والجدار يحرم الفلسطينيين من

استغلال أكثر من ثلث مساحة الضفة الغربية، هذا فضلاً عن الكثير من الأضرار الأمنية التي سببها، فقد منع وصول الاستشهاديين إلى الأرض المحتلة عام 1948، والاجتماعية حين قطع أواصر العلاقات الأسرية بعزل المنازل عن بعضها، وفصل ما بين الأسرة الواحدة، والاقتصادية بسبب قطع عشرات الآلاف من شجر الزيتون، وحرمان أصحابها من عائداتها، والزراعية حين صادر مساحات كبيرة من أراضي الضفة الغربية لإقامة الجدار العازل عليها، وبلغت المساحة المصادر من الأرض حوالي 2% من مساحة الضفة الغربية، والتربوية حين فصل الجدار بين الطلاب ومدارسهم، والصحية بحرمان بعض القرى التي شطرها الجدار من الخدمات الطبية لوقوعها في الشطر الآخر. (لتتوسيع يمكن العودة للمصدر السابق).

#### **سادساً: الاستمرار في سياسة الاغتيال قادة المقاومة:**

لقد أصبحت عمليات اغتيال القادة الفلسطينيين أولويات تحظى باهتمام كل المؤسسات الأمنية والعسكرية الصهيونية المتعاقبة. وفي هذه الحقبة نجح العدو باغتيال ثلاثة من قادة الفصائل هم أبو علي مصطفى أمين عام الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. وأحمد ياسين مؤسس حركة حماس. و Yasir Arafat رئيس السلطة الفلسطينية، وأمين سر حركة فتح ، علاوة على العديد من القيادات المركزية في حركة المقاومة الفلسطينية.

#### **سابعاً: الانسحاب من قطاع غزة:**

لقد استطاعت قوى المقاومة إعادة تنظيم صفوفها، وعلى أرضية صلبة، لتصل فيما بعد إلى ذروة تنظيمها وصلابة عودها وكمال قوتها، وهي لم تتوان عن جعل الوجود الاستيطاني الكثيف على أرض القطاع هدفاً لأعمالها القتالية، ما دفع "أriel Sharon" كي يقرر عام 2005 تفكيك 21 مستوطنة والهروب الجماعي من القطاع بعد احتلال دام 38 عاماً.

ولتخفييف وقع الهزيمة على مستوطنيه أسمى ذلك الإجراء "فك الارتباط من طرف واحد". بطبيعة الحال، وعلى الرغم من انسحابه القسري، هو لم يترك القطاع وشأنه، بل عزز تحليق طائراته الحربية والاستطلاعية، فضلاً عن سياسة الحصار الجائر التي انتهجها عام 2006 وزاد في جورها عام 2007.

---

وهكذا تنتهي الحقبة العاشرة، وكانت بحق حقبة الانتفاضة المسلحة التي أشعلت الأرض المحتلة ناراً في عامي 2001 و2002، وحافظت على وثيره أقل خلال الأعوام التي تلت، حتى انتهت بمؤامرة شرم الشيخ التي أدانت الإرهاب، معدّة العمليات الاستشهادية والنشاطات المسلح إرهاباً، وكلفت السلطة الفلسطينية بقمعه وإنهاكه، وهذا ما كان كما سنرى. يضاف إلى ذلك استهداف العدو لقيادة فلسطينيين من الصف الأول والثاني في قطاع غزة والضفة الغربية ولبنان.

وكما يبدو من استعراض أحداث هذه الحقبة غياب العمليات الحدودية أو العميقية انطلاقاً من الجنوب اللبناني، وإملاء الفراغ الذي خلقته المقاومة الفلسطينية على أيدي رجال حزب الله الذين أثبتوا كفاءتهم في قض مضاجع العدو الصهيوني.

#### **الحقبة العاشرة: انتصارات عسكرية وهزائم سياسية من عام 2005 حتى 2016**

الحقبة الأخيرة من عمر النضال الوطني الفلسطيني الذي أكمل السبعة والستين عاماً، هي - بمزيد الأسى - حقبة الإخفاقات والتراجعات والتآزرات السياسية، أسفلت الستار على ثورة انطلقت بأهداف وآمال عريضة، لا تقنع بما دون تحرير فلسطين من النهر إلى البحر، ومن الرأس إلى الخليج وبعد سبعة وستين عاماً من الكفاح المسلح قدم الشعب الفلسطيني خلالها مئات الآلاف من الضحايا، نرى قادة الثورة الميامين وقد ضمروا آمالهم، وهزلت تطلعاتهم، واقتصرت مطالبهم على دولة منزوعة السلاح على حُمس مساحة فلسطين التاريخية، بعد أن سامحوا العدو المحتل بأربعة أخماسها، هي الأرض المحتلة عام 1948، وهي التي تقوم عليها "دولة إسرائيل" وعلى الرغم من الاعتراف العلني "بحق إسرائيل" في الوجود والحياة، وعلى الرغم من شطب العبارات النارية من الميثاق الوطني الفلسطيني، وحذف كل ما يشير إلى تحرير فلسطين، أو حتى لتنشئة أطفالها على حبها. على الرغم من ذلك كله ترفض دولة الاحتلال التي حصلت فلسطينياً على الاعتراف الكامل بها، وبحقها في العيش بسلام على أرضنا السلبية، ترفض هذه الدولة الاعتراف بحقنا في العيش على حُمس أرضنا المغصوبة بحرية وسلام.

بشكل عام كانت هذه الحقبة حقبة الصدمات والفشل وخيبة الأمل، ويمكن تلخيص أبرز أحداثها المحورية بالآتي:

### أولاً : عباس وحماس والحصار والاتفاق :

بعد وفاة ياسر عرفات في 11/11/2004 تولى السلطة لمدة ستين يوماً رئيس المجلس التشريعي روجي فتوح الذي أشرف على انتخابات رئاسية أوصلت محمود عباس أبا مازن إلى السلطة في 16/1/2005<sup>(29)</sup> ، وبعد عام واحد، فازت حركة حماس بالانتخابات التشريعية، وكُلف إسماعيل هنية بتشكيل الوزارة، وأدى هنية القسم أمام محمود عباس وبasher مسؤولياته، لكن على الصعيد الدولي رفضت الدول المؤيدة للكيان الصهيوني الاعتراف بحكومة هنية، بحجة انتتمائه لمنظمة إرهابية.

أما "إسرائيل" ففرضت حصاراً برياً وبحرياً وجواً على قطاع غزة في شهر حزيران 2007، ومازال الحصار الخانق مستمراً حتى اليوم، ليهدد قرابة المليونين من سكان القطاع، من دون أن يحرك ذلك ضمائر العالم وعرب أمريكا، فقد أشاح الجميع البصر عن المأساة الإنسانية التي يعاني منها شعب ذات الأمراء جراء عيشه في أكبر سجن في العالم، بلا سقف ولا أسوار، اسمه قطاع غزة، وللأمانة نشير إلى نجاح محاولات سورية في إيصال السلاح والمستلزمات إلى القطاع عن طريقين: الطريق البحري والطريق البري .. دعماً لصمود الشعب الفلسطيني في القطاع، الآخذ في التحول التدريجي إلى مكان لا يصلح للحياة الآدمية.

لقد شكلت قسوة العيش في القطاع حافزاً لعشرات الآلاف من الفلسطينيين لاقتحام بوابة رفح في 23/1/2008، وفتحها عنوة، والتوجه إلى مدينة العريش المصرية لشراء المواد الغذائية والعودة للقطاع. كما حاولت بعض السفن متعددة الجنسيات كسر الحصار البحري بإيصال المعونات للقطاع تحت مسمى "أسطول الحرية"، لكن المحاولات جميعاً أخفقت في الوصول، بسبب اعتراض السفن الحربية الصهيونية لها، واقتيادها إلى ميناء عسقلان الصهيوني.

تحت وطأة هذا الظرف القاتل لجأ السكان لحفر الأنفاق التي تربط رفح المصرية برفح الفلسطينية<sup>(30)</sup> ، وشرعوا بتأمين حاجاتهم الأساسية من سلاح وغذاء ودواء عبر عدد هائل من تلك الأنفاق التي كسرت الحصار، فشكلت الرئة التي يتتنفس منها السكان في قطاع غزة.

### **ثانياً: تعين كيث دايتون منسقاً أمنياً لدى السلطة الفلسطينية:**

في نهاية 2005 تم تعين الجنرال "كيث دايتون" Keith Dayton كمنسق أمني لدى السلطة الفلسطينية، وهو الذي يطلق عليه بعض الفاسطينيين تسمية "لورانس فلسطين". وكانت مهمته الأساسية إعادة بناء القوات الفلسطينية، من أجل تحمل المسؤولية الأمنية في الضفة الغربية، لإنقاذ قادة الاحتلال بقدرة هذه الأجهزة على منع تنفيذ هجمات "إرهابية" ضد إسرائيل.

ففي تقرير نشرته صحيفة هارتس الجمعة 29/10/2010 وصفت فيه الجنرال الأمريكي "دايتون" بأنه الضابط الخاص بالفلسطينيين، لتعريفهم على كيفية محاربة الإرهاب. فقد أكد بحسب الصحيفة التزامه بمصالح الولايات المتحدة، وعمله مع أجهزة الأمن "الإسرائيلية" لدرجة أنه يستوحى أفكاره من خلال ما يسمعه من كبار المسؤولين فيها، كما يؤكد على أن مهمته تتلخص في جعل قوات الأمن الفلسطينية تعمل أكثر لكي تقوم قوات الاحتلال بعمل أقل<sup>(31)</sup>. وأضاف أنه يحاول بناء سلطة فلسطينية مستقلة وفقاً لما تريده "إسرائيل"، بحيث لا تكون أراضيها منطلقاً لهجمات ضد إسرائيل. وفي إحدى زيارات وزير الداخلية الفلسطينية عبد الرزاق اليحيى ل العسكرية للأمن الذي يشرف عليه "دايتون" في عمان، قال اليحيى مخاطباً المتدربين: «أنتم لا تتعلمون كي تحاربوا الإسرائيليين، وأنتم هنا ليس من أجل محاربة الاحتلال، إنما لمحاربة قوى الشر والجريمة والفوضى في فلسطين»<sup>(32)</sup>.

### **ثالثاً: هزيمة العدو الصهيوني في جنوب لبنان على يد رجال حزب الله:**

بعد انسحاب جيش الاحتلال من جنوب لبنان عام 2000 لم توقف عمليات حزب الله ضد هذا العدو الذي ظل متسلكاً بمزارع شبعا اللبناني ولم ينسحب منها. وفي 12 تموز 2006 قامت مجموعة من حزب الله بمهاجمة دورية صهيونية في إطار عملية الوعد الصادق، تمكنت خلالها من أسر جنديين "إسرائيليين"، فاقتصرت قوة صهيونية الحدود في محاولة لإنقاذهما لكنها فشلت. وفي اليوم التالي شن العدو هجوماً واسعاً على الجنوب اللبناني براً وبحراً وجواً، استهدف البنية التحتية في عموم لبنان، وشمل شبكات الماء والكهرباء والماء، ومطار بيروت والجسور والطرق بين القرى في الجنوب، وقد أطلق العدو الصهيوني على عدوانيه اسم "الثواب العادل".

لجأ حزب الله للرد المدرج على العدوان، فقصف بالصواريخ المستوطنات الحدودية القريبة أولاً، ثم أخذ في استهداف الأعمق فالأخير حتى وصل حيفا. وهدد السيد حسن نصر الله أمين عام حزب الله بقصف ما هو أبعد من حيفا، قاصداً تل أبيب دون ذكرها بالاسم، رغم استماتة سلاح الجو الصهيوني لإيقاف وابل الصواريخ المتوجهة إلى قلب الكيان، لكن دون جدو. واستمر العدوان 34 يوماً لم تتمكن القوات الصهيونية تحقيق أي من أهدافها، فانسحبت تجر أذىال الخيبة والخسران.

تفاوت المواقف والأراء من هذه العملية بين مؤيد ومعارض، وتميز الموقف الرسمي السوري بكونه داعماً حقيقةً لحزب الله في مواجهة العدوان، حتى إن القيادة السورية كانت على اتصال مستمر مع قيادة الحزب خلال الحرب، لتقديم كل أشكال العون السياسي والعسكري واللوجيستي والإعلامي، وكانت على استعداد لدخول الحرب إلى جانب حزب الله، إذا اقتضت الضرورة.

#### رابعاً: جيش الاحتلال يشن ثلاثة اعتداءات على قطاع غزة 2008 و2012 و2014.

بسبب الفشل الذريع للكيان الصهيوني في عدوان لبنان 2006 حاول أن يعوض خسارته وأن يسترد هيبته المُهانة على يد مقاتلي حزب الله في الجنوب، فوجد في قطاع غزة الحلقة الأضعف لتحقيق هذا الغرض، فأعاد العدة جيداً، وشن عدوانه الوحشي نهاية عام 2008، تحت مسمى "عملية الرصاص المصبوب"، بينما أسمته المقاومة الفلسطينية بـ "عملية الفرقان". لكن المقاومة التي اقتبس من حرب تموز دروساً وعبرأً لقنت العدو الصهيوني الدروس ذاتها وال عبر ذاتها، فصممت أمامه وقصفت مستوطنته، ومنعته من التوغل في القطاع، وحالت دون استرجاعه للأسير "جلعاد شاليط" المأسور منذ 2006، وظلت المقاومة تتصف بمستوطناته حتى آخر يوم في العدوان. وأوقف العدو عملية العسكرية من طرف واحد، وانسحب من دون تحقيق أي من أهدافه.

لكنه بعد تقييم عمليته الفاشلة، واجراء التدريبات المناسبة لجنوده، وبناء منظومة القبة الحديدية لحماية المستوطنات والمدن من صواريخ المقاومة، وبالإضافة إلى أبعد الحدود من مناخ ما سمي بـ "الربيع العربي" الذي ضرب الدول التي يمكن أن تقف مع الفلسطينيين، وعلى رأسها سوريا قيادة وشعباً، عاد العدو وشن على قطاع غزة هجومه البربرى الذي أسماه "عمود السحاب" في 14 تشرين الأول عام

---

2012، وقد ردت المقاومة عليه بعملية "حجارة السجيل" فقصفت القدس الغربية ومدينة تل أبيب لأول مرة منذ عام 1991 خلال حرب الخليج الثانية، وتوقفت العملية بموجب هدنة رعتها مصر بين حماس والكيان الصهيوني بعد ثمانية أيام من بدء العدوان.

أما من الناحية العسكرية فقد أظهرت المقاومة أن لها قدرات كبيرة في الرد بإطلاقها مئات الصواريخ، وظهر جلياً أن الأنفاق لعبت دوراً كبيراً في تسليم المقاومة وتأكد ذلك بظهور صواريخ غراد وأخرى سورية الصنع بتكنولوجيا إيرانية. أما القبة الحديدية، فعلى الرغم من عدم الاعتراف بنجاحها، فالظاهر أنها نجحت في تعقب بعض الصواريخ التي أطلقتها المقاومة. والجديد أيضاً أن الردع العسكري الإسرائيلي "بدأ عديم الجدوى هذه المرة، وأن إسرائيل" على الرغم من أنها استعدت للتدخل العسكري البري إلا أنها لم تطلق العملية لأسباب يتلخص بعضها في كون دخول قطاع غزة قد يشكل نكسة جديدة مشابهة لما تكبده في هجومها على حزب الله في جنوب لبنان.

في 2 تموز 2014 أقدم مستوطنون متطرفون على اختطاف وحرق الطفل محمد أبو خضرير، وقد ساد جو من التوتر والتصعيد لدى الفلسطينيين عقب العملية الإجرامية الصهيونية. وما زاد الأمر سوءاً هو دهس عاملين عربين قرب حifa. وبلغ التصعيد ذروته حين أقدم الجيش الصهيوني على شن هجوم على قطاع غزة في 8 تموز 2014 أسماه "الجرف الصامد"، واستمر حتى 24 آب 2014، واقتصر على غارات جوية صهيونية مع محاولات محدودة لعمليات خاصة في أماكن متفرقة.

أما الجانب الفلسطيني فقد لجأ لأول مرة إلى استخدام صواريخ سورية وإيرانية يزيد مداها عن 160 كم، فقصفت تل أبيب والقدس وحتى حifa شمال تل أبيب، كما استخدم الفلسطينيون طائرات من دون طيار مسلحة وعزماء، واستخدمو لأول مرة أيضاً صواريخ سام 7 المضادة للطائرات، هذا فضلاً عن استخدام صواريخ ذات مدى قريب استهدفت المستوطنات المحيطة بقطاع غزة، كما استخدمت المدفعية الصاروخية ومدافع الهاون، وظهرت للمرة الأولى صواريخ "كورنيت" الروسية المتطرفة المضادة للدبابات، وانتقلت المقاومة في هذه الحرب لأول مرة إلى وضعية الهجوم حينما هاجمت وحدة من الضفادع البشرية قاعدة "زيكيم" البحرية شمال قطاع غزة.

كل هذا يشي بأن تطوراً عسكرياً نوعياً قد حصل في حركة المقاومة الفلسطينية، لكن السياسة لم تكن على السوية ذاتها، ولا حتى متأخرة عن العمل العسكري بضع خطوات، إنما كانت تسير بالاتجاه المعاير تماماً، وهذا ما لجم البندقية الفلسطينية وكتم أنفاسها، لينعم العدو بعد ذلك بالهدوء والراحة والأمان على أرضنا العربية الفلسطينية المحتلة، والقرارات الآتية ستوضح ذلك التراجع الاستراتيجي.

#### **خامساً: استمرار سياسة الاغتيالات للقياديين والنشطاء الفلسطينيين:**

- في 15 كانون الثاني 2009 قام الجيش الصهيوني باغتيال وزير الداخلية في حكومة إسماعيل هنية القيادي في حركة حماس سعيد صيام، حين قصف منزله بغزة خلال حرب الفرقان (2008 - 2009).
- في 9 كانون الثاني 2010 اغتيال القيادي في حركة حماس محمود المبحوح في عملية خاصة نفذها "الموساد" في دولة الإمارات المتحدة.
- في 14 تشرين الثاني 2012 اغتيال رئيس أركان المقاومة القائد القسامي أحمد الجعبري إثر استهداف سيارته في مدينة غزة.

#### **الواقع الماثل واستشراف المستقبل**

على الرغم من التطور الكبير والقفزات السريعة الواسعة التي حققتها فصائل المقاومة في أدائها العسكري الميداني غير المسبوق، تكتيكياً وتسلیحًا، والذي بُرِزَ جلياً في المواجهة العسكرية الأخيرة 2014 مع العدو الصهيوني في قطاع غزة، فإن القيادة السياسية لم تتمكن من ترجمة الإنجازات العسكرية إلى إنجازات سياسية، تكون كافية برفع الحصار المضروب على القطاع منذ ما يقرب عشر سنوات، والشروع بإعادة الإعمار، وتوفير الأموال المطلوبة لدفع رواتب عشرات الآلاف من الموظفين، بل على النقيض تماماً، فقد أشارت التسريبات الصحفية المؤكدة في 15 آب 2015 إلى وجود مساعٍ حثيثة لعقد تهدئة متوسطة إلى طولية الأمد في قطاع غزة، بين حركة حماس والعدو الصهيوني.

في 16 آب 2015 كشف القيادي بحركة حماس أحمد يوسف عن أن الاتصالات غير المباشرة بين الحركة وإسرائيل" حول تهدئة طويلة الأمد في قطاع غزة قد قطعت شوطاً طويلاً إلى الأمام، وأنه سيتسلّى قريباً الإعلان عن تطور جديد خاص بالأمر.

وأوضحت المصادر أنه بموجب الاتفاق ستواقيع "إسرائيل" على إنشاء ممر مائي يربط غزة بقبرص تحت رقاية "إسرائيلية"، وسيتم رفع الحصار عن القطاع بالكامل والسماح لآلاف العمال من غزة بدخول "إسرائيل" مقابل أن توقف حماس حفر الأنفاق على حدودها، وتمنع إطلاق الصواريخ تجاه أراضيها، وتقبل بتهيئة لمدة 8 سنوات على الأقل<sup>(33)</sup>. ويشارك في جهود الوساطة الرئيس الأميركي الأسبق "جي米 كارتر". وقد زار "كارتر" في وقت سابق العاصمة القطرية الدوحة، والتلقى رئيس حركة حماس خالد مشعل لهذا الغرض.

ويذكر أنصار نهج التفاوض مع الاحتلال في حركة حماس، بأن الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام فاوض خصومه من اليهود والشركين مرات عديدة. وهذه الشهادة هي كلمة حق يراد بها باطل، فالرسول الكريم فاوض خصوماً في العقيدة، وليس أعداء قيموا من أصياع الدنيا، فطردوه من وطنه، واحتلوا أرضه وما عليها. ولو كان اليهود والشركين في ذلك الوقت غزة محتلين، لما فاوضهم صلى الله عليه وسلم، ولو وضعوا الشمس في يمينه والقمر في شماليه، قبل أن ينسحبوا ويستردُّ منهم أرضه ووطنه.

كما فات المتفائلين بإمكانية انتزاع تنازلات من العدو عن طريق المفاوضات، أن يتعظوا من السلطة الفلسطينية التي ما برحت تفاوض منذ 23 عاماً على مسائل متفق عليها بضمانة أمريكية، وفي مقدمها إقامة الدولة الفلسطينية، من دون إحراز أي تقدم، بل على العكس فالأرض التي يفترض أن تقوم عليها الدولة الفلسطينية العتيدة أقيم عليها أكثر من 150 مستوطنة يقطنها حوالي 500 ألف مستوطن. ومع مطلع كل شمس تأكل مساحة الأرض الفلسطينية المتبقية في الضفة الغربية، بفعل مصادرة الأراضي وتهويدها وشق الطرق الالتفافية وتوسيع الأرض العازلة على جنبي جدار الفصل العنصري، وتوسيعة المستوطنات، وتجريف الأرض الزراعية وقطع الأشجار المثمرة.. ويأتي تصريح الدكتور موسى أبو مرزوق، نائب الأمين العام لحركة حماس، الذي لم يستبعد التفاوض المباشر مع "الإسرائيليين"، تأكيداً على حضور هذا الخيار في أوساط حماس.

وما لم تحصل مفاجآت غير متوقعة يحتمل أن يتم التوصل إلى تهدئة لمدة تتراوح من ثلاثة إلى خمس سنوات، وربما من ثماني إلى عشر سنوات قادمات، وذلك في ضوء رغبة كل من "إسرائيل" وحماس في إتمامها.

وتبقى الأهمية كامنة في تفاصيل الاتفاق، وفي سلوك الطرفين عند وضعه قيد التطبيق. فمن المهم معرفة كيف ستتصرف حماس في غزة في حال حصول تصعيد "إسرائيلي" في القدس أو في أي مكان في الضفة الغربية، هل سترى أن الأمر لا يعنيها فتحافظ على التهدئة أو ستخرط في فعاليات الرد على هذا التصعيد حتى لو أدى ذلك لانهيار المدن؟ كما من المهم معرفة الموقف الحمساوي والموقف "الإسرائيلي" في حال قيام فصائل في غزة لا تنتمي لحماس بأعمال مقاومة أو قصف صاروخي ضد الاحتلال، هل سيقوم أمن حماس بدور أمن السلطة نفسه في الضفة الغربية أم ستفضل حماس الطرف عما يحصل، ولتكن الطوفان؟ وفيما يتعلق بالكيان الصهيوني، هل سيرد قادة الاحتلال على صواريخ الفصائل التي ترفس المدن بقصف قطاع غزة كما في السابق، أم سيستكثون كرمي التمسك بالتهيئة وحرصاً عليها من الانهيار؟ هذا ما لا نستطيع التنبؤ به، وسيد الموقف في مثل هذه الحال هو الترقب والانتظار..!!

### الخاتمة

يقول الفقهاء: "الأمور بخواتيمها". وبالنظر لمؤشرات الخواتيم التي بدأت تلوح في أفق المقاومة الفلسطينية بعد رحلة نضالية طويلة، سلطنا على جانبها العسكري ضوءاً خافتاً، فبرزت عارية الفروق بين البدايات والنهايات. لقد وقعت المفاهيم الوطنية ضحية احتيال وابتزاز سياسي، حين أطلق بعضهم على الاعتراف بالعدو والاستجابة لطلبات وجوده وأمنه، على أنه "سلام الشجعان". نحن بعد كل ما حل بثورتنا من سقطات كانت أثمانها باهظة التكاليف، لسنا بحاجة لـ"سلام الشجعان"، بل نحن بحاجة لـ"وقفة الشجعان" أمام جملة الإخفاقات والتزاولات والتراجعات والتخلي عن الثوابت. ما أحوجنا لوقفة هؤلاء الشجعان ليقولوا بشجاعة الفرسان الصناديد: "نحن فشلنا في تحقيق الانتصار على العدو، ونحن المسؤولون بما حل بثورتنا من نكبات ونكبات، ونحن جاهزون لتحمل المسؤولية الوطنية الكاملة".

وحتى لا يقال: إن نظرتنا سوداوية تجاه قادة المقاومة، نقول: نحن لا ننكر أن ثمة مواقف إيجابية وقوها، وأعمالاً مجيدة عملوها، تمثلت بحشد التأييد السياسي والعسكري، وتأمين الموارد المالية من بعض الدول، ما دفع مسيرة الثورة خطوات جيدة إلى الأمام. لكن وفي المقابل كانت لهم مواقف وممارسات وقرارات ليست في مكانها، ولا تخدم التطلعات الوطنية التي قامت لأجلها الثورة.

لقد وقعت الفصائل الفلسطينية في أخطاء فاضحة. وللأسف إن مرتكبي هذه الأخطاء هم من الصنف القيادي الأول والثاني، فخلال المسيرة النضالية الفلسطينية أتيحت للمقاومة الإمكانيات المادية الهائلة، وتهيأت لها الظروف المواتية لكي تكون ثورة عارمة متميزة، على غرار ثورة الجزائر أو فيتنام، أو أي ثورة أخرى انتزعت انتصارها الوطني بالكفاح المسلح. لكن سوء التقدير والانحراف في مغامرات سياسية لم يتقنها اللاعبون، فضلاً عن الفساد والمحسوبية والتفرد وغير ذلك من الأفعال التي تحمل مسؤوليتها القيادة المتغيرة أولاً وأخراً، كل هذا جعل من خواتيم الكفاح المسلح تختلف عن بداياته. المسؤول عن هذه النهايات المفجعة هم القادة ولا أحد غير القادة، فلا يُسأل رُكاب السفينة عن سبب ضياعهم طالما الدفة بيد القبطان، ولا يحاسب المقاتل على عمل أخرق ارتكبه إذا تلقى أمراً قيادياً بتنفيذـه.

إن عملية إحصاء وتقييم الأخطاء والزلات والسقطات التي عصفت بحركة المقاومة الفلسطينية، خلال فترة زمنية تمتد قرابة سبعة عقود، لا تكتمل إلا بجهد جماعي يعطي للجمع والتخيص حقهما، ويعطي للنقد واستخلاص العبر والدروس حيزاً أكبر مما هو متاح، ربما يصل إلى مجلدات عدة.

على كل حال، ورغم المعيقات والعقبات الكثيرة التي تحول دون التقييم الشامل، فإن ذلك لا يعطينا المسوّغ للتهرّب من وضع النقاط على الحروف، سعياً لوضع الأمور في نصابها، ولو في حدودها الدنيا. لكن في المقابل ينبغي أن يكون لدى القيادة الفلسطينية الصدر الواسع لاستيعاب مراجعتنا ونقدها، ويجب أن يتحلوا بالشجاعة اللازمة للاعتراف بأخطائهم وتحمل مسؤوليتها، وعدم التهرب من استحقاقاتها بالتسويف والبحث عن الأعذار.

أخيراً لقد توقفت البنادق الفلسطينية في معظم الساحات بأمر من القيادات، ومسحت من الرؤوس ثقافة الثورة والكفاح المسلح، وحلت مكانها ثقافة التفاوض والاحتجاجات السلمية. وفي كل مرة يحاول الشعب الفلسطيني رفض واقعه والتعبير عن ذاته المناضلة، باتفاقياتها لشعبية خارج الأطر التنظيمية لفصائل المقاومة، كانت تُكتَم أنفاسه بقمم دولية وعربية، تكون وبالاً وفألاً سوء عليه. وفي وقتنا الراهن تشتعل في الضفة الغربية جذوة الانفاضة الثالثة، أو اتفاقية السكاكين كما أسمتها بعضهم، وتحاول السلطة الفلسطينية وأجهزتها الأمنية – كما هي العادة – إسكات صوتها وخفق أنفاسها، وحينما تفشل ستسارع الدول الغربية

والعربية المرتبطة بعجلة الغرب، لعرض المبادرات والإغراءات والوعود والهبات، لكم

الأفواه ومنعها من التعبير عن المطلب الوطني، والحق التاريخي المشروع.

ومن خلال واقعنا المعيش أيضاً يحدونا الأمل أن يكون شبابنا المنتفضون حملة

السَّكَاكِينُ فِي شَوَّارِعِ الْمُضَفَّةِ أَكْثَرُ يَقْظَةً مِنْ أَقْرَانِهِمْ فِي الْإِنْفَاضَةِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ

اللذين اغتيلتا في أوسلو وشرم الشيخ، فلا يسمحون لوعود في الهواء أن تُفرق شملهم

وتبدل صوتهم وتسرق إنجازهم.

وَمَا يَبْعِثُ فِي نُفُوسِنَا الْأَمْلَ أَنَّهُ مَا زَالَ فِي شَعْبَنَا الْفَلَسْ طَيْنِي مَنَاضِلُونَ شَرْفَاءَ،

يرفعون راية التحرير والمقاومة عالية خفاقة، وهم لا ينتمون إلا لفلسطين. إن القيادة

**الحقيقة هي قيادة الجماهير في الميدان، والميدان الفلسطيني يعج الان بـ مشاريع**

القادة، فلا حوف على قضيتنا من التصرف والتسیان، مهما حاول المتنفعون إغناطنا

شَرْقَانِيَّةٌ نَّافِعَةٌ لِلْأَنْوَارِ مُهَمَّةٌ لِلْأَنْوَارِ بَعْدَ دَلْكِ.

الآن، إنهم ينتظرونكم <sup>لأنكم</sup> في المقدمة للبلدان التي لا تزال مخالفة لائحة حقوق الإنسان.

أهـ صرار، ويعرـ مسـا بالحـقـ الـوطـيـ الـيـ يـحقـ مـعـقـوـ اـنـ يـسـارـ عـلـهـ،  
لـأـنـهـ حـقـمـةـ غـيـرـ قـاتـلـةـ التـبـرـ، بـرـ حـسـاـ هـذـاـ الـأـمـاـقـ دـانـالـتـ عـلـهـ

بالقيادة"، لذا نسجت التحية لمحور الشفف والإشار، ممحو الأماء والعماء، محمد

المقاومة والصمود من ادانت الى سودية فالجنوب اللبناني، وصولاً الى ارض المقاومة

والعطاء أرض فلسطيننا المحتلة.

**واقعة تاريخية أختمت بها: بعد انتهاء المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بال**

سيويسرا عام 1897، سُئل "شودور هرتزل" من أحد الصحفيين: متى ستقوم الدولة

اليهودية؟ أجاب "هرتزل" بثقة: «بعد خمسين عاماً سيشهد العالم قيام الدولة

اليهودية». وفعلاً بعد واحد وخمسين عاماً قامت "دولة إسرائيل" على أرض فلسطين

المفترضة عام 1948، بفارق عام واحد بسبب تعثر النشاط الصهيوني خلال الحرب

العلمية الثانية.

نحن بدورنا نسأل قادتنا، بعد استكمال سبعة وستين عاماً على النكبة،

وبعد خمسين عاماً بالتمام والكمال من عمر ثورتنا الفلسطينية منذ انطلاقتها عام

1965. السؤال الموجه لقادة الفصائل الفلسطينية هو: «متى سنشهد قيام الدولة

**الفلسطينية المستقلة؟؟؟، وهل سنحصل على تلك الدولة بالمفاوضات، أو بالكافح**

#### الهؤامش:

- 1 الفيلق اليهودي Jewish Legion عبارة عن تشكيلات عسكرية من المتطوعين اليهود حاربوا في صفوف القوات البريطانية والحلفاء خلال الحرب العالمية الأولى بدءاً من الكتيبة "38" إلى الكتيبة "42"، بلغ عدد أفراد كل هذه التشكيلات نحو 6400 فرد، وقد توجه الفيلق اليهودي إلى فلسطين عقب انتهاء الحرب.
- 2 خير الدين أبو الجبين - قصة حياته في فلسطين والكويت - الأردن / عمان - دار الشروق - تاريخ 2002 - ط 1 - صفحة 45
- 3 الموسوعة الفلسطينية (النسخة الضوئية) - رئيس مجلس الإدارة أ. د. أسعد عبد الرحمن.
- 4 المصدر السابق.
- 5 المصدر السابق.
- 6 المقاومة الفلسطينية قبل حرب حزيران العدوانية عام 1967 - د. غازي حسين.
- 7 سرايا الحجاب هي وحدات الجيش الأردني المرابطة على نهر الأردن على الحدود بين فلسطين المحتلة والأردن.
- 8 كان الرفيق طلال ناجي - الأمين العام المساعد للجبهة الشعبية - القيادة العامة. ممثل الجبهة في الاجتماع بسبب وجود الرفيق أحمد جبريل الأمين العام في مدينة أربد القريبة من الحدود السورية، بمهمة تنظيم الدفاع عنها.
- 9 في هذه الأثناء كنت - أنا كاتب هذه السطور - حاضراً هذا الاجتماع بصفتي رئيس الدائرة العسكرية في الجبهة الشعبية - القيادة العامة، وعضو القيادة العامة للجبهة، لأنه في ذلك الوقت لم تكن تسمية المكتب السياسي قد اعتمدتها الجبهة.
- 10 لم يبق في جبل الحسين من قادة المقاومة إلا كاتب هذه السطور، ومعه الرفيق طلال ناجي . انظر كتاب: "في الخيمة الأخرى" فقرة حرب أيلول، للأمين العام المساعد للجبهة الشعبية - القيادة العامة، الرفيق طلال ناجي.
- 11 كاتب هذه السطور طالب جميع الأمناء العامين وأعضاء المكاتب السياسية في فصائل المقاومة بتقديم استقالاتهم، وتسليم المقاليد للفص الثاني في فصائلهم، بسبب إخفاقهم في إدارة الصراع، وتسببهم بالخسارة الاستراتيجية التي حلّت بالمقاومة الفلسطينية، وقد بدأ بنفسه وقدم استقالته من قيادة الجبهة الشعبية - القيادة العامة، وعاد لجيش التحرير الفلسطيني. لكن أحداً لم يحنو حذوه.
- 12 عين زيف: منطقة عسكرية تقع على بعد 2 كم شمال معالوت - ترشحها، وجنوب غرب فسوطة، ويصلها مع معالوت طريق منع مرور عليه لغير العسكريين، وهذه المنطقة محاطة بالأسلاك الشائكة والأحراش الكثيفة. وعين

زيف نبع ماء يُعدُّ المسبح الرئيسي لوادي شجيف الذي يصب شمال نهاريا على البحر المتوسط.

13- صفحة أبطال حرب اكتوبر الأصليون على الفيس بوك- دور جيش التحرير الفلسطيني وقوات الثورة الفلسطينية في حرب رمضان- أكتوبر 1973م.

14- الموسوعة الحرة ويكيبيديا على الرابط: <https://ar.wikipedia.org/wiki>

15- مؤتمر القمة العربي السادس - الرياض، السعودية 6- 18 تشرين الأول 1976.

16- اللواء الركن سامي الخطيب، (المقدم سامي الخطيب في تلك الفترة) عسكري لبناني رفيع، تولى مناصب عدة في السلك العسكري اللبناني، وكان له دور في الكثير من الأحداث الأمنية التي عصفت في لبنان- المرجع السابق

17- المرجع السابق .

18- موقع عباس زكي عضو اللجنة المركزية لحركة فتح على الرابط:  
<http://www.abbaszaki.plo.ps/chars/dalal.htm>

19- موقع بوابة العرب على الرابط:

<http://vb.arabsgate.com/showthread.php?t=510838>

20- للتوضيح لا بد من الإشارة إلى أن المقاتلين الذين خرجوا إلى المنا في من بيروت الغربية المحاصرة، هم الكتلة الرئيسية من قوام حركة المقاومة، ومن تبقى في لبنان مجموعات محدودة من المقاتلين تتسمى إلى جميع الفصائل، وتتمركز في مخيمات طرابلس وصيدا وصور والبقاع. الباحث.

21- سعيد مراغة ويعرف أيضا باسم سعيد موسى، ولد سنة 1927، واسمه الحركي أبو موسى، هو سياسي فلسطيني أمين سر حركة فتح الانتفاضة، كان ضابطاً في الجيش الأردني قبل أن يلتحق بحركة فتح عام 1970.

22- تنظيم سياسي وعسكري لبناني، يحظى بحضور وازن على الساحة اللبنانية. تأسس بعد العدوان الصهيوني على لبنان عام 1982، اكتسب شرعنته من خلال مقاومته العسكرية للوجود الصهيوني، خاصة بعد احتياح بيروت عام 1982، وتوج الحزب عمله السياسي والعسكري بنجاحه في إرغام جيش العدو الصهيوني على الانسحاب من الجنوب اللبناني في أيار عام 2000، وتصدى له في حرب تموز 2006 وألحق في صفوفه خسائر كبيرة عُدّت في "إسرائيل" إخفاقات خطيرة وتهديدًا وجودياً لها كدولة.

23- الطيران الشراعي أحد الأنشطة الرياضية. والطائرات الشراعية مصممة لهذا الغرض، وهي معدة للطيران النهاري فقط، ولا تطير في الظلام أو ظروف الرؤية الصعبة، ولا تقلع إلا ضمن ظروف جوية ملائمة، ولا تستطيع حمل أكثر من 80

كُنْ بما فيه الطيّار، وليس فيها أدوات ملاحيّة. رغم كُل ذلك أمكن التحليق بها ليلاً والتوجّه من دون أدوات ملاحيّة تجاه الهدف، والتَّوغل إلى عمق 20 كم، والبُوتوط ليلاً بأمان.

- موقع لحزب الله - الكلام الفصل على الرابط: 24  
<http://www.moqawama.org/essaydetails.php>

وكالة قدس برس انترناشيونال للأنباء على الرابط: 25  
<http://www.qudspress.com/index.php?page=show&id=10241>

المصدر السابق. 26

ويكيبيديا الموسوعة الحرة على شبكة الانترنت على الرابط: 27  
[https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D8%B5%D9%8A%D9%86%D9%8A\\_%D9%84%D9%84%D8%A7%D8%A4%D9%85%D9%84%D9%85](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D8%B5%D9%8A%D9%86%D9%8A_%D9%84%D9%84%D8%A7%D8%A4%D9%85%D9%84%D9%85)

المركز الفلسطيني للإعلام على الرابط 28  
<https://www.palinfo.com/news/2015/12/20/>

مركز المعلومات الوطني الفلسطيني - وفا على الرابط : 29  
<http://www.wafainfo.ps/index.aspx>

رفح مدينة فلسطينية حدودية ، قسمها خط الهدنة إلى شطرين يقع الأول في 30  
قطاع غزة والثاني في مصر.

- عرب 48 تاريخ 31/10/2010 31

المصدر السابق. 32

اليوم السابع 16 آب 2015 على الرابط : 33  
<http://s.youm7.com/2308038>

## سقوط الإنكار الصهيوني للمسؤولية عن النكبة الفلسطينية

إبراهيم عبد الكريم\*

### مقدمة ..

تتجذر فكرة طرد العرب من فلسطين في أعمق أسس المشروع الصهيوني، وقد رافقت تلك الفكرة مختلف مراحل هذا المشروع، وتحولت إلى توجهات استراتيجية؛ إذ لم تكن الأهداف الصهيونية الرئيسية لتجسد دون طرد الفلسطينيين، أو معظمهم من البلاد، لأن مجرد وجودهم في فلسطين يتناقض، عدائياً، مع الصهيونية وأهدافها.

وقد تم تحقيق أبرز هذه الأهداف، بتهجير غالبية الفلسطينيين عام 1948، جراء الإمكانيات الذاتية والتحالفية التي جندتها الصهيونية، والتي تفوق بكثير القدرات التي حشدتها الجيوش العربية مجتمعة للحرب في فلسطين.

ولأسباب متعددة، لا مجال للتفصيل فيها، تتعلق بمحりات تلك الحرب والظروف المحلية والإقليمية والدولية - وفي بعض التقديرات بسبب خطأ استراتيجي صهيوني - لم يكن تهجير العرب من فلسطين كاملاً، حيث بقيت فيها آنذاك أقلية عربية بلغت نحو 160 ألفاً، صامدة مكافحة، راحت تشكل تحدياً وعقبة كبرى أمام استكمال تهويد البلاد. بينما نشأت مشكلة اللاجئين كأحد

\*باحث، ورئيس تحرير في مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية - دمشق.

التجليات المادية للهزيمة التي لحقت بالجيوش العربية، والتي أطلقت على مفاعيلها تسمية "النكبة".

منذ ذلك الحين ادعت الصهيونية وكيانها "إسرائيل"<sup>(\*)</sup> أن الدول العربية تسببت بهذه المشكلة عندما بدأت الحرب على اليهود، وأن "إسرائيل" نفسها غير مسؤولة عن ذلك إطلاقاً، لأن ما حدث هو أن الزعماء العرب طلبو من الفلسطينيين مغادرة مدنهم وقراهم مؤقتاً، ريثما تقوم الجيوش العربية بالقضاء على الدولة اليهودية الوليدة، فاستجاب عدد كبير من الفلسطينيين لهذا الطلب، وخرجوا بمحض إرادتهم، ظانين أنهم سيعودون إلى بيوتهم بعد فترة وجيزة. وبعد أن أخفقت الجيوش العربية في مهمتها، طالت فترة الانتظار حتى أصبح الفلسطينيون لاجئين.. هكذا!!

حيال هذه الدعوى التضليلية التي تعتمد其 الصهيونية وكيانها، كنهج ثابت، على الصعيدين: الداخلي والخارجي، ثمة ضرورة لتوظيف معلومات متعددة المصادر، وضمناً وثائق واعترافات إسرائيلية، لترسيخ حقيقة مسؤولية المشروع الصهيوني عن مشكلة اللاجئين، لاسيما عن النكبة الفلسطينية التي يحاول زعماء كيان العدو ومؤسساته التوصل منها.

#### **الأصول الأيديولوجية الصهيونية لتهجير العرب من فلسطين:**

بمقتضى عملية تجسيد "الشق اليهودي" للمشروع الصهيوني، كمشروع استعماري في المنطقة العربية، تم حشد العديد من الأفكار والصيغ التي وضعت لتكون أساساً يقوم عليه البناء العام للطروحات الصهيونية، منذ الثلث الأخير للقرن التاسع عشر، وامتداداً إلى العقود اللاحقة.

وكان صيغة تهجير العرب من البلاد نتاجاً واضحاً للمعالم في هذه الطروحات، سواء في البدايات الأولى للمشروع أم في مراحله التالية، وصولاً إلى وقتنا الراهن، حيث استمدت فكرة تفريغ فلسطين من سكانها (مواطنيها) دوافعها ومحرضاتها من نسق فكري صهيوني متكملاً يتضمن النطاقات التضليلية الآتية:(1)

\*استخدام تسمية "إسرائيل" وال بنسبة إليها لا يعني اعتراف كاتب الدراسة بسيادة الكيان الصهيوني الغاصب على الجغرافية الفلسطينية المحتلة.

- هناك "شعب يهودي" كان في الماضي السحيق يعيش في وطنه (أرض إسرائيل) موحداً، ثم تشتت بفعل الاحتلال الأجنبي لهذا الوطن (...).
- خلال سنوات "الدياسبورا - الشتات" كان الشعب اليهودي يحلم بالعودة إلى وطنه (...)، وعكست تعبيراته الدينية وموروثاته الثقافية والاجتماعية هذا الحلم.
- مع بدء النشاط إلى الوطن كان "الغوييم - الأغيار" ما يزالون في البلاد، يسيطرون عليها أو يحتلونها (!).
- نظراً لأن الوطن (القديم - الجديد) مأهول بالأغيار، ثمة ضرورة للقيام بثلاثة اقتحامات في وقت واحد، هي: اقتحام الأرض - اقتحام العمل والإنتاج - اقتحام الحراسة.
- إن الروابط الدينية والتاريخية بين اليهود و "أرض إسرائيل" هي روابط أزلية/أبدية لا مثيل لها ، الأمر الذي يجعل العرب في البلاد وكأنهم غير موجودين، أو محظوظون في حال ظهور وجودهم.

.. على خلفية هذه المنطلقات تبنت الصهيونية جملة من الحجج والذرائع لإقامة كيانها الاستيطاني، فبالإضافة إلى "الأرض الموعودة" و"الحق التاريخي"، كانت مفاهيم "الرسالة الحضارية" و"الريادة" و"إحياء البلاد" و"تجحيف المستنقعات" ، وسواها، تنتشر في الخطاب الصهيوني على أنها مقومات شرعية لبناء الدولة اليهودية الجديدة في أرض إسرائيل".

كان إيجاد كل هذه المقومات يتلازم مع المساعي الصهيونية الرامية إلى تحويل مناسب لطبيعة العلاقة بين اليهود وفلسطين، من علاقة معنوية/روحية بمحتها النظري(الشفوي والمكتوب/أدبية، قراءات، تصحيف.. الخ) إلى علاقة مادية / وجودية بمحتها العملي(المتجسد بالهجرة إلى "أرض إسرائيل" والاستيطان فيها)، لهذا كان الصهيونيون يقاومون اندماج اليهود في مجتمعاتهم، وينشطون في ميادين "البعث اليهودي" القائم على ترجمة الوعي الديني/الاجتماعي الجديد إلى موقف سياسي، والتركيز على بلوغ هدف تجميع اليهود في وطن خاص بهم، فضلاً عن توطيد دعائم الوجود الاستيطاني التمهيدي في فلسطين.

مع بدء انتقال المشروع الصهيوني من "النظري" إلى "العملي" أخذت الممارسة الصهيونية الأولى تؤكد وجود فارق كبير بين الشكل التقليدي للاستعمار وبين ما

تشهد فلسطين من عمليات استيطان، ويتأخّص هذا الفارق في أن الاستعمار التقليدي كان يسعى إلى بسط سيطرته على البلاد مع الإبقاء على سكانها لاستغلالهم، بينما يعني الشكل الجديد للاستعمار بحيازة الأرض وبناء المستعمرات لاستقدام مزيد من المهاجرين إلى البلاد، ليكونوا العنصر البشري اللازم للعملية الإلhalية المتمثلة بإنشاء دولة لليهود حصراً.

كانت "حصرية الدولة" هذه، حجر الأساس في منظومة التعامل الصهيوني مع عرب فلسطين، إذ تبلور افتراض أن "عودة اليهود" وإنشاء الوطن اليهودي في فلسطين يتطلبان أرضاً خالية من السكان. وكان اعتبار الكامن وراء عملية الإلhal، المتّصورة منذ البداية، هو خلق تجانس في البلاد لتجنب المشكلات الأمنية التي يخلفهابقاء العرب في البلاد، وتهيئة الأجواء المناسبة للأداء اليهودي (النقى) ولاستمرارية الوجود الكياني للمستوطنين مستقبلاً.

ينتمي إلhal فلسطين من سكانها العرب إلى دائرتين في النمط الصهيوني التقليدي للتّفكير والعمل؛ إحداهما / تمثل بالإلhal الذهني، أي بالنظر إلى فلسطين على أنها بلاد خاوية سكانياً وحضارياً. والثانية / تمثل بالإلhal المادي عبر الحصول على أراضي المواطنين العرب لإقامة المستوطنات عليها، وتهجير هؤلاء المواطنين إلى أماكن أخرى.

تُظهر مراحل الاستيطان الصهيوني المتعاقبة هذه الشائنة عبر اعتماد الاستبدال السكاني؛ فقد كان يتم الحصول على الأراضي ب مختلف الطرق العادلة والمبتكرة، وفي الوقت ذاته كان عرب فلسطين، في المنظور الصهيوني، مجرد أناس يقيمون على أرض تعود ملكيتها للشعب اليهودي المشتت الذي بدأ بالعودة المنظمة إليها. أما في الرؤية النهائية، فكان العربي الفلسطيني "غائباً" أو غير موجود(الفراغ الديمغرافي)، لأنه لا يحق له أن يمتلك أرضاً في فلسطين التي يعدونها أرضاً يهودية. وحين تحطمـت هذه السذاجة بفعل الرؤية المعينة للعربي، كانت ميكانيزماً آخر تأتي متضمنة الاعتراف بأن البلاد مأهولة، ولكن ليس ببشر أو أناس عاديين(الفراغ الحضاري)، وإنما تعيش في الأرض المقدسة - الصحراء التي تتّظر شعبها - كائنات متوضحة، وصفت حتى بعد مئة عام من الاستيطان بأنها "نزلت لتوها عن الأشجار"، أي لم تصل بعد إلى المرحلة الإنسانية في سلم التطور البيولوجي/ الاجتماعي.

سيطر تغريب العرب من فلسطين، ديمغرافيًّا وحضارياً، على الذهنية الصهيونية في بحثها عن الاتساق والانسجام بين المخطط الصهيوني وتطبيقه عملياً بالاستيطان وبناء الكيان، وكان ذلك التغريب مسوًغاً لاغفاء الصهيونية من التفكير بأي ظلم أو إجحاف يقع على أولئك العرب، وهكذا تحيّت الأخلاق الإنسانية والمشاعر السوية جانباً لدى تفكير الصهيونيين بمصير عرب فلسطين، منذ البدايات الأولى للمشروع الصهيوني، مقابل التشبيح بنموذج خاص من الإنشاءات الفكرية والعاطفية التي تبرر اقتراف الجرائم الكبرى بحق الآخرين، وبتعليقات تبسيطية.

كان تغريب العرب من فلسطين ذهنياً، يمثل اللبنة الأولى لعملية إجلاء العرب المصورة، وكان تاريخ المشروع الصهيوني هو تاريخ ذلك ارتباط العرب بأراضيهم وببلادهم. وتمثلت (استواعبت) الصهيونية في هذا المنحى مختلف التجارب والأفكار التي ظهرت في مناطق كثيرة من العالم، وخاصة: طريقة إنشاء الولايات المتحدة الأمريكية، وبناء المستعمرات الجديدة في الغرب، وعمليات الضخ السكاني الاستيطاني الغربي في أستراليا ومناطق مختلفة من العالم.

#### استراتيجية الإرهاب الصهيونية وعمليات التهجير والتدمير:

تطبيقاً للأسس الأيديولوجية المتعلقة بإنجاز المشروع الصهيوني جرى تطبيق استراتيجية عدوانية في المعركة الدائرة والمتصاعدة في فلسطين، على امتداد نحو خمسة عقود بعد تأسيس الصهيونية، عبر هجرة اليهود إلى البلاد واستيطانهم فيها، وبناء القوة الذاتية البشرية والعسكرية والاقتصادية.

وقد زجّت الصهيونية بهذه القوة واستغلتها إلى حدّها الأقصى، إثر صدور قرار التقسيم عن الجمعية العامة للأمم المتحدة(29/11/1947).. فقبل نحو ستة أشهر من إعلان قيام الكيان الصهيوني دعا بن غوريون، رئيس اللجنة التنفيذية في الوكالة اليهودية، إلى تهجير العرب، قائلاً: "كل هجوم يجب أن يكون ضربة قاضية تؤدي إلى تدمير البيوت وطرد سكانها"(2).

ومنذ كانون الأول 1947 صارت سياسة نسف البيوت العربية أو عمليات تدمير أجزاء كاملة من قرى عربية، تشكّل عنصراً رئيساً في العمليات التي تنفذها "الهaganah" (قوات الدفاع اليهودية). واستغل الصهيونيون ظروف حرب 1948،

وقاموا بأعمال همجية قلَّ نظيرها، استهدفت تصفية التجمعات والمباني السكنية العربية. وجاء تدمير القرى أو غالبيتها العظمى نتيجة لمنهجية "الهاغاناه" المنظمة، باستخدام المواد المتفجرة والجرافات، سواء على أيدي الوحدات العسكرية اليهودية الخاصة أم على أيدي سكان المستعمرات.

وفي شهر أيار 1948 بدأ يتعزز لدى الزعامة الصهيونية هدف عدم تمكين العرب المهجرين من العودة إلى ديارهم، وسرعان ما أدركت هذه الزعامة بأن تدمير القرى والممتلكات العربية هو أسلوب وسيلة لتحقيقه، فجرى إحراق المزروعات العائدة للمهجرين لعزلهم عن أراضيهم حسياً ونفسياً، ومنع هؤلاء من جني الحقول القريبة من خطوط الجبهة كوسيلة لمنع عودتهم، وكانت القوات الصهيونية تطلق النار على العرب الذين يحاولون جني محاصلهم، واستمرت بحرق الحقول العربية التي لم يكن بإمكان اليهود جنحها. وفي النصف الثاني من عام 1948 واصلت هذه القوات سياسة تدمير القرى العربية تحت رعاية بن غوريون، إما لدوافع عسكرية فورية أو لدوافع سياسية بعيدة المدى<sup>(3)</sup>.

ولجأت العصابات الصهيونية إلى ارتكاب المجازر ومختلف الأعمال الإرهابية، لتغري فلسطين من مواطنها العرب، وكانت مذبحة دير ياسين (في 1948/4/9) واحدة من سلسلة مذابح نظمتها هذه العصابات، بلغ عدد ضحاياها 254 فلسطينياً من شيوخ ونساء وأطفال.. وهناك مجازر أخرى لا تقل وحشية عنها، هي: مجزرة الدوايمة (قضاء الخليل)، ومذبحة اللد، ومجزرة الطنطورة (قضاء حifa)، ومجزرة الصفاصاف (قضاء صفد). وقد أحصى مركز المعلومات الوطني الفلسطيني في وكالة الأنباء الفلسطينية (وفا) 72 مجزرة وقعت عام 1948، وأورد تفصيلات عنها<sup>(4)</sup>.

وبحسب معلومات إسرائيلية نُشرت على نطاق واسع انتهت "الهاغاناه" في صيف 1947 من بلورة "الخطة د= توحينيتس دالت" التي تعود خطوطها الأولى إلى عام 1942، وأدخلت فيها تعديلات عدة، خلال السنوات اللاحقة، لتجاوب مع تحقيق المدفين الصهيونيين المركزيين الممثلين بإقامة الدولة اليهودية وطرد العرب الفلسطينيين منها. ووضعت الخطة موضع التطبيق في آذار 1948، حيث دخلت الحملة العسكرية الصهيونية طوراً جديداً وأكثر خطورة عندما شرعت قيادة "الهاغاناه" بتنفيذها.

كانت هذه الخطة تقضي بالاستيلاء على النقاط الرئيسية في البلاد وعلى الطرق قبل رحيل البريطانيين. أما الأسس السياسية/الاستراتيجية لها فكانت تقضي بتوسيع الدولة اليهودية إلى أبعد من الحدود التي خصّصت لها بقرار التقسيم 1947. وقد نصت الخطة على "حرق" و"نسف" و"تمدير" القرى العربية و"طرد السكان العرب المحليين إلى خارج الحدود...".

وفي الفترة الممتدة من العاشر من آذار 1948 حتى قيام الكيان الصهيوني إسرائيل في 15 أيار 1948 شرعت "المهاجنة" وعصابات "اتسل" و"ليحي" بتنفيذ "الخطة د"، فقامت باحتلال القرى والمدن العربية الفلسطينية وطرد سكانها والتمركز فيها وتمدير قرى أخرى وزرع ألغام بين أنقاضها بهدف منع عودة العرب إليها. وصدرت توجيهات رسمية بأن يطال التدمير جميع القرى أو المناطق العربية، سواء أكانت تقوم بأعمال عدائية ضد اليهود أم من المحتمل(.. !!) أن تشارك في أعمال كهذه مستقبلاً(5).

وبهذا الأسلوب تم خلال ربيع وصيف 1948 تدمير تجمعات عربية عديدة في مناطق مختلفة من البلاد، كلٌّ بحسب ظروفها ووضعها على الصعيد العسكري ومستوى المقاومة العربية فيها وطبوغرافيتها. ومن الملاحظ أن الرواية الرسمية الإسرائيلية لحرب 1948، تحدثت عن تدمير القرى حسب "الخطة د" من زاوية اعتبارها قواعد للقوى العربية المسلحة التي كانت تبدي مقاومة، فتتم إبادتها وطرد السكان إلى خارج حدود الدولة(6).

حول هذه المسألة يذكر المؤرخ الإسرائيلي آفي شلايم في كتابه "الجدار الحديدي - إسرائيل والعالم العربي" (ال الصادر عام 2000)، استناداً لوثائق صهيونية، أن "المهاجنة" شرعت في تطبيق سياسة "الدفاع المجموعي"، مترافقاً مع تدمير اقتصادي وحرب سيكولوجية. وكانت الخطة "الخطة د" التي أعدها زعماء "المهاجنة" نقطة علام رئيسية في تطوير هذه الاستراتيجية الدفاعية. وبعد أن مُني زعماء "المهاجنة" بهزائم عدّة على أيدي القوات غير النظامية الفلسطينية قرروا أن يمسكوا بزمام المبادرة وأن يتحولوا إلى الهجوم، وقد كان الهدف الأبرز لتنفيذ "الخطة د" تأمين جميع المناطق المخصصة للدولة اليهودية بموجب قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة، فضلاً عن تأمين المستعمرات اليهودية خارج هذه المناطق وتأمين الممرات الموصلة إليها، وذلك من أجل خلق قاعدة قوية ومستمرة للسيادة

---

اليهودية. وقد كانت جرأة الخطة في الأوامر التي صدرت لاحتلال قرى ومدن عربية، وهو أمر لم تتحاوله "الهاغاناه" من قبل أبداً. وعلى الرغم من أن صياغة "الخطة د" كانت غامضة، لكن هدفها كان "تنظيف" البلاد من العناصر العربية المعادية والتي يتحمل أن تصبح معادية، وقد هيأت بهذا المعنى المسوّغ لطرد المدنيين العرب. وهكذا ساهمت "الهاغاناه" من خلال تفزيذ "الخطة د" في شهر نيسان وأيار، بصورة مباشرة وحاسمة في ولادة مشكلة اللاجئين الفلسطينيين. وبذلك – يتبع شلaim – تحطم المجتمع الفلسطيني تحت تأثير الهجوم العسكري اليهودي الذي انطلق في شهر نيسان، وبدأت الموجة الجماعية للفلسطينيين. ويرأى Shlaim، كانت هناك أسباب عديدة للهجرة الجماعية الفلسطينية، بما في ذلك رحيل القادة الفلسطينيين عندما اشتدت الأمور، غير أن السبب الأهم كان الضغط العسكري اليهودي، إذ لم تكن "الخطة د" برنامج عمل سياسي من أجل طرد عرب فلسطين، بل كانت خطة عسكرية ذات أهداف عسكرية ومحليّة، غير أن الخطة، بإعطائها الأمر باحتلال مدن عربية وتدمير القرى، سمحت وسّوّغت طرد المدنيين العرب بالقوة، وبنهاية عام 1948 قفز عدد اللاجئين الفلسطينيين إلى نحو 700 ألف شخص<sup>(7)</sup>.

وخلال النصف الثاني من عام 1948 واصل الجيش الإسرائيلي عمليات ترحيل الفلسطينيين بقوة السلاح، واستمرت حملة "إسرائيل" في التكيل بالفلسطينيين وإبعادهم حتى أوائل عام 1949. وكان إيفال يادين (رئيس العمليات في الأركان عام 1948 ورئيس الأركان عام 1948 ورئيس الأركان الإسرائيلي الثاني) المسؤول التنفيذي الأول عن تطبيق أساليب "الخطة د" التي رسمت لتفيذ أوامر بن غوريون بتدمير القرى العربية المجاورة للمستعمرات اليهودية وطرد سكانها منها، وكذلك السيطرة على الشريان الرئيسي للمواصلات التي تُعدُّ حيوية لليهود وتدمير القرى الفلسطينية الواقعة قربها<sup>(8)</sup>.

في شهادة لعالمي الآثار الإسرائيليين سوليماني وكالتر، يبينان أن قيام دولة الكيان الصهيوني "إسرائيل" وحرب عام 1948 أديا إلى إحداث تغيير سياسي وديمغرافي عميقين، وإلى تغيير مادي دراميكي في مشهد البلد برمتها. فقد أفرغت مئات القرى والبلدات الفلسطينية من سكانها، وأقيمت مدن وبلدات جديدة ذات أسماء جديدة مكانها أو على مقربة منها، فيما قامت مؤسسة "الكيرن كيميت ليسرائيل" (الصندوق القومي) بتحويل مساحات واسعة من أراضي القرى

الفلسطينية إلى غابات حراجية. وقد دُمِّر عدد قليل من القرى الفلسطينية التي تركت مهجورة، لتشهد عمليات تدمير ليس فقط جراء قوى وعوامل الطبيعة، بل أيضاً جراء أعمال تدمير مدبرة. فقد استمرت عمليات التدمير الموجهة طوال السنوات كجزء من سياسة مستمرة، وجدت تعبيراً لها على سبيل المثال في تدمير بضع عشرات من قرى الجليل في عام 1949، وتدمير عدد من القرى في منطقة القدس خلال عام 1959. وقد أقرت هذه السياسة من جهات سلطوية (إسرائيلية) عليها، أما عملية هدم القرى وتدميرها فقد جرت بمشاركة جهات عديدة، من ضمنها "الصندوق القومي" و"دائرة أراضي إسرائيل" والجيش الإسرائيلي ومؤسسات استيطانية مختلفة. كما قامت السلطات بعبرنة الخريطة الحضرية - الجغرافية، حيث استبدلت بالآلاف الأسماء العربية للقرى والبلدات والجبال والوديان وما إلى ذلك، أسماء عربيةأخذت من مصادر مختلفة أو اخترعت في الحالات التي لم يتوافر فيها مصدر ملائم<sup>(9)</sup>.

في تلك الأثناء اعتمدت السلطات الصهيونية سياسة التصفية الأولية للقرى العربية، ثم واصلت في الخمسينيات والستينيات عمليات محو العديد منها، وتسوية بيونتها بسطح الأرض وتجريفها وبعثرة حجارتها، وهي عمليات افتضحت في ضوء التقارير التي نشرت والصور والمخطوطات القديمة للقرى والمباني، أو أكواخ الحجارة في مواقعها، أو نباتات الصبار الشائخة والمتقددة التي تسيّح موقع القرية، أو الأشجار الحراجية وسواها، كما جرى استخدام الكثير من الأبنية السليمة أو التي رُمت، لأغراض احتلالية متعددة، وخاصة في المدن، ولا تزال شاهدة على أصالة هويتها العربية.

#### **قيام الكيان الصهيوني ومنع اللاجئين الفلسطينيين من العودة إلى أرضهم:**

أسفرت حرب اغتصاب فلسطين عن معطيات مروعة، حيث تم احتلال نحو 80% من البلاد، وتهجير بين 700 - 800 ألف نسمة، ووصل العدد في بعض المصادر إلى مليون نسمة تحولوا إلى لاجئين، وجرى تهجير وتدمير مئات التجمعات السكانية العربية؛ بلغت في بعض المصادر 533 تجمعاً، وأورد سجل "التدمير الجماعي للقرى الفلسطينية" قائمة تضمنت 472 قرية<sup>(10)</sup>.

إجمالاً تأثر الأسباب الرئيسية لحدوث النكبة ومشكلة اللاجئين بالتخفيط والسعى الصهيوني لإنجاز هدف استراتيجي عام هو تفريغ البلاد من سكانها

العرب كضرورة لتهويدها، عبر ارتکاب انتهاکات خطيرة لحقوق الإنسان، ولأبسط مبادئ القانون الدولي.

وقد واصل الكيان الصهيوني هذه الانتهاکات حتى بعد توقيع اتفاقية الهدنة عام 1949، حيث استمرت الضغوط الramatic إلى تهجير من تبقى من العرب في البلاد. وجرى الحديث على الدوام عن المستقبل الكارثي للدولة إذا بقى العرب فيه. وفي أيامنا هذه يُعدُّون سوفير (الأستاذ في جامعة حيفا) المصدر الأكاديمي الأول للاقتباسات الإسرائيلية الخاصة بما يسمى "الخطر الديمغرافي" الذي يتهدد الكيان الصهيوني كدولة يهودية صرف. وغدت "المدرسة السوفيرية" مرجعاً لليمن واليسار على حد سواء في التحسب لهذا الخطر الذي استمر نهجاً ثابتاً للكيان الصهيوني، ودخلت توجهات التهجير في البرامج السياسية لبعض الأحزاب الصهيونية، بصيغ متباعدة. ونشرت دراسات ومقالات وتصريحاً لشخصيات متفرقة (أكاديميين - سياسيين - حاخامات - زعماء مستوطنين .. إلخ) تُغذي تيار "الترانسفير= الترحيل". ومن المقدر أنه لن يكون بعيداً اليوم الذي ستتملاً فيه الشوارع الإسرائيلية بلافات طالب بصيغة "ترانسفير عخشاف = ترحيل الآن" مقابل لافتات الحركة الهمشية "شالوم عخشاف = سلام الآن".

### **الداعوى الصهيونية بشأن تهجير العرب ومشكلة اللاجئين الفلسطينيين**

كثرت الأوصاف والتسویقات في الجانب الإسرائيلي لطرد العرب، وجرى تداول كلمات مثل: خروج - هروب - مغادرة - رحيل - نزوح .. إلخ، في حين سعى الصهيونيون إلى خنق أي تعبير آخر مثل: طرد - تهجير - اقتلاع - تشريد - إجلاء - إحلال.. إلخ.

وبحسب المؤرخ آفي شلaim في كتابه "الجدار الحديدي.."، تصور الرواية الصهيونية التقليدية حرب عام 1948 بأنها صراع بين خصم عربي يشكل وحدة متراصة و"إسرائيل" الصغيرة، وفي هذه الرواية قامت سبعة جيوش عربية بغزو فلسطين لدى انتصار زمن الانتداب البريطاني وفي ذهنها هدف واحد؛ خنق الدولة اليهودية. وقد كان الصراع غير متكافئ بين دافيد اليهودي وجالوت العربي، حيث خاضت الدولة اليهودية الوليدة "معركة بطولية يائسة"، ولكنها ناجحة في نهاية المطاف من أجل البقاء. وبموجب تلك الرواية هرب أشلاء الحرب مئات الآلوف من الفلسطينيين إلى الدول العربية المجاورة، وكان ذلك بشكل رئيس استجابة لأوامر

من قادتهم وتوفقاً لعودة مظفرة. وإن "إسرائيل" نفسها غير مسؤولة بأي شكل عن مشكلة اللاجئين، لذا فهي لا تقبل قرارات الأمم المتحدة التي أعطت اللاجئين الحق بالعودة والتعويض. ويتابع شلaim: "استُخدمت هذه الرواية الشائعة المتعلقة بحرب 1948 بشكل واسع في الدعاية الإسرائيلية، ولا تزال تُدرس في المدارس الإسرائيلية، وهي مثال رئيس على تجنيد الرواية القومية للتاريخ في عملية بناء أمة، فالتاريخ، بمعنى واقعي جداً، هو دعاية المنتصر، وتاريخ حرب عام 1948 ليس استثناء".<sup>(11)</sup>

وبحسب Shlaim "صارت المعزوفة الصهيونية التقليدية لأحداث 1948 معروفة جيداً، ومقبولة على نطاق واسع في الغرب، وهي تضع كل اللوم على الحرب ونتائجها على الجانب العربي، وهذه هي الرواية الرسمية للتاريخ، وعلى هذا النحو، هذه رواية تبسيطية انتقائية وتحذر المصالح الذاتية، وهي في جوهرها دعاية المنتصرين، فهي تصور المنتصرين كضحايا، كما أنها تلقي اللوم على الضحايا الحقيقيين الفلسطينيين على سوء حظهم".<sup>(12)</sup>

وعلى امتداد العقود التالية ظل التفسير الصهيوني لعملية التهجير يجترّ القول: إن ملوك الدول العربية ورؤسائها وحكامها وقاده الشعب الفلسطيني هم الذين أوعوا للسكان العرب أو طلبوا منهم أو حتى أمروه بترك قراهم ومدنهم، ووصل الادعاء إلى درجة الزعم بأن هذه الأوامر أذيعت على الهواء من محطات الإذاعة في الدول العربية تناشد السكان العرب بترك قراهم والتزوح إلى أماكن آمنة في فلسطين أو الدول العربية<sup>(13)</sup>، وسيتبين لاحقاً أن هذا الأمر كذبة من العيار الثقيل.

كما ظلت "إسرائيل" تُشكر تماماً بسببها بذلك التهجير، وتفرض سرية مطبقة على مداولات الحكومة حول طرد الفلسطينيين خلال حرب 1948 ، وعلى الفضائع التي ارتكبها الصهيونيون لتهجير العرب من قراهم، وجرى الحرص على عدم كتابة أو نشر وثائق رسمية عن عمليات الطرد، وفي بعض الحالات كانت "حركة يد" من بن غوريون تكفي لتكون أمراً بتنفيذ هذه العمليات، وكان هناك تشدد رسمي بعدم السماح بكشف تفاصيل الأعمال الإجرامية التي ارتكبتها العصابات الصهيونية. ففي عام 1995 مثلّاً نشرت محاضر اجتماعات الحكومة الصهيونية المؤقتة (1948/5/10 – نيسان 1949)، وكانت نسبة 95% من

النصوص التي حظر نشرها تتعلق بجرائم ارتكبها الجنود الصهابية ضد السكان العرب وإجراءات طرد فعلية(14).

اتساقاً مع هذه التوجهات، ضمن العديد من الوثائق الصهيونية المتعلقة بحرب 1948 ونشوء مشكلة اللاجئين، أصدرت وزارة الخارجية الإسرائيلية(يوم الأحد - 11/5/2008) بياناً بمناسبة ذكرى ما يسمى "استقلال إسرائيل"(اغتصاب فلسطين- الباحث)، عدَّ فيه أن النكبة الفلسطينية "مأساة من صنع ذاتي"، نافية أن يكون قد جرى ارتكاب "تطهير عرقي" في فلسطين. وهنا مقاطع من البيان، بصورة حرافية، لمعرفة نمط التفكير الصهيوني في هذا المنحى، مع الانتباه والتحفظ إزاء الأضاليل والتشويهات الواردة فيه (بالنص): "إن هناك محاولات لنزع صبغة الشرعية عن قيام دولة إسرائيل من خلال الطعن في ملابسات إقامتها وتشويه تاريخ النزاع. وتحمّل هذه المحاولات إسرائيل وحدها المسؤولية عن معاناة الفلسطينيين، وتتجاهل عقوداً شهدت أعمال عنف وإرهاب عربية أودت بحياة العديد من الإسرائيليين الأبرياء، وتُعفي الفلسطينيين تماماً من أي مسؤولية عن مصيرهم". ويتابع البيان: "إنه لمن المؤسف ألا تتلاشى المحاولات لنزع صبغة الشرعية عن إسرائيل بعد مرور 60 عاماً على تأسيسها. ومن المفارقة أن يتم التشكيك في الحق الأساسي في الوجود لأحدى الدول القليلة في العالم، التي تمت المصادقة على إقامتها بقرار من الأمم المتحدة". وبحسب البيان: "إن إقامة الدولة اليهودية على أرض إسرائيل ليست بحدث عرضي في التاريخ. لقد عاش اليهود في إسرائيل باستمرار خلال أربعة آلاف عام، وكانت إسرائيل مكاناً لم يغادره اليهود قط طوعاً، ومكاناً أدى اليهود صلواتهم، خلال ألفي سنة من أجل العودة إليه. إن إعادة السيادة اليهودية إلى هذه القطعة الصغيرة من الأرض لم تكن أمراً غير عادل وإنما تنطوي على رفع ظلم تاريخي. وعلى الرغم من ذلك إن الفلسطينيين يُعدون إقامة "دولة إسرائيل" النكبة المأساة. وفي الوقت الذي يمكن فيه التضامن مع شعور الفلسطينيين بأن مأساة رهيبة قد حلّت بهم، يجب ألا تُعرض صورة أحدادية الجانب للأوضاع، وما هو الأهم أن العديد من الادعاءات لم تُعترف بأن هذه المأساة هي مأساة من صنع ذاتي أولاً، وهي مأساة كان بالإمكان تجنبها بسهولة. وعلى سبيل المثال، كثيراً ما تم تحميل إسرائيل المسؤولية عن قضية اللاجئين الفلسطينيين. ويتتجاهل هذا الموقف الحقائق التاريخية والمناورات السياسية للقضية عقب تأسيس دولة إسرائيل". ويرى البيان أن "قضية اللاجئين تعود إلى عام 1947 حيث رفضت

القيادة العربية قرار الأمم المتحدة رقم 181 الذي دعا إلى إقامة دولتين إحداهما عربية والثانية يهودية في مناطق الانتداب البريطاني. ولو كان العرب يهتمون بشكل أكبر في إقامة دولة لهم، بدلاً من توجيه الاهتمام في القضاء على الدولة اليهودية الناشئة، ل كانت للفلسطينيين دولة ولم يكن هناك ولو لاجئ واحد. فضلاً عن ذلك، لو لم يبدأ الفلسطينيون بالتصدي لقرار الأمم المتحدة عام 1947، وعقب ذلك غزو جيوش عربية عام 1948، لما أصبح الفلسطينيون قطّ لا جئن؛ إذ إن الكثير من الفلسطينيين اختاروا مغادرة البلاد خلال الحرب، وكان ذلك خياراً للفلسطينيين، فمعظمهم غادر بعد أن دعت القيادة العربية الفلسطينيين إلى إخلاء الطريق أمام الجيوش الغازية. وغادر آخرون خشية على حياتهم وتجنباً لإلقاء الإسرائيлиين القبض عليهم خلال القتال، رغم أن هذا الأمر كان مألوفاً خلال حروب ذلك العصر". ويزعم البيان "أن هناك نقطة واحدة واضحة تماماً هي أنه لم يكن هناك قطّ تطهير عرقي للفلسطينيين، بل لم تحصل في هذه الفترة إلا عملية تطهير عرقي واحدة، وهي عملية طرد اليهود من جميع مدن آبائهم القديمة والتجمعات السكنية الحديثة في الضفة الغربية وقطاع غزة، وأولئك الذين لم يُطردوا دُبُحوا"(...).

#### تعامل الصحافة الإسرائيلية مع النكبة يتماهى مع الموقف الرسمي:

في كل السردية الصهيونية حول إنشاء "إسرائيل"، ظلت الدعاوى والأراجيف ذاتها تتكرر بصورة مستسخنة عن الموقف الرسمي، ولم تخرج وسائل الدعاية الإسرائيلية عن هذا الإطار على الدوام. ومن العينات المهمة في هذا الصدد نتائج بحث بعنوان "نكبة فلسطين في أواسط الجمهور الإسرائيلي: أنماط الإنكار والمسؤولية" للبروفيسور أمل جمال والباحثة سماح بصّول، أجراه مركز "إعلام" (2014)، ومقره مدينة الناصرة في فلسطين المحتلة. فقد أظهرت هذه النتائج أن تعامل الإعلام الإسرائيلي مع النكبة يتراوح بين إنكارها وإنكار المسؤولية عن حدوثها والنظر إليها كتهديد مستمر يهدف لنزع الشرعية عن "إسرائيل". كما بيّنت أن اردياد الحراك الفلسطيني لإحياء النكبة يفرضها على الأجندة الإسرائيلية. ويدرك ملخص البحث أنه تم رصد وتحليل المقالات والأخبار التي تطرقـت للنكبة، ونشرـت في الإعلام العربي خلال سنوات 2008 حتى 2012، ووصل عددهـا إلى 318 مقالاً وخبرـاً نشرـت في خمس صحف، هي: هـارتس، يـديعوت أحـرونوت، مـعاريف، يـسرائيل هيـوم، هـموديـع.

وأظهرت النتائج التحليلية لضامين الأخبار والمقالات المنشورة، أن هناك خمسة أشكال لكيفية تعامل الجمهور الإسرائيلي مع موضوع النكبة، هي:

- إنكار النكبة والتعامل معها كاختراع لدعم الدعاية الفلسطينية وتزوير التاريخ.
- إنكار مسؤولية حدوث النكبة وليس إنكار حدوثها.
- النكبة هي حدث تراجيدي مستمر حتى يومنا هذا.
- النكبة هي تهديد مستمر يهدف لنزع الشرعية عن "إسرائيل".
- النكبة هي ذاكرة جماعية يجب احترامها.

وبرز من النتائج أن هناك تبايناً واضحًا ما بين إنكار النكبة وإنكار مسؤولية حدوثها، لكن الكم الأكبر من الأخبار يرى في النكبة تهديداً مستمراً يهدف لنزع الشرعية عن "إسرائيل"، وهذا ليس بالأمر المفاجئ في ظل تعاظم التعامل السلبي للمؤسسة الإسرائيلية مع موضوع النكبة المتمثل بسلسلة من القوانين، وعلى رأسها "قانون أساس - الميزانيات" الذي ينص على معاقبة المؤسسات والجمعيات التي تعدد يوم استقلال إسرائيل" كيوم حداد أو حزن. أما إسقاطات إنكار النكبة أو إنكار مسؤولية حدوثها فتتمثل بمحاولات محاربة الذاكرة الجماعية والرواية الفلسطينية، وما يتربّى على ذلك من حملات إعلامية تبرّرها كأكذوبة، إلى جانب محاولات طمس ما تبقى من معالم القرى الفلسطينية المهدمة.

ويتبّع من البحث أن هناك ستة دوافع أساسية لإنكار النكبة تتلخص بما يأتي:

- أيديولوجية: تعكس التخوف من زعزعة الفكر الصهيوني.
- قيمية: تتعلق بإنكار "إسرائيل" المسؤولية الأخلاقية لحدوث النكبة.
- نفسية: تتعلق بالحفاظ على كون اليهود ضحية.
- استراتيجية: تتعلق بتملص "إسرائيل" من المسؤولية في قضية اللاجئين الفلسطينيين ومن كونهم مركباً أساسياً لحل النزاع.
- قانونية: تكمن في الخوف من محاسبة ومقاضاة الإسرائيليين المسؤولين عن حدوث النكبة، وفتح النقاش في الحق على الأرض وأملاك اللاجئين.

- دبلوماسية: تتعلق بوضع إسرائيل في موقف داعي يعزز الموقف الفلسطيني. إلى جانب تعاظم إنكار النكبة البارز جلياً في الإعلام الإسرائيلي يجد الباحثان جمال وبصّول أن هناك كماً كبيراً من المقالات والأخبار التي تتطرق للنكبة كحدث تراجيدي و厶أساة شعب، لكن هذه التعددية في الآراء ما هي إلا محاولة لتصوير الخطاب الإعلامي والجماهيري الإسرائيلي بأنه موضوعي، بينما هي في حقيقة الأمر محاولة لتبييض صفحة الإنكار الممنهج والمأسس(16).

#### حقائق وعناوين تؤكد المخطط الصهيوني السابق لتهجير العرب:

مقابل التوصل الصهيوني من المسؤولية عن النكبة الفلسطينية ظهرت حقائق دامغة، وضمناً وثائق نشرت لاحقاً وأكّدت هذه المسؤولية. ويمكن تتبع المسألة عبر ما ورد في المصادر الصهيونية وسواها من سلسلة طويلة للخطط والتصورات والأفكار الخاصة بترحيل العرب من فلسطين، منذ ما قبل قيام "إسرائيل"(1948). فقد كانت فكرة طرد العرب من فلسطين تسيد على أذهان زعماء الصهيونية الأوائل، فمثلاً لدى قيام مؤسس الصهيونية السياسية تيودور هرتزل (1860 - 1904) بوضع خطة لإقامة دولة لليهود في فلسطين، تحدث عن "اليودنستاتس Der Judenstaat" (بالترجمة العربية: مديناه هييهوديم=دولة اليهود)(17)، أي دولة يتآلف جميع سكانها من اليهود، وليس عن الدولة اليهودية، التي تعني أنها ستكون دولة تتصف وتتميز بالقانون اليهودي وتحكمها المعايير اليهودية في شتى الميادين. وعليه إن فكرة "دولة اليهود" هي في حد ذاتها فكرة استيطان إحلالي يقوم على تحريرك ديمغرافي في باتجاهين: مستوطنون طاردون، ومواطنون مطرودون، أي تفريغ وإعادة ملء. هذا هو محور الدولة التي كرس هرتزل السنوات العشر الأخيرة من حياته لإنشائها. أما كيف؟ فنجد لدى هرتزل تصوراً واضحاً، إذ كتب في يومياته(1895/6/12) : "عندما نحتل البلاد، سنعمل سريعاً على إفادة الدولة التي تستقبلنا، ويجب أن نستخلص ملكية الأرض التي ستعطى لنا، وسنحاول تشجيع السكان على النزوح إلى البلاد المجاورة(18).

وكان هدف الصهيونية - كما صرّح بذلك الزعيم الصهيوني حاييم وايزمن - يقضي بما أسماه "جعل فلسطين يهودية مثلما أن إنكلترا إنكليزية" .. وهذا يعني أنه لا بد من إجلاء كل العرب الذين كانوا يشكلون نحو تسعين بالمئة من سكان

فلسطين، أو إجلاء معظمهم، ليتسنى تحقيق هدف الصهيونية(19). وقد تحدث وايزمن عن ترحيل الفلسطينيين إلى شرق الأردن والعراق.

وقد ظل دافيد بن غوريون(1886 - 1973) طوال سنوات حياته السياسية - يعمل لإنجاز هدف طرد العرب من فلسطين، وكان عمله هذا ظاهراً منذ إسهامه في تأسيس الستدرورت (اتحاد العمال)، حيث أصبح أول سكرتير له(1920)، وإسهامه في تأسيس عصابات "الهاغاناه"(1930)، وسلمه منصب رئيس اللجنة التنفيذية في الوكالة اليهودية (منذ 1935 حتى قيام "إسرائيل" عام 1948)، وصار أول رئيس حكومة لها. وفي مواقفه وتصريحاته نلمس حضوراً كبيراً لفكرة طرد العرب من فلسطين بالقوة. وبعد أشهر من صدور تقرير "لجنة بيل" التي اقترحت تقسيم البلاد إلى دولتين: عربية ويهودية كتب بن غوريون إلى ابنه عاموس (1937/10/5): "إن دولة يهودية محددة لن تكون هي النهاية.. سنستعين بملائين اليهود في المهاجر.. علينا أن نطرد العرب وأن نحتل مكانهم، وحين نضطر إلى استخدام القوة فإن هذه القوة هي بحوزتنا.. وبعد إنشاء دولتنا سيكون جيشنا من أقوى الجيوش في العالم، وسوف نستخدمه لإرغام الفلسطينيين على الرحيل"(20).

.. وهناك عشرات الوثائق الصهيونية والغربية التي تحدثت عن تهجير العرب من فلسطين(21)، والتي تؤكد قدم مخطط هذا التهجير، وتعدُّه تعبيراً عن التوجهات الأيديولوجية والسياسية العامة للحركة الصهيونية، وعن الكذب المتعمَّد بشأن "خروج" العرب من البلاد.

.. يشار إلى أنه نشرت دراسات لباحثين منصفين كبار بيَّنت تفاصيل هذا الكذب في الرواية الصهيونية، ومنها الأدلة القاطعة التي أوردها الباحث البريطاني أرسكين تشيلدرز الذي أكد أنه لا أساس للزعم الصهيوني حول دور العرب وإذاعتهم في خروج الفلسطينيين، وذلك بعد سماعه جميع برامج الإذاعات العربية في تلك الفترة (حيث قامت محطة BBC ووكالة الأنباء المركزية الأمريكية الخاصة بتسجيل ما أذيع باللغات العربية والعبرية والإنجليزية من فلسطين والبلاد المجاورة في عامي 1947 و 1948، وقد سُجلت هذه الإذاعات يومياً في قبرص). وخلافاً للادعاءات الصهيونية ثبت لتشيلدرز من تلك التسجيلات أنه لم توجه أي إذاعة عربية دعوات لخروج الفلسطينيين من البلاد، بل على العكس "كانت

محطات الإذاعة العربية في بث النداءات إلى عرب فلسطين لمناشدتهم البقاء في منازلهم وألا يتملّكهم الرعب أو يصفعوا إلى مروجي الإشاعات"(22).

### تيار المؤرخين الجدد .. اعترافات جزئية

مقابل الرواية الصهيونية الرسمية عن حرب 1948 بدأت في النطاق الإسرائيلي عملية مراجعة لهذه الرواية بعد حرب حزيران 1967. وكان للثقة الزائدة بالنفس شأن في تشجيع بعض المؤرخين على نقد المقولات الصهيونية المتداولة، وكانت البداية مع غرشون شافير الذي كشف عن الإجراءات العنصرية التي اتخذها دافيد بن غوريون لطرد الفلسطينيين من ديارهم(23).

وفي أواخر ثمانينيات القرن الماضي أخذ ينشط في فلسطين المحتلة وفي خارجها تيار بحثي يراجع أحداث عام 1948 وسياقها ونتائجها، هو تيار "المؤرخين الجدد" الذين يعيدون النظر في النصوص والوثائق التي وردت في كتب "المaganah" والبماخ وقسم التاريخ في الأركان العامة للجيش الإسرائيلي، حيث رفعت "إسرائيل" السرية عن مجموعة من الوثائق المصنفة المتعلقة بحرب 1948، بموجب "قانون الأرشيف"، بعد مرور 40 عاماً عليها، مما أتاح للباحثين إمكانية الاطلاع عليها ومقاطعة معلوماتها مع ما كان متداولاً، وتمحیص الرواية الإسرائيلية التي سادت حتى ذلك الحين. وذلك بالتزامن مع نشوء تيار "ما بعد الصهيونية" الذي دعا لإعادة فحص المصطلحات الأساسية للمجتمع الإسرائيلي.

اشتهر في هذا الميدان البروفيسور بيني موريس (المولود في عام 1948 لأبوين هاجرا إلى فلسطين قبل ذلك بسنة)، الذي اطلع على وثائق لم تكن معروفة تتعلق بطرد الفلسطينيين من فلسطين. وظهرت في هذا السياق مساهمات بحثية لعدد كبير من الأكاديميين والباحثين والكتاب، أبرزهم: سيمحا فلابان - إسرائيل شاحاك - أوري ميلشتاين - أمنون راز - إيال نافيه - توم سيجف - آفي شلايم - إيلان بايه - أنيتا شايبرو - باروخ كيمرنغ - شباتي طيفت - يوسي أميتاي - زئيف شطرنھيل، وأخرون.

كان هؤلاء يهدفون إلى مراجعة قراءة تاريخ "إسرائيل"، تفكيكياً، وبنائه مجدداً على قواعد أكثر صلابة. وقد استفادت حركة المراجعة هذه من النتائج التي توصل إليها علم الآثار الإسرائيلي والآثاريون الإسرائيليون في الجامعات، والتي

تهدم التاريخ التوراتي كله، مما أسهم في ارتداد بعضهم على الصهيونية، أمثال: إيلان بابيه، وباروخ كيمارلنغ، وإسرائيل شاحاك. فيما "عاد" ببني موريس إلى صهيونيته إثر انتفاضة الأقصى عام 2000، فبعد أن حمل "إسرائيل" المسؤولية عن طرد الفلسطينيين تراجع إلى القول: إن طرد الفلسطينيين كان عملاً أخلاقياً خطأً، وكان من الضروري القيام به، وإنما قامت دولة "إسرائيل".

لقد قام "المؤرخون الحدد" بالتدقيق في ادعاءات الصهيونية وبيان الأسباب التي أدت إلى هجرة الفلسطينيين. ومع أن هذه الإسهامات ظلت دون الحد الأدنى للموضوعية، إلا أنها قدمت مؤشرات على التحرصات الصهيونية بشأن ماجري. ولأسباب مفهومة تعرض هؤلاء المؤرخون إلى حملات صهيونية مناهضة لهم ولطروحاتهم.

وبحسب البروفيسور أمل جمال (مدرس العلوم السياسية في جامعة تل أبيب/رئيس مركز إعلام - المركز العربي للحريات الإعلامية والتنمية والبحوث) - الناصرة - فلسطين المحتلة)، لم تكن المؤسسة الإسرائيلية الرسمية راضية عن عمل هؤلاء المؤرخين، بل عملت ضدهم ودخلت في مواجهة معهم بدعم من بعض المؤرخين المحافظين المؤسسيين الذين أكدوا على مقولاتهم السابقة في مواجهة "المؤرخين الجدد"، وشاركتهم في ذلك الإعلام الإسرائيلي الذي عتم على هؤلاء المؤرخين وروايتهم للنكبة، كما رفضت المؤسسة التربوية إدراج المعلومات الجديدة ضمن مناهج التدريس رغم محاولة بعض الشخصيات إدخال هذه المعلومات التي تعرف بالنكبة وأحداثها، لكن وزارة التعليم منعهم، وبالتالي بقيت عملية التنشئة والتثقيف محافظة وتستعمل المعلومات المألفة التي توفرها المؤسسة الإسرائيلية الرسمية، وبالتالي كانت هناك عملية صد للمعلومات التي وفرها المؤرخون الجدد ومواجهتها بمعلومات بديلة تقلل من شأنها وتمنع تأثيرها، وتدعى أنها غير صحيحة وليس دقيقة ومعلومات روائية وقصصية أكثر منها معلومات بحثية، كما كانت هناك مهاجمة للمنهج الدراسي الذي استعمله "المؤرخون الجدد" (24).

نرجي في هذا المقام مناقشة الدوافع الحقيقة الكامنة خلف أعمال "المؤرخين الجدد"، لنتوقف عند بعض المضامين التي حملتها هذه الأعمال، والتي تتعلق بموضوع سقوط الإنكار الصهيوني للمسؤولية عن النكبة الفلسطينية.

**-بني موريس (Benny Morris) : أسباب الخروج الفلسطيني**

من أبرز العينات التي نشرها "المؤرخون الجدد" حول مشكلة اللاجئين، دراسة للأكاديمي الإسرائيلي بني موريس (في مجلة دراسات شرق أوسطية، مطلع عام 1986)، اعتمد فيها وثيقة أعدتها فرع الاستخبارات في وزارة الدفاع بتكليف من بن غوريون (رئيس الحكومة وزير الدفاع) أو إيفال يادين (رئيس الأركان)، عن الفترة من 1947/12/1 إلى 1948/6/1 كانت العوامل التي أوردتها الوثيقة لـ "رحيل العرب"، هي: (25)

- العمليات العسكرية للهاغاناه على القرى والمدن العربية التي أسهمت بنحو 55٪ من النزوح.

- العمليات العسكرية للقوات اليهودية المنشقة (أرغون ولحي)، يقدر تأثيرها بنحو 15٪.

- اعتبارات محلية وخوف من المستقبل : (20٪)

- الأوامر من المؤسسات العربية وغير الرسمية : ٪2

- حملات الهمس اليهودية (الحرب النفسية) : ٪2

- أوامر مباشرة بالرحيل من القوات الإسرائيلية : ٪2

- الخوف من انتقام اليهود بعد هجوم العرب على موقع يهودية : ٪1

- ظهور قوات عربية غير نظامية من خارج القرى العربية : ٪1

- الخوف من هجوم الجيوش العربية النظامية : ٪1

- القرى العربية المعزولة وسط منطقة يهودية : ٪1

.. فضلاً عن الإشكالية المتعلقة بهذه النسب، وبالطرق المُغرضة لاحتسابها، يوحي التطوير الصهيوني لقائمة "أسباب الخروج الفلسطيني" بوجود رغبة مضمرة للتقليل من أثر الأعمال الإرهابية الصهيونية التي كانت تتم بموجب خطط وتصورات مسبقة وبأوامر رسمية من المسؤولين للصهاينة في النطاقين الحكومي والعسكري، وهي رغبة مرتبطة بالتصال من المسئولية الصهيونية عن تهجير العرب من فلسطين، وعده الأمر مجرد نتيجة لحرب بين طرفين لا علاقة مباشرة له "إسرائيل" بها (26).

وفي عام 1988 نشربني موريس كتابه "ولاده مشكلة اللاجئين الفلسطينيين"(27)، الذي داع صيته في الأوساط البحثية والإعلامية والسياسية، والذي تحدث فيه بالتفصيل عن مجريات حرب 1948 والواقف السياسية والميدانية المجازر وعمليات تهجير الفلسطينيين. وظل يتطرق إلى هذه الموضوعات في أبحاثه، بالمنهجية ذاتها.

وعشية صدور طبعة إنجليزية جديدة (منقحة) من كتابه المذكور(28)، أجرى الصحفي الإسرائيلي المشهور آري شافيت مقابلة مطولة مع بني موريس(أوائل 2004)، أكد فيها أنه حصل على وثائق إضافية تثبت وقوع مجازر إسرائيلية عام 1948 أكثر مما ظن في الماضي، وأنه لم تجر معاقبة أي شخص على أعمال القتل هذه، وأن بن غوريون أغلق الموضوع، وغطى على الضباط الذين ارتكبوا المجازر.(29)

..المهم في المقابلة أنها تضمنت تأكيد ارتباط قيام الكيان الصهيوني في فلسطين بعمليات متعددة لترحيل العرب من البلاد، خلافاً للمزاعم الصهيونية حول خروجهم الطوعي. ونلاحظ في السلسلة الطويلة من المؤلفات والدراسات اللاحقة التي نشرها بني موريس أنه صار يسلك طرقاً متعرجة للتغطية على هذه الحقيقة(30).

#### **-إيلان بابيه (Ilan Pappé) : التطهير العرقي في فلسطين**

دأب الأكاديمي الإسرائيلي إيلان بابيه المنتهي إلى تيار "المؤرخين الجدد" على تفنيد الرواية الصهيونية المتعلقة بال موقف من الفلسطينيين، وخاصة تهجيرهم من البلاد عام 1948. وارتباطاً بعمله هذا راح يشعر بفقدان المشترك بينه وبينأغلبية ساحة في المجتمع الصهيوني. وفي سنة 2007 غادر بابيه فلسطين المحتلة احتجاجاً على هذه الخلفية، متحرراً من الضغوط والمضائقات التي تعرض لها على المستويين الرسمي والعام، وخاصة بعد أن دعا رئيس جامعة حيفا للاستقالة، حتى لا يتم طرده منها، بسبب توجهاته المعارضه مع الأسس التي تقوم عليها الدولة، والتي كان يطرحها كأستاذ في التاريخ والعلوم السياسية بالجامعة، وانضم بابيه إلى قسم التاريخ في جامعة أكسفورد (بريطانيا)(31).

أصدر بابيه سلسلة أبحاث حول تاريخ البلاد والصراع، أكد فيها بالوثائق وبمنهجية البحث العلمي مسؤولية الصهيونية وكيانها العنصري في فلسطين عن نكبة الفلسطينيين، ومما أورده في هذا الصدد:

- في كتابه "صناعة الصراع العربي- الإسرائيلي" (نيويورك 1992) (32)، أكد بابيه أن العرب طردوا من فلسطين، ولم يخرجوا بمحض إرادتهم.

- في كتابه "تاريخ فلسطين الحديثة.. أرض واحدة وشعبان" (دار نشر كامبريدج الجامعية عام 2004) (33)

يتحدث بابيه عن قرى فلسطينية أبى سكانها بمجازر وحشية، ومسحت معالمها على الأرض (ص 131)، وعن قرى أخرى حاصرتها قوات "الهاغاناه" من ثلاثة جهات، ثم روعتها من أجل أن تدفع سكانها إلى الهروب من الجهة الرابعة المفتوحة (ص 137).

- في كتابه "التطهير العرقي في فلسطين" (أوكسفورد 2007) (34)، يدحض بابيه الرواية الصهيونية حول المغادرة الطوعية للعرب من البلاد أو الدعوات العربية لهذه المغادرة، ويثبت عبر سرد الواقع الحقيقية للأعمال الإجرامية للعصابات الصهيونية، واستخدام الوثائق والراسلات الداخلية المحفوظة في الأرشيف الصهيوني المتعدد، قيام الزعامة الصهيونية باعتماد خطة مفصلة بالتاريخ والوسائل لكيفية طرد السكان العرب من البلاد..

- في مقال بعنوان "التطهير العرقي بوسائل أخرى" ، (35) يفضل إيلان بابيه أن يطلق على "النكبة" مصطلح "التطهير العرقي" ، ويرى أن مصطلح "النكبة" أصبح لأسباب مفهومية ثابتًا معجمياً مقدسًا في القاموس الوطني الفلسطيني. ومع ذلك، من الناحية المفاهيمية، يبقى هذا المصطلح إشكاليًا، فالنكبة تعني الكارثة، وعادة ما يكون للكوارث ضحايا، لكنها لا يكون فيها جناة، وهو ما يفضي إلى استبعاد عناصر المساءلة والمسؤولية. ويضيف بابيه: لهذا السبب اقترحت في عام 2007 استخدام مصطلح "التطهير العرقي" لوصف كل من الأحداث التي وقعت في عام 1948، وكذلك السياسات الإسرائيلية التي تلتها منذ ذلك الحين على حد سواء. ويتبع بابيه: منذ المواجهة الأولى بين قادة وأعضاء المشروع الاستعماري الاستيطاني الصهيوني من جهة، والفلسطينيين من أهل البلد الأصليين من جهة أخرى، تم اعتبار الآخرين، في أحسن الأحوال، عقبة، وفي أسوأ الأحوال، أجانب اغتصبوا بالقوة ما يخص الشعب اليهودي. ويبين بابيه أن الرؤية كانت هي تحقيق دولة بفلسطينيين أقل، لكن التكتيكات المتعلقة بكيفية تطبيق هذه الرؤية تغيرت مع مرور الوقت. ففي حين كانت الحركة الأيديولوجية الصهيونية

---

قادرة في ظل الظروف الخاصة التي أنتجهما القرار البريطاني المفاجئ بمفاجرة فلسطينين، على تفيد عملية وحشية من التطهير العرقي واسع النطاق ضد السكان الفلسطينيين المحليين<sup>(36)</sup>، كان ينبغي أن تكون المراحل التالية أكثر تطوراً وتعقيداً. ويؤكد بايه أن التطهير العرقي لعام 1948 لم يكتمل، ففي داخل المنطقة التي أصبحت "إسرائيل"، بقيت أقلية صغيرة من الفلسطينيين، وقد بقي هؤلاء إما لأنهم كانوا يعيشون في الشمال والجنوب، في المناطق التي وصلت إليها القوات اليهودية منهكة وغير قادرة على طرد السكان المحليين، وإنما لأنهم أصبحوا مدركون أكثر من مواطنיהם الذي طردوا في مرحلة مبكرة من العمليات، للنية الحقيقة للمحتلين؛ أو لأنهم نجوا بفضل قرار اتخذه قائد محلی بالسماح لهم بالبقاء أو تركهم لقرار لاحق بعد الحرب.

**- توم سيف (Tom Segev) : جرائم الإسرائيليين الأوائل**

بين مؤلفات الكاتب الصحفي والمؤرخ الإسرائيلي توم سيف، الألماني الأصل<sup>(37)</sup>، خصص كتاباً - نشر بالعبرية عام 1984 - بعنوان "الإسرائيليون الأوائل - 1949" ، قدّم فيه عرضاً تحليلياً موثقاً عن إنشاء دولة "إسرائيل" ، يختلف في كثير من مكوناته عن الرواية الصهيونية الرسمية. فيتحدث عن حملات اقتلاع العرب وتهجيرهم عام 1948 ، وعن الجرائم التي ارتكبها العصابات الصهيونية، وسرقة الأموال وتقاسم الغنائم. وأكد سيف أن بن غوريون كان يعتقد أنه سيتم رسم حدود الدولة عن طريق الحرب، وستكون هذه الحدود أوسع من تلك التي خصصتها الأمم المتحدة في قرار التقسيم. ويضيف سيف: "لقد كان الإسرائيليون الأوائل يتحركون طوال الوقت بين قطبين: الأول، يتمسك بالشرعية ويعترف بوجود المستحيل، والآخر عملي يقول: إن كل شيء ممكن"<sup>(38)</sup>.

**- آفي شلaim (Avi Shlaim) : مسؤولية إسرائيل:**

بالإضافة إلى ما ورد في فقرة سابقة من هذه الدراسة حول تناول الأكاديمي المؤرخ آفي شلaim (العربي المولد وحامل الجنسية الإسرائيلية والبريطانية) حرب 1948<sup>(39)</sup>، ثمة اعتراف يسوقه شلaim بشأن مسؤولية "إسرائيل" عن تهجير العرب من فلسطين، في كتابه "الجدار الحديدى - إسرائيل والعالم العربي" ، حيث يؤكّد أن "إسرائيل" تروج رواية تبسيطية انتقائية وتحدم مصالحها الذاتية، وهي في جوهرها دعاية المنتصرين، فتصور المنتصرين كضحايا، وتلوم الضحايا الحقيقيين

الفلسطينيين لسوء حظهم. ويؤكد شلaim أنه يشعر بذنب مضاعف تجاه الفلسطينيين، قائلاً: "ك البريطاني أشعر بالخجل من سجل بلدي المذهل في النفاق والخيانة، وذلك عند النظر في كل مسافة الزمن للوراء وصولاً لوعد بلفور عام 1917، وك الإسرائيلي فأنا مثقل بالشعور العميق بالذنب الثقيل بالنظر إلى الظلم والمعاناة التي سببها شعبي للفلسطينيين على مدى الستين سنة الماضية"(39).

#### -دورون بار (Doron Bar) : محاور التهويـد :

يورد الباحث الإسرائيلي دورون بار البروفيسور في معهد سريتشر (Schechter) للدراسات اليهودية في القدس، في كتاباته الغزيرة، معلومات مستندة إلى الأرشيف الإسرائيلي حول مسؤولية الصهيونية وإسرائيل" عن الظلم الذي ألحقته بالفلسطينيين(40).

وفي واحد من أبرز مؤلفاته(عنوان: قديس أرض) يقدم دورون بار عرضاً موثقاً لعملية تهويد فلسطين واستسلامها وتدميرها حضارياً وبنياً، مؤكداً مسؤولية "إسرائيل" عن هدم العديد من الأماكن المقدسة الشاهدة على عروبة هذه البلاد وعراقتها، وإتلاف العديد من الغابات والمواقع التاريخية كي تقيم متزهات ومواقف للسيارات وغير ذلك(41).

#### -ميرون بنفيستي (Miron Benvenisti) : طمس تاريخ الأرض المقدسة

في ضوء الخبرة التي عززها الباحث ميرون بنفيستي لدى خدمته سنوات طويلة في جهاز الاحتلال الإسرائيلي في الضفة الغربية، وعمله نائباً لرئيس بلدية القدس المحتلة تيدي كوليك، قام بأول جرد علمي يسجل مظاهر الحياة فيها من سكان واقتصاد وتعليم، ثم ألف كتاباً بعنوان "المشهد المقدس: طمس تاريخ الأرض المقدسة منذ 1948"، يشكل وثيقة مهمة على مسؤولية الصهيونية وإسرائيل" عن معاناة الفلسطينيين وقيامتهم بعملية تطهير عرقي وتدمير مبرمج للمشهد الفلسطيني، عبر العمليات العسكرية عام 1948، وانتهاكم المتمعد لقدسية الواقع الإسلامية وال المسيحية في البلاد، مبيناً أنه تم تدمير "المكان المقدس" الفلسطيني ليقام على حطامه مكان إسرائيلي. لكن في الوقت ذاته يلجم بنفيستي كثيرون من الباحثين الصهاينة إلى تحمل الفلسطينيين مسؤولية ما حل بهم(42).

**-نoga Kadman (نoga Kadman) : تهويذ المكان الفلسطيني-**

قامت الباحثة الإسرائيلية نoga Kadman (المولودة في فلسطين لأبوين ينحدران من أوروبا الشرقية)(43)، بجمع معلومات عما ارتكبته الصهيونية وإسرائيل" بحق الفلسطينيين من جرائم قتل وتهجير قسري، وخلال عملها البحثي زارت عشرات القرى الفلسطينية المهجرة منذ عام 1948، والتقطت مجموعة كبيرة من الصور، تعكس بعض جوانب تلك الجرائم والتعذيبات على المكان في فلسطين. وتُبيّن Kadman أن عملية إقصاء القرى المهجرة من هوامش الخطاب الإسرائيلي العام ترمي إلى نفي العلاقة القائمة حتى اليوم بين الفلسطينيين وقراهم الأصلية وإسكات كل محاولة لبحث قضية اللاجئين وعودتهم(44).

**-نوعا ليفي (Noa Levy) : "التابو والإنكار-**

تشير الباحثة في شؤون حقوق الإنسان وعضو اللجنة العليا لمناهضة التعذيب، حاملة الماجستير من قسم العلوم السياسية بجامعة بن غوريون في النقب، نوعا ليفي، في شرحها "معنى الحديث عن النكبة بالعبرية"، إلى أن النكبة في المجتمع الإسرائيلي تُعد "تابو" (يُمنع ذكرها والحديث عنها)، وقد أنكرتها الحركة الصهيونية منذ وقوعها عام 1948، وذلك لكونها التهمة الكبرى ضد هذه الحركة، حيث تلفي الرواية الصهيونية أحاديث التهجير والترحيل، وبهذا تمنع الحداد عليهم، لأن النكبة للصهيونية موازية لإقامة "دولة إسرائيل"، وبالتالي يجب أن يكون قيامها هو يوم فرح(45).

**-إيلي أمينوف (Eli Aminov) : دعاية كاذبة**

في شهادة حول الممارسة الصهيونية عام 1948، يؤكّد الباحث في "مركز المعلومات البديلة" والناشط السياسي من قادة "حركة ماتسيبن" (اليسارية)، إيلي أمينوف، أن غالبية المدن العربية احتلت وطُهُرت قبل الخامس عشر من أيار 1948، وهو اليوم الذي اندلعت فيه رسمياً "حرب الاستقلال" (احتلال فلسطين - الكاتب)، عقب اجتياح الجيوش العربية لفلسطين، وكان طرد معظم السكان العرب الحضريين من مدن حيفا وطبرية وصفد والأحياء العربية في جنوب القدس وغيرها، قد تم في شهر نيسان على مرأى من سلطة الانتداب البريطاني. وبعية حدّ السكان العرب الباقيين في بيوتهم في القدس على الهروب عملت الوكالة اليهودية

على بث شائعات تقول: إن ممتلكات العرب الذين غادروا بيوتهم بسبب الحرب ستعاد إليهم فور انتهاء القتال(يديعوت أحرونوت 4/5/1948)، وبطبيعة الحال فقد كانت هذه دعاية كاذبة. وعقب انتهاء المارك، تبقى في جميع المدن العربية أقل من 5% من السكان، كما أن هؤلاء كانوا في جزء منهم نازحين من قرى المنطقة. ويلاحظ أمينوف أن المدينتين الوحدين اللتين بقي فيها آنذاك سكاناً عرباً بحجم ملموس كانتا الناصرة والمجدل، في الناصرة تخوف الصهيونيون من تنفيذ تطهير عرقي بسبب أهمية المدينة للعالم المسيحي، لذلك دفعوا إليها بأعداد كبيرة من النازحين الفارين من قرى المنطقة. أما المجدل فقد تسلم سكانها في 17 آب 1950 أوامر طرد، وطلب منهم بحضور جنود الجيش الإسرائيلي للتوقيع على وثائق يعلنون بموجبها أنهم يغادرون بيوتهم بإراداتهم الحرة، وبحلول شهر تشرين الأول من العام ذاته تم ترحيل جميع سكان المجدل إلى قطاع غزة، لتقام على أنقاض بيوتهم مدينة أشكalon (عسقلان). ويخلص أمينوف إلى أنه ينبغي أن يكون واضحاً للجميع أنه لا يوجد في المشروع الصهيوني أي مكان في فلسطين التاريخية للشعب الفلسطيني، ولا حتى لجزء منه، وهذا هي عناصر الحلم الصهيوني في إزالة الشعب الفلسطيني وإخفائه عن وجه الأرض تتجسد أمام أعيننا(46).

#### مداولات صحفية :

بين عدد لا يحصى من النقاشات الإسرائيلية بشأن مسؤولية "إسرائيل" عن النكبة الفلسطينية، وفي صرخة غضب على السياسة الإسرائيلية، يرى جدعون ليفي الصحفي الإسرائيلي المحسوب على اليسار الإسرائيلي(47)، في مقال له بعنوان "درس وطنيات في يوم النكبة"(هارتס 15/5/2011)، أنه لو كانت "إسرائيل" أكثر ثقة بعدها، ولو كانت "إسرائيل" ذات نظام أكثر افتاحاً، لأحياءوا في كل المدارس في "إسرائيل"، اليهودية والعربية، ذكرى يوم النكبة. ويمكن أن نقول لطلاب إسرائيل إنه قد جرى في حرب 1948، كما في كل حرب، غير قليل من المظالم وجرائم الحرب. ويمكن التحدث عن أعمال الطرد والمذابح - أجل وقعت مذابح وأسألوا شيخوخ 1948.

وتحدثت افتتاحية صحيفة "هارتس"(19/5/2013) تحت عنوان "كفى لتزوير التاريخ"، عن أنه منذ عشرات السنين وحكومة "إسرائيل" تدير صراعاً عنيفاً على صياغة الوعي التاريخي، وفي بؤرة المعركة على الوعي الوطني تُوجَد النكبة ممثلة

باقتلاع مئاتآلاف الفلسطينيين في حرب الاستقلال(اغتصاب فلسطين - الكاتب)، ورفض السماح بعودتهم، و"إسرائيل" غير مستعدة لأخذ المسؤولية عن هذه الأحداث، بل إنها توظف جهوداً هائلة، تعليمية أساساً، كي تتفى وتطمس قصصاً أو شهادات كافية بتأييد وجود النكبة. وبالمقابل تبيّنت تفاصيل عديدة تدل على أنه توجد للطرف الإسرائيلي مسؤولية كبيرة في نشوء مشكلة اللاجئين، وبالتالي إن النكبة الفلسطينية بحاجة إلى اعتراف إسرائيلي من دونه لا سبيل إلى فهم أصل النزاع مع العرب والوصول إلى مصالحة تاريخية.

#### **مقاربة لاعتبارات الاعترافات الإسرائيلية :**

ثمة صعوبة كبيرة تواجه أي محاولة بحثية لتحري الدوافع والغايات الحقيقية الكامنة وراء إقدام صهاينة على اتخاذ مواقف انتقادية، وفي كثير من الأحيان مناهضة للسياسة وللرواية الرسمية الإسرائيلية حول ما جرى عام 1948.. ولعل أبعد ما يمكن الذهاب إليه هو "مقارنة الحالة" على نحو يساعد في فهمها، بدلاً من إصدار أحکام قيمة قاطعة، ذاتية أو موضوعية، بشأنها. ودون أي مجازفة، تستوقف المتابع والمحلل في هذا الصدد جملة من الأطروحات، منها:

- من السذاجة الانسياق وراء دعاوى مشاعر "تأنيب الضمير" و"التكفير عن الذنب" و"طلب الصفح" في الاعترافات الإسرائيلية المتعلقة بالمسؤولية عن النكبة الفلسطينية.. فهذا الأمر بحاجة إلى دراسات معمقة في تناولها، وخاصة في ضوء اللامبالاة وبلادة الأحساس الصهيونية إزاء المعاناة الفلسطينية.

- لنلاحظ أن الكيان الصهيوني بات يمتلك من القدرات الذاتية والتحالفية ما يجعله يواجه الانتقادات الداخلية والخارجية لتوجهاته وممارساته، بوجوده ضمن بيئه استراتيجية عربية ضعيفة ومفككة، غير قادرة على استثمار تلك الانتقادات، واحتلال ميزان القوى الاستراتيجي لصالح الصهيونية و"إسرائيل".

- من المهم الإشارة إلى أن "إسرائيل" تحاول توظيف تيار "المؤرخين الجدد" في خدمة تسويق صورة جديدة لها في المنطقة، خاصة في هذه الظروف التي يجري فيها البحث عن السلام والتطبيع مع الدول العربية، عبر إظهارها بصورة الدولة التي تعرف بأخطاء ارتكبها، لكن الواقع الجديد لا يسمح

لها بتصحيح هذه الأخطاء، بشكل متراافق مع دعوة إلى نسيان الماضي، وفتح صفحة جديدة. وبهذا: فإنهم يحلمون باستجابات عربية، ويسعون إلى اجتثاث الحقائق الراسخة في الذاكرة العربية.

- من المتفق عليه بين الإسرائيлиين أنه لا يمكن إعادة عجلة التاريخ إلى الوراء، ومن ثم إن الاعترافات الشخصية والأعمال البختية حول أسباب نشوء مشكلة اللاجئين ليست في مركز الاهتمام، المحلي والإقليمي والدولي، بفعل الانشغالات بمشكلات جديدة.

- يلمس المتابعون للحرك الداخلي في الكيان الصهيوني وجود جمود يميّز سافر، ومجاهرة بلا أي رادع لضرورة انتهاء سياسة متشددة ضد الفلسطينيين والعرب عموماً، بذرائع مختلفة (وجودية، أمنية، براغماتية..)، وبالتالي فإن المجاهرة، بلا تحفظ، بما لحق بالفلسطينيين عام 1948 لا يتعارض مع الجو العام السائد في البلاد، لأنه لو لا ذلك لما نشأت الدولة اليهودية.

#### خاتمة..

توضح المعطيات والتقديرات الواردة في هذه الدراسة أنه على الرغم من المحاولات الصهيونية المستمرة لطمسم الحقائق ولتسويق الافتراءات حول نكبة فلسطين وتهجير الفلسطينيين، فقد نشرت معلومات وشهادات تكشف بعض جوانب ما جرى، ومنها أعمال بحثية متعددة المصادر، ومعلومات قدمها بعض المشاركين في العمليات الصهيونية، ومساهمات للمؤرخين الإسرائيлиين الجدد، وسواهم. وفي مواجهة ذلك قوبلت الدعوات لاعتراف الصهيونية وإسرائيل" بالنكبة الفلسطينية، بردود عنيفة، ضمن سجال داخلي يفصح عن تعددية الآراء في إطار وحدة الهدف الصهيوني.

على الجانب الآخر من المتراس، من المهم الإشارة إلى أن الاعترافات الصهيونية تضيف إلى ملف نكبة فلسطين مادة توثيقية لا يستهان بأهميتها، يمكن تسخيرها في تعزيز الرواية الحقيقة عن النكبة واغتصاب فلسطين، ضمن مسيرة تجنيد كل طاقات الأمة، لتصحيح الخطأ التاريخي الذي حدث.

**مصادر البحث والإحالات المرجعية :**

- (1) إبراهيم عبد الكريم: قصة تأسيس "إسرائيل" كما تروى للناشئة اليهود، مجلة شؤون عربية، ع 76 (القاهرة: جامعة الدول العربية) كانون الأول 1993 ، ص151.
- (2) ميخائيل بالومبو: *كيف طرد الفلسطينيون من ديارهم عام 1948* (بيروت: دار الحمراء) 1990 ، ص48.
- (3) بني موريس: طرد الفلسطينيين وولادة مشكلة اللاجئين (عمان: دار الجليل للدراسات والأبحاث الفلسطينية) 1993 ، ص 152 - 163 .
- (4) للتفصيل؛ مركز المعلومات الوطني الفلسطيني في وكالة الأنباء الفلسطينية (وفا)..  
الرابط:  
<http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=5037>
- (5) للتفاصيل حول "الخطة د" ، انظر مثلاً:  
- إبراهيم أبو لغد(إعداد وتحرير): *تهويد فلسطين* ، مجموعة من الباحثين ، سلسلة كتب فلسطينية 21(بيروت: مركز الأبحاث م ت ف) 1972 ، ص 212.  
- نور الدين مصالحة: طرد الفلسطينيين - مفهوم التransfer في الفكر والتخطيط الصهيوني 1882- 1948 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية) 1992 ، ص 166.
- (6).. حرب فلسطين 1947 - 1948 / الرواية الرسمية الإسرائيلية ، ترجمة أحمد خليفة (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية) 1984 ، ص 347.
- (7) للتوسيع، انظر فصل "نشوء إسرائيل 1947 - 1949" ، من كتاب آفي شلaim (والاقتباس هو من ص29):  
Avi Shlaim, The IRON WALL, Israel and Arab World (London, New York ; W.W.Norton & Company ltd. 2000),P.29.
- (8) ميخائيل بالومبو: *كيف طرد الفلسطينيون .. م س ذ ، ص48*.
- (9) جدعون سوليماني وراز كالتر: علم الآثار الإسرائيلي والقرى الفلسطينية المهجرة، ترجمة سعيد عياش عن العبرية، مجلة "قضايا إسرائيلية" ، العدد 57(مركز مدار- فلسطين)، 6/5/2015، ص59.. الرابط:  
[http://madarcenter.org/files/528/\\_57/752/\\_\\_.pdf](http://madarcenter.org/files/528/_57/752/__.pdf)
- (10) عبد الجواد صالح ووليد مصطفى: التدمير الجماعي للقرى الفلسطينية والاستعمار الاستيطاني الصهيوني خلال مئة عام / 1882 - 1982م (لندن: مركز القدس للدراسات الإنمائية) 1987 ، ص 31.
- (11) للتوسيع انظر فصل "نشوء إسرائيل 1947 - 1949" ، من كتاب آفي شلaim (The IRON WALL) .. م س ذ (والاقتباس هو من ص30).

- (12) مؤرخون يهود يسقطون الرواية الإسرائيلية للنكبة، وكالة قدس نت للأنباء، 2015/5/30.. الرابط:  
<http://www.qudsnet.com/news/View/308800/#.VWo8QtJVjog>
- (13) عباس نمر، عرض كتاب شريف كناعنة "الشتات الفلسطيني .. هجرة أم تهجير" صحيفة "القدس" المقدسية 1997/2/27، ص15.
- (14) تقرير صحيفة "السفير" اللبنانية 1995/2/9، ص3 (عن: ف ب).
- (15) النكبة مأساة من صنع ذاتي، موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية 2008/5/11.. الرابط:  
<http://mfa.gov.il/MFAAR/Opinions/OpinionsOfIsraeliWritersAndOthers/Pages/Al-Naqba%20-%20A%20self-inflicted%20tragedy%2011052008.aspx>
- (16) تقرير الإعلام الإسرائيلي يعكس مقولات رسمية تكرر النكبة، مركز إعلام الناصرة/فلسطين المحتلة .. الرابط:  
[http://www.ilam-center.org/news.aspx?id=504.](http://www.ilam-center.org/news.aspx?id=504)
- (17) تيودور هرتسل، مدينة هيهوديم = دولة اليهود (تل أبيب: قسم الشباب في المستدرول الصهيوني) 1946م (بالعبرية).
- (18) أنيس صايغ (إعداد): يوميات هرتزل، سلسلة كتب فلسطينية - 10 (بيروت مركز الأبحاث مت ف)، 1968 ، ص 76 - 81.
- (19) فايز صايغ: فلسطين وإسرائيل والسلام، أبحاث فلسطينية 17 (بيروت مركز الأبحاث مت ف) 1970 ، ص 27.
- (20) دافيد بن غوريون، مختفي آل بولا وأل هيلديم= رسائل إلى بولا والأولاد (تل أبيب: عام عوفيد = الشعب العامل) 1968 ، ص 212 - 214 (بالعبرية).
- (21) انظر مثلاً:- الوثائق التي جمعها البروفيسور وليد الخالدي، في:-
- Walid Khalidi.(Editor).From Haven to Conquest: Readings in Zionism and the Palestine Problem Until 1948 (BEIRUT; The Institute for Palestine Studies)1971
  - أنيس صايغ (إشراف): الفكرة الصهيونية – النصوص الأساسية، مركز الأبحاث الفلسطيني، ترجمة : لطفي العابد وموسى عنز، سلسلة كتب فلسطينية 21 (بيروت: مركز الأبحاث مت ف) 1970 .
  - إسرائيل شاحاك: من الأرشيف الصهيوني – وثائق ونصوص، سلسلة كتب فلسطينية 66 (بيروت: مركز الأبحاث مت ف) 1975 .
  - ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية .. جذورها في التاريخ الغربي، ترجمة أحمد

- عبدالله عبد العزيز، سلسلة عالم المعرفة 96(الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب) 1985.
- (22) لتفاصيل أرسكين تشيلدرز: الرغبة الخرساء، من مواطنين إلى لاجئين، بحث في: إبراهيم أبو لغد(إعداد وتحرير)، تهويد فلسطين، مجموعة من الباحثين، سلسلة كتب فلسطينية 21(بيروت: مركز الأبحاث مت) 1972، ص 183-222(الاقتباس هو من ص 205).
- (23) دحض الرواية التوراتية والتاريخ الإسرائيلي، ملحق فلسطين، السفير، تشرين الثاني 2013.. الرابط: <http://palestine.assafir.com/Article.aspx?ChannelID=120&ArticleID=2696>
- (24) مؤرخون يهود يسقطون الرواية الإسرائيلية للنكبة، وكالة قدس نت للأنباء، 2015/5/30.. الرابط: <http://www.qudsnet.com/news/View/308800/#.VWo8QtJVjog>
- (25) عباس نمر: عرض كتاب شريف كناعنة "الشتات الفلسطيني .. هجرة أم تهجير"، صحيفة القدس المقدسية 1997/3/4، ص 15 عن : Biny Moris,Middle Eastern Studies,January,1986.
- (26) إبراهيم عبد الكريم: تهويد الأرض وأسماء المعالم الفلسطينية(دمشق: اتحاد الكتاب العربي) 2001 - ص 38.
- (27) النص الأصلي؛ The Birth of the Palestinian Refugee Problem 1947-1949 (Cambridge University Press, Cambridge, 1988) وصدرت ترجمة لهذا الكتاب بالعربية عن دار الجليل للدراسات والأبحاث الفلسطينية(عمان 1993).
- (28) ترجمت الطبعة المقحة للكتاب، وصدرت في قسمين عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت(سلسلة عالم المعرفة 406، 407 - 2013)
- (29) بني موريس: العرب برابرة القرن الحادي والعشرين، وعدم طردتهم كان خطأ، وطردهم في المستقبل ضرورة، "هارتز"، ملحق الجمعة في 9/1/2004، أجرى المقابلة: أري شافيت.
- (30) من أبرز كتب بني موريس التي تناول فيها التهجير وقضية اللاجئين والجوانب المختلفة للصراع العربي - الإسرائيلي بمنهجة "المؤرخين الجدد" :  
- 1948 and After: Israel and the Palestinians (Oxford University Press, Oxford, 1990).  
- Israel's Border Wars 1949-1956 (Oxford University Press, Oxford, 1993)  
- Righteous Victims: A History of the Arab-Zionist Conflict, 1882-1999 (Knopf, New York, 1999) .  
- The Birth of the Palestinian Refugee Problem Revisited (Cambridge University Press, Cambridge, 2004).  
- 1948, A History of the First Arab-Israeli War (Yale University Press, New Haven, 2008).

- One State, Two States: Resolving the Israel/ Palestine Conflict, (Yale University Press, 2010)  
(31) معلومات عن بابيه في:  
<https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A5%D9%8A%D9%84%D8%A7%D9%86%D8%A8%D8%A7%D8%A8%D9%8A>  
(32)
- The Making of the Arab-Israeli Conflict, 1948-1951 (New York: I.B. Tauris, 1992).  
(33)
- A History of Modern Palestine- One Land, Two Peoples, Cambridge University Press, 2004.  
(34) صدرت في العام ذاته 2007 ترجمة للكتاب عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية في  
بيروت:  
The Ethnic Cleansing of Palestine (Oxford: OneWorld Publications, 2007).  
(35)
- Ilan Pappe, Ethnic Cleansing by other means, Middle east eye, Jun 1,2014..  
[http://www.dialoguerreview.com/en/affiche\\_page.php?page=article\\_35\\_p\\_25.html&titre=Ethnic%20Cleansing%20by%20Other%20Means%20By%20Ilan%20Pappe](http://www.dialoguerreview.com/en/affiche_page.php?page=article_35_p_25.html&titre=Ethnic%20Cleansing%20by%20Other%20Means%20By%20Ilan%20Pappe)
- <http://www.palestinechronicle.com/ethnic-cleansing-by-other-means>, (This article was originally published in Middle East Eye – www.middleeasteye.net)  
(36) للمعلومات عن سيف، انظر مثلاً :  
[https://en.wikipedia.org/wiki/Tom\\_Segev](https://en.wikipedia.org/wiki/Tom_Segev)
- (37) للتفاصيل انظر: توم سيف، 1949 - الإسرائييليون الأوائل، (Israelis 1949: The First Israelis) ترجمة خالد عايد، رضا سلمان، رندة حيدر شراره، كمال إبراهيم(بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية 1986).
- (38) للمعلومات عن شلaim، انظر مثلاً :  
[https://en.wikipedia.org/wiki/Avi\\_Shlaim](https://en.wikipedia.org/wiki/Avi_Shlaim)
- (39) مؤرخون يهود يسقطون الرواية الإسرائيلية للنكبة، وكالة قدس نت للأنباء، 2015/5/30 ..الرابط:  
<http://www.qudsnet.com/news/View/308800/#.VWo8QtJVjog>  
(40) لاطلاع، انظر مثلاً :  
<http://www.schechter.edu/StaffMember.aspx?ID=38&SM=1a&Dept=SIJS>
- (41) "لکدیش ارتسن = تقدس أرض: الأماكن المقدسة اليهودية في دولة إسرائيل ، (إصدار: معهدًا بن تسمى وبن غوريون لدراسة "إسرائيل" والصهيونية بجامعة بن غوريون في النقب، 2007)، 274 صفحة (بالعبرية). وصدرت طبعة للكتاب ذاته بالإنكليزية :  
D. Bar, Sanctifying a Land: The Jewish Holy Places in the State of Israel: 1948-1968, Jerusalem: Ben-Gurion Institute in the Negev and Yad Ben Zvi, 2007

## **سقوط الإنكار الصهيوني للمسؤولية عن النكبة الفلسطينية**

---

- (42) لمزيد من المعلومات، انظر: ميرون بنفينيتي، المشهد المقدس - طمس تاريخ الأرض المقدسة منذ 1948 ، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية / مدار(رام الله- فلسطين، 2001)، 434 ص.. أو : Meron Benvenisti Sacred Landscape: The Buried History of the Holy Land Since 1948(Translated from Hebrew- Berkley: University of California Press, 2000). 365pp
- (43) للمعلومات عن كادمان، كما تعرف نفسها، انظر : <http://www.palestineremembered.com/Articles/General/Story10999.html>
- (44) د. نوغا كادمان، بتسادي هدیرخ وبشولي هتدعاه: على جوانب الطريق وهوامش الوعي، إصدار "سفرى نوفمبر" ، القدس 2008 (بالعبرية).
- (45) نوعاً ليفي: "معنى الحديث عن النكبة بالعبرية" ، صحيفة الاتحاد - حيفا 2012/5/19 .. موقع الجبهة.. الرابط: <http://www.aljabha.org/index.asp?i=68063>
- (46) إيلي أمينوف: النكبة ليست تدمير قرى فقط، المشهد الإسرائيلي 2012/8/28 (المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية / مدار - فلسطين) السنة 10 العدد 288 ، ص 7.)
- (47) معلومات عن الكاتب في: <https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AC%D8%AF%D8%B9%D9%88%D9%86%D9%84%D9%8A%D9%81%D9%8A>

## نكبة السياسات... وسياسة النكبات

عَقْد

"الإخفاقات والصفقات"

رافع الساعدي\*

### المقدمة

هناك منعطفات تاريخية مهمة تتحكم بمصير ومستقبل الأمة العربية وقضاياها المفصلية العديدة، تضرب جذورها عميقاً في التاريخ، وهي واضحة كأشعة الشمس... مضيئّة كخيوط الفجر...ونستطيع القول: إن قضية فلسطين هي القضية القومية الأبرز التي تربط بالعرب والعروبة ارتباطاً عضوياً لا انفصام له..هي القضية التي أثرت وتأثّرت بكل ما أصاب وبصّب الأمة ماضياً وحاضراً ومستقبلاً..

ذلك "أن البحر الأبيض المتوسط هو الشريان الحيوي للاستعمار؛ لأنّه الجسر الذي يصل الشرق بالغرب، والممر الطبيعي إلى القارتين الآسيوية والأفريقية، وملتقى طرق العالم، وأيضاً هو مهد الأديان والحضارات"(1)

ولتحقيق ذلك عملت القوى الاستعمارية "بحسب مؤتمر كامبل بنرمان"(2) على إبقاء شعوب هذه المنطقة مفككة جاهلة متاخرة، وعلى هذا الأساس قاموا بتقسيم دول العالم وفق الفكر الاستعماري إلى ثلاث فئات... ومن هنا تعود التسميات المستعملة، ونقصد بها العالم الأول والعالم الثاني والعالم الثالث:

\* كاتب وباحث في الشؤون الفلسطينية والقومية.  
عضو الأمانة العامة للاتحاد العام للكتاب والصحافيين الفلسطينيين.  
عضو هيئة تحرير مجلة الكاتب الفلسطيني.

**الفئة الأولى:** دول الحضارة الغربية المسيحية، وتقع ضمنها دول أوروبا وأمريكا الشمالية وأستراليا، والواجب تجاه هذه الدول دعمها مادياً وتقنياً لتصل إلى مستوى تلك الدول.

**الفئة الثانية:** دول لا تقع ضمن الحضارة الغربية المسيحية ولكن لا يوجد تصدام حضاري معها ولا تشكل تهديداً عليها (كدول أمريكا الجنوبية واليابان وكوريا وغيرها) والواجب تجاه هذه الدول هو احتواها وإمكانية دعمها بالقدر الذي لا يشكل تهديداً عليها وعلى تفوقها.

**الفئة الثالثة:** دول لا تقع ضمن الحضارة الغربية المسيحية، ويوجد تصدام حضاري معها، وتشكل تهديداً لتفوقها (وهي بالتحديد الدول العربية بشكل خاص والإسلامية بشكل عام)، والواجب تجاه تلك الدول هو حرمانها من الدعم ومن اكتساب العلوم والمعارف التقنية وعدم دعمها في هذا المجال ومحاربة أي اتجاه من هذه الدول لامتلاك العلوم التقنية.

وكان الوطن العربي هو المستهدف وفي القلب فلسطين، ذلك أن موقع فلسطين ومساحتها على صغرها (27070 كم<sup>2</sup>) ومكانتها الدينية التي تتجسد في القدس وبيت لحم والناصرة(حالة جغرافية وسكانية وسياسية استثنائية فريدة، لهذا نجد جميع المخططات الاستعمارية المعادية، تعمل على ضرورة السيطرة على فلسطين من أجل فصل مشرق الوطن العربي عن مغربه.من هنا نجد القوى الشعبية والقيادات الجماهيرية والزعamas الفلسطينيه وعت باكراً ما يخطط للأمة، فجاءت مواقفها صريحة، وخطواتها ثابتة على المفاهيم الوطنية والقومية، ففي المؤتمر السوري الأول (8 / 3 / 1920 م) والمؤتمرات الفلسطينية السبعة فيما بعد، تمت المطالبة باستقلال سوريا بحدودها الطبيعية استقلالاً ناجزاً وضمناً فلسطين ولبنان وشرق الأردن " فيما كانت جميع البيانات العسكرية والسياسية للثورة الفلسطينية الكبرى الكبرى (1936 - 1939 م)، تصدر باسم القيادة العامة للثورة في سوريا الجنوبية، فيما أكد الميثاق القومي والميثاق الوطني الفلسطيني، على أن: (فلسطين وطن الشعب العربي الفلسطيني وهي جزء لا يتجزأ من الوطن العربي الكبير والشعب الفلسطيني جزء من الأمة العربية)... (3).

وتلك هي أهم استراتيجيات الثورة الفلسطينية المعاصرة، وأبرز ثوابتها السياسية على الصعد الوطنية والقومية التي تجري جميع الحروب العدوانية للنيل منها.

### استهلال:

تحتلط الحقائق التاريخية الراسخة بالخرافات والأساطير، وتتدخل المطامع والواقع والخطط مع المخططات، والبرامج الوطنية والقومية تصطدم بالأهداف الإمبريالية والاستعمارية.....

من هنا نفهم عمق البصيرة التي تجلت قبل (1422) عاماً هجرياً بمنع إقامة اليهود في مدينة القدس والذي يعود إلى العهدة العمرية المؤرخة العام (15) هجري، الموافق 636 ميلادي،

عندما تسلم الخليفة عمر بن الخطاب (ر) مفاتيح مدينة إيليا (القدس) من المطران صفرونيوس، حيث أعطى أمير المؤمنين الأمان والأمان لسكان إيلياه كنائسهم وصلبانهم وأموالهم على أن لا يسكنهم أحد من يهود. عبر التاريخ كان الوجود اليهودي في فلسطين محدوداً بل كانوا جزءاً من النسيج الاجتماعي.. إلى أن جاء نداء نابليون، وبدء تكون التنظيمات الصهيونية التي أخذت تتسبق في استجلاب اليهود وإقامة أول "مغتصبة" في فلسطين العام 1882 م.

جاء نداء نابليون بونابرت لليهود بعد فشل حصاره لـ (عكا) الذي استمر من 21 آذار / مارس - 20 / أيار / مايو 1799 م)، ومن أمام أسوار عكا التي على صخرة صمود جدران قلعتها تحطم أطماء الاستعمار في الشرق العربي كأخطر تجليات المطامع الاستعمارية الغربية في المشرق العربي بعد حرب الفرنجة

ومما جاء في نداء نابليون بونابرت إلى اليهود الشرقيين:

من بونابرت القائد الأول في جيوش الجمهورية الفرنسية في أفريقيا وآسيا، إلى الورثة الشرعيين للأرض "إسرائيل".

الإسرائيлиون هم الأمة الفريدة التي لم تستطع آلاف السنين وشهوة الفتح والطغيان أن تجردهم سوى من أرضهم، ولكن ليس من اسمهم وكيانهم القومي. والذين فداحم الرب يرجعون ويأتون آل صهيون بتربئيم، ويكون على رؤوسهم فرح أبيدي.

ألا ثوروا على العار، يا أيها المشردون، وأعلنوها حرباً لم يحدث مثلها في تاريخ البشرية، حرباً تقوم بها أمة عُدّت أرضها - بحرة قلم من الحكماء ..... إن فرنسا تنتقم لعارها ولعار أبعد الأمم التي تركت منسية وقتاً طويلاً تحت أغلال العبودية، وتنتقم للعار الذي أحق بكم خلال ألفي سنة.

لقد جعل الجيش الصغير - الذي بعثتني العناية الإلهية به إلى هنا . من القدس مقرًّا لقيادة الرئيسة" .. إن هذا الجيش الذي يُقاد بالعدل، ويصحبه النصر سوف ينتقل - بعد أيام قليلة - إلى دمشق، المدينة المجاورة التي تهدد مدينة داود.....(4).

.... ألا هبوا ، فها قد سنت الفرصة التي قد لا تتكرر ثانية خلال ألفي سنة ، من أجل المطالبة باسترداد حقوقكم المدنية بين سكان العمورة التي حُرمتم منها بشكل مخز طوال ألفي سنة ، ومن أجل المطالبة باستعادة كيانكم السياسي كأمة بين الأمم ، وبحقكم الطبيعي في عبادة يهوه بحسب إيمانكم علينا ، ومن غير شكـا إلى الأبد.....

ثم جاءت نتائج ومقررات المؤتمر الصهيوني الأول (مدينة بازل في سويسرا آب/أغسطس 1897م) برئاسة تيودور هرتزل لتشكل نقلة عملية خطيرة على طريق توحيد جهود المنظمات الصهيونية من استعمار فلسطين ، قال هرتزل : (إنه سيوضع حجر الأساس للبيت الذي سيسكنه الشعب اليهودي في المستقبل). معنـاً أن الصهيونية هي العودة إلى اليهودية قبل العودة إلى بلاد اليهود....)

#### **مؤتمر (كامبل بنرمان) :**

توصـل مندوبي الدول الاستعمارية في الاجتماعات التي تواصلت من 1905 - 1907 م) إلى نتيجة حول المشرق العربي والبحر الأبيض المتوسط مفادها : "....الإشكالية في هذا الشريان هو أنه كما ذكر في الوثيقة : " ويعيش على شواطئه الجنوبية والشرقية بوجه خاص شعب واحد تتوفر له وحدة التاريخ والدين واللسان".

وأبرز ما جاء في توصيات المؤتمرين في هذا المؤتمر: محاربة أي توجه وحدوي فيها ..

ولتحقيق ذلك دعا المؤتمر إلى إقامة دولة في فلسطين تكون حاجزاً برياً قوياً وغرياً ومعادياً يفصل الجزء الأفريقي من هذه المنطقة عن القسم الآسيوي الذي يحول دون تحقيق وحدة هذه الشعوب ألا وهي دولة "إسرائيل" ، وعدّ قناة السويس قوة صديقة للتدخل الأجنبي وأداة معادية لسكان المنطقة. كما دعا إلى فصل عـرب آسيا عن عـرب أفريقيا ليس فقط فـصلاً مادياً عبر الدولة الإسرائيـلية ، وإنما اقتصاديـاً وسياسيـاً وثقافيـاً ، مما يـعني العرب في حالة من الضعف.

### وعد بلفور المشؤوم :

تقرب الذكرى المؤية الأولى للجريمة الكبرى بحق شعب فلسطين التي تمثلت بوعد من لا يملك لمن لا يستحق، والذي عرف بوعد بلفور المشؤوم. وهو يُعدُّ مخالفًا لأبسط الأعراف والمبادئ والقيم الإنسانية والقوانين الدولية، ولم يقرأ هذا الوعد قراءة معقمة.. ولم يُفند كما يجب نصاً وأسلوباً، وكذلك لم يكشف الدور الخطير لآل سعود في وعد بلفور وفي إقامة الكيان الصهيوني.

صدرت الصيغة النهائية لجريمة العصر المسمة وعد بلفور المشؤوم في 2 / 11 / 1917 م، بشكل رسالة من وزير خارجية الإمبراطورية البريطانية العظمى "آرثر جيمس بلفور" إلى اللورد روتشفيلد... الذي لا يمتلك أي صفة رسمية وجاء فيه الآتي:

عزيزي اللورد روتشفيلد :

يسعدني أن أنهى إليكم نيابة عن حكومة جلالة الملك التصريح التالي تعاطفًا مع أمانى اليهود الصهيونيين التي قدموها ووافقت عليها مجلس الوزراء :  
(إن حكومة جلالة الملك تتظر بعين العطف إلى إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وسوف تبذل ما في وسعها لتسهيل تحقيق هذا الهدف، ول يكن مفهومًا بجلاء أنه لن يتم شيء من شأنه الإخلال بالحقوق المدنية للجماعات غير اليهودية المقيمة في فلسطين أو بالحقوق والأوضاع القانونية التي يتمتع بها اليهود بأية دولة أخرى).

إني أكون ممتنًا لكم بالعرفان لو قمتم بإبلاغ هذا التصريح إلى الاتحاد اليهودي.

/ المخلص أرثر بلفور.

**وعد آل سعود : الوعد الداعم والمساند لوعد بلفور والمهد لقيام الكيان الصهيوني ، إذ نشرت مجلة الجرس الصادرة عن تجمع علماء الحجاز بتاريخ 21/7/1991م وثيقة ممهورة بخاتم السلطان عبد العزيز جاء فيها :**

أنا السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود أقر وأعترف ألف مرة لـ **للسير برسى كوكس** مندوب بريطانيا العظمى ، لا مانع عندي من إعطاء فلسطين للمساكين اليهود أو غيرهم كما تراه بريطانيا التي لا أخرج عن رأيها حتى تصبح الساعة.

**صك الانتداب:**

يؤكد صك الانتداب الذي أقره مجلس عصبة الأمم في 24/7/1922م والذي تسلّمت بموجبه بريطانيا وفي رعاية العصبة مهمتها في فلسطين (كدولة منتدبة) تقول مقدمة الصك:

ولما كانت دول الحلفاء الكبرى قد وافقت أيضاً على أن تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن تنفيذ التصريح الذي أصدرته في الأصل حكومة صاحب الجلالية البريطانية في اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني عام 1917م، وأقرته الدول المذكورة لصالح إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يضر بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية الموجودة الآن في فلسطين أو بالحقوق والوضع السياسي مما يتمتع به اليهود في أي بلاد أخرى.

وتنص المادة الثانية من الصك على أنْ:

تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن وضع البلاد في أحوال سياسية وإدارية تضمن إنشاء الوطن القومي اليهودي وفقاً لما جاء في ديباجة هذا الصك، وعن ترقية مؤسسات الحكم الذاتي، وتكون مسؤولة عن صيانة الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بغض النظر عن الجنس والدين.

**مؤتمر بلتيمور 1942م**

وكان من الأسباب الرئيسية لعقد المؤتمر هناك في بلتيمور اللقاء المصالح الأمريكية مع المصالح الصهيونية، وتقديم الصهيونية خدمات واسعة لأمريكا لتحطيم ألمانيا النازية، ودعم الصهيونية لصالح أمريكا في «الشرق الأوسط».

وأصدر المؤتمر جملة قرارات لصالح المشروع الصهيوني كالتالي:

- 1- إنشاء دولة يهودية.
- 2- إلغاء الكتاب الأبيض عام 1939.
- 3- فتح فلسطين أمام الهجرة اليهودية.
- 4- منح الوكالة اليهودية حقوقاً إدارية وتنظيمية في فلسطين.
- 5- تشكيل قوة يهودية تحارب تحت علمها الخاص بجانب الحلفاء تأكيداً على أن الشعب اليهودي له قوميته ومن حقه الانضمام إلى منظمة الأمم المتحدة المزمع تكوينها بعد الحرب.

ميدانياً وعلى أرض الواقع شكل العقد الثاني من القرن العشرين، انطلاقاً من العام 1911م، الساحة الزمنية والميدانية لكثير من الأحداث السياسية التاريخية التي أسهمت في إعادة رسم خرائط العالم وفرض سياسات جديدة وكيانات جديدة ومفاهيم عالمية جديدة، وكانت الضحية وحدة الوطن العربي وحريته ومستقبل أجياله، وكانت الضحية الكبرى فلسطين الأرض والشعب وال المقدسات.

ومن ثم تسارعت الأحداث باحتلال ليبها على أيدي المطليان عام 1911م، فكانت الحرب الكونية الأولى (28 / 6 / 1914 م) وكانت اتفاقية سايكس بيكو (16 / 5 / 1916م)، وكان وعد بلفور المشؤوم (2 / 11 / 1917 م)... وانهيار الدولة العثمانية وبدء أشكال جديدة من الاستعمار والاحتلال تحت مسمى الانتدابات الاستعمارية والإرساليات الثقافية والكيانات المصطنعة.

#### الحركة الوطنية الفلسطينية قبل العام 1948 م

منذ اليقظة القومية في أواخر عهد الاستعمار التركي شارك شعب فلسطين جماهير الأمة العربية في النضالات ضد الحكم الأوتوقراطي في سبيل التحرر وبناء دولته القومية المستقلة، وقد تميزت هذه النضالات التي أسهم فيها المثقفون الوطنيون العرب بتبنيّ الشعور القومي والديني والنضال ضمن هذه الشعارات في إطار حركة الإصلاح والكافح من أجل الحرية والديمقراطية (اللامركزية)، وقد توجه هذا الكفاح وتکافث في وجه السلاطين العثمانيين وكان أن انهارت السلطنة العثمانية (الاتحاد والترقي)، وبعد أن بدأت بتطبيق سياسة التترنخ، مما زاد من حدة التصدّي للاستعمار التركي الذي ساهمت فيه الحركة الوطنية الفلسطينية بنصيب وافر، وظهر الميل أكثر إلحاحاً للانفصال عن الدولة العثمانية وإقامة الحكم الوطني على مستوى الوطن العربي كله.

في تلك المرحلة التاريخية قامت الحرب العالمية الإمبريالية الأولى بداعي السياسة الإمبريالية وواقع الاحتياج والتصارع من أجل المستعمرات ومناطق النفوذ، وخضعت فلسطين ومعظم أقطار الوطن العربي تحت سيطرة الدول الغربية الإمبريالية بموجب معاهدة سايكس - بيكو (1916) الإمبريالية؛ لاقتسام مستعمرات الدولة العثمانية، وبذلك بدأت مرحلة جديدة من نضال الشعب الفلسطيني وحركته الوطنية.

وهكذا كانت الانتدابات اسمًا مجملًا للاحتلالات، وبذلك بدأت الخطوات العملية لإقامة الوطن القومي لليهود على أرض فلسطين بدعم وإسناد إمبريالي استعماري جسده دولة الانتداب бритانية العظمى فيما كان قرار تقسيم فلسطين (1947/11/29) وإقامة كيان العصابات الصهيونية على أرض فلسطين (1948/5/15) من أخطر نتائج وانعكاسات الحرب العالمية الثانية. إن التاريخ النضالي للشعب الفلسطيني يشير بالدلائل إلى أن ثورته لم تقطع وأن تصديه للمستعمر كان حقيقة واقعة تدل عليها بوضوح ثوراته الوطنية ونضالاته المستمرة، وتشير بالدلائل أيضًا إلى أن الظروف الموضعية للمقاومة المسلحة كانت تتضح تدريجياً منذ أن بدأ الغزو الصهيوني الاستيطاني الذي بدأ يأخذ طابعاً منظماً وعملياً مع بداية الاستعمار البريطاني لفلسطين.

إن السجل الثوري في تلك الحقبة التاريخية يشير إلى أن الشعب الفلسطيني قد حمل السلاح منذ عشرينيات القرن العشرين، وقام بثورات لاهبة وبالغة العنف لدحر الاستعمار البريطاني وصد الغزو الصهيوني الاستيطاني، وأن نضالات شعب فلسطين لم تكُن تقطع، فمنذ حركة نيسان / إبريل وأيار / مايو 1920 م إلى الانتفاضة الفلسطينية الأولى 1924 م وثورة البراق 1920 م والهبة الفلسطينية (تشرين الأول / أكتوبر 1930) م وهبة الفلاحين العام 1933 م، وقد عبرت الثورات الفلسطينية المتتابعة عن التطلعات الوطنية القومية التحريرية العربية في مواجهة الاستعمار والاغتصاب والقهر القومي الذي تمارسه الصهيونية بحماية الاستعمار البريطاني.

لقد تميزت فترة الثلاثينيات بنهاية ثوري بالغ الأهمية والعنف، وتصاعد النضالات الشعبية والانتفاضات المسلحة نتيجة تزايد نشاطات الصهيونية والهجرة المنظمة التي كانت تتم في ظل الحرب البريطانية. وتزايدت أعمال الاستيلاء التدريجي على الأرض وإقامة المستعمرات الزراعية المسلحة عن طريق إرهاق الفلاحين بفرض الضرائب التعسفية. وفي تلك الحقبة جرى حل اللجنة التنفيذية التي اضطلعت بقيادة العمل الوطني، وجرى التألف في إطار (المؤتمر العربي العلني) كقيادة سياسية للثورة الفلسطينية، حيث تحددت مطالب الحركة الوطنية بالاستقلال وطرد الاستعمار البريطاني ووقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين والعمل على وقف انتقال الأرض للمؤسسة الصهيونية، ولقد تكشف النضال الجماهيري في تلك الفترة الحرجية من تاريخ النضال ضد الاستعمار البريطاني والهجرة اليهودية.

---

جاء استشهاد الشيخ المجاهد عز الدين القسام (19 / 11 / 1935م) في أحراش يعبد قرب جنين إذاناً بانطلاق الثورة الفلسطينية المسلحة، المنظمة. وفي العام 1936 م قام الشعب الفلسطيني بثورته الكبرى حين أعلنت الفئات الشعبية الوطنية الإضراب العام لمدة ستة أشهر ثم شرعت في ممارسة الثورة المسلحة، ولقد كان الفقراء والفلاحون عماد هذه الثورة الذين يشكلون الأغلبية الساحقة في التركيب الطبقي للشعب الفلسطيني والذين يقع عليهم أساساً ثقل الانتداب البريطاني وتواطئه مع الصهيونية والاستغلال والظلم الاجتماعي، وأرهق THEM الضرائب للتخلص من أرضهم أو طردهم منها، وقد شاركت كل الجماهير الشعبية والقوى الوطنية في هذه الثورة، وتصاعدت حتى شكلت أزمة حقيقة للمستعمر البريطاني الذي اتخذ أسلوب المهادنة والمخاولة مع قيادة هذه الثورة حتى فشلت وأجهضت كما فشلت سابقاتها من الانتفاضات الشعبية الشجاعة والثورات المسلحة بسبب تردد قيادات البرجوازية وعجزها عن قيادة هذه الثورات وتطويرها والسير بها نحو النصر.

كل ذلك كان يجري في ظل واقع غياب القيادة الثورية الفلسطينية التي تقود الكفاح، وتناضل من أجل مصالح الشعب والجماهير.

وبفشل الحركة الوطنية الفلسطينية في ثورتها المسلحة الكبرى (1936 - 1939) فشلت سياسة المهادنة والمساومة مع الاستعمار، وانتهت بالدليل القاطع طروحات الثقة بالحليف بريطانيا التي كانت توهم قيادة الحركة الوطنية بحيادها في الصراع مع الصهيونية. وشهدت تلك الفترة النضالية توجهاً نحو بدايات تنظيمات نقابية (نقابة العمال العرب - نقابة عمال المصفاة في حيفا). ولقد كان تصاعد الحركة الوطنية في فلسطين مرهوناً ومرتبطاً بتصاعد الحركة الثورية العالمية، وبعد الحرب العالمية الثانية حين خرجت الإمبريالية الأمريكية الأوروبية مثخنة منهكة ودحرت النازية والفاشية قامت في أوروبا الإمبريالية مجموعة دول الديمقراطيات الشعبية ووادعت بريطانيا الاستعمارية الإمبريالية العالمية، الأمر الذي مكن الاستعمار الأمريكي من وراثة الإمبريالية الأوروبية، ونشأت نظرية ملء الفراغ والاستعمار الجديد، وكان لابد لبريطانيا الدولة التي تستعمر فلسطين من التعاون والتسييق مع الإمبريالية الاستعمارية الأمريكية الجديدة لحل المشكلة الفلسطينية التي كانت في وضع متفجر. وقد استعملت الصهيونية مختلف أساليب

الخداع واستغلال مذابح اليهود على يد النازية والخداع البارع الذي مارسته على الرأي العام الدولي والتنسيق العام مع الإمبريالية الأمريكية من الضغط على هذه الدول والتعجيل بتحقيق طروحتها وأمانيتها، فشكلت بريطانيا وأمريكا لجنة (أنكلو - أمريكية) عام 1945 لإيجاد حل للمشكلة الفلسطينية التي انتهت أعمالها بالفشل. وحيث كان الوضع شديد التفجير في فلسطين من جراء القتال اليومي، وحيث إن الاندماج البريطاني لفلسطين قد شارفت مدة على الانتهاء، حيث يقتضي ذلك تسليم فلسطين لشعبها، فقد لجأت بريطانيا مؤامرة عرضقضية على الأمم المتحدة، وفي 29 تشرين الثاني / نوفمبر عام 1947 م وبقرار محضر سلفاً في كواليس الأمم المتحدة بين الدول الإمبريالية، وبضغط مكشوف وسافر من الولايات المتحدة الإمبريالية، أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة القرار (181) لتقسيم فلسطين إلى دولتين ووضع الأماكن المقدسة تحت الحماية الدولية وفق الآتي:

- تدويل مدينة القدس وضواحيها، وتقسيم الأرض الفلسطينية وفق النسب التالية:

- دولة يهودية على قسم من الأراضي الفلسطينية بنسبة 55٪.
- دولة عربية على الجزء الآخر من تلك الأراضي البالغة 45٪.

وفي شبه غياب عربي عن الرأي العام الدولي ساهمت الصهيونية إلى حد بعيد بتشويه صورة الإنسان العربي، وفي الواقع ضعف القوى التقدمية والديمقراطية الفلسطينية وتسلم قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية عناصر برجوازية رجعية يمينية، وتسلم زمام قيادة الأنظمة العربية في تلك الفترة حكام من غلاة الرجعية وممثلي البرجوازية جاء رفض الأنظمة العربية الرجعية لهذا القرار محاولةً إيهام الرأي العربي بأنها لم تكن ضلعة في عملية ضياع فلسطين حتى تحقق إلى جانب تنفيذ المخطط الصهيوني في فلسطين مسألة محافظتها على أوضاعها السياسية.

وقد هب الشعب الفلسطيني بكل فئاته الوطنية، ودفع ببريطانيا حكام الأنظمة العربية الرجعيين للتدخل والمطالبة بتمديد انتداب بريطانيا على فلسطين بغية إفشال القرار، ومثلت دور المساعد للعرب والفلسطينيين لكن المحور الأمريكي - الصهيوني كان أقوى.

أما الصهيونية فقد عملت بسرعة فوافقت على قرار التقسيم، وراح ت العمل من خلال عصاباتها المسلحة المجرمة وبدعم من الإمبريالية بالسلاح والدعم الدبلوماسي، وكلما احتمد الصراع ورجحت الكفة في القتال الضاري الذي نشب بين الشعب الفلسطيني والعصابات الصهيونية لصالح شعب فلسطين وثورتها المسلحة تدخلت الإمبريالية وأمدت الصهيونية بالسلاح وقدمت الدعم في المجال الدبلوماسي من خلال إقرار الهدنة الأولى التي استطاعت الصهيونية بمختلف أساليب الخداع السياسي وبالتنسيق الكامل مع الإمبريالية أن ترتب أوضاعها بحيث تستولي – بشكل مخطط مسبقاً – على مساحات كبيرة من أرض فلسطين تتجاوز بكثير حدود قرار التقسيم.

وفي اجتماع حاشد للصهيونية أُعلن بن غوريون (15 أيار/مايو 1948) قيام دولة (إسرائيل) وتجسدت آمال الصهيونية تجسيداً واقعياً في مؤامرة دولية إمبريالية كبرى لم يعرف لها التاريخ مثيلاً في شراستها، وكان أن حلت بقيام (إسرائيل) أكبر نكبة قومية في التاريخ العربي المعاصر.

فالتجسيد الحي للصهيونية (إسرائيل) فرضتها الإمبريالية العالمية كأمر واقع تمارس سياسة القتل والإبادة الجماعية ضد الشعب الفلسطيني، وتقوم بهماتها في رد أي تحرك معاد للإمبريالية، وتشكل قاعدة متقدمة للاستعمار الجديد في المنطقة. وبعد تحقيق مخططات الصهيونية حان الوقت لتحقيق مخططات الرجعية العربية ممثلة في الحكم الهاشمي بقيادة (الملك عبد الله) مكافأة له على خدماته للامبرиالية والصهيونية.

## نكبة العرب الكبرى في فلسطين 1948 - 1949

توشك سبعة عقود من الزمن أن تكتمل على النكبة الكبرى في فلسطين، نكبة الشعب الفلسطيني، نكبة الأمة العربية في فلسطين، وبالتحديد ثمانية وستون عاماً، ومع الأسف مازالت النخب الثقافية والقيادات السياسية والماراكيز البحثية والدوائر الإعلامية تردد باستسهال مقرن الرواية الصهيونية للأحداث التي جرت العام 1948 م، وتكرس المصطلحات الصهيونية التي تضخ صباح مساء، وهي مصطلحات طرحتها الدوائر الاستعمارية بعد دراسة معمقة وذات أهداف وغايات جدّ خطيرة.

وعملأً بالمقوله الفلسفية القائلة: "ليس المهم تفسير العالم بل المهم تغييره" ، فإنه من الواجب محاكمه الأحداث بشكل علمي موضوعي دقيق والإجابة الجريئة عن التساؤلات والاستفسارات المطروحة:

- أين الرواية الفلسطينية والعربية لأحداث (1948 - 1949 م) ؟

- ماذا جرى في العام 1948 م ؟

- ما هو التاريخ المحدد للنكبة ؟

- هل 15 أيار / مايو هو تاريخ النكبة ؟

- لماذا لم يعلن قيام الدولة الفلسطينية فور جلاء آخر جندي بريطاني عن أرض فلسطين مساء يوم 14 / 5 / 1948 م ؟

- ما هي أبعاد مسارعة مجرم الحرب الصهيوني القاتل "دايفيد بن غوريون" إلى إعلان قيام الكيان الصهيوني على أجزاء من فلسطين فجر 15 / 5 / 1948 م ؟

- لماذا غابت بطولات ثوار فلسطين وشعب فلسطين وجيش الإنقاذ والأفواج العربية من المتظوعين، وكذلك بطولات وتضحيات الجيوش العربية التي دخلت إلى فلسطين منتصف أيار / مايو 1948 م ؟

- لماذا تم التركيز على المجازر الصهيونية..... ؟

- متى وقعت النكبة تحديداً؟ هل وقعت فور جلاء القوات الإنجليزية (14 / 5 / 1948 م)... أم وقعت بعد الهدنة الأولى (11 / 6 / 1948 م)... أم بعد الهدنة الثانية.... ؟

أم أن التاريخ والتاريخ الرسمي للنكبة هو مواعيد توقيع اتفاقيات الهدنة بين العدو الصهيوني والأقطار العربية؟ (مصر 24 شباط / فبراير 1949 م. لبنان 23 آذار / مارس 1949 م... الأردن 3 نيسان / إبريل 1949 م. سوريا 20 تموز / يوليو 1949 م...)؟

أم أن التاريخ المنطقي هو قبول الكيان الصهيوني عضواً في الأمم المتحدة... وهي عضوية مشروطة (بعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم وببيوتهم وممتلكاتهم التي هجروا منها)، أي تطبيق القرار 194 تاريخ 12/11/1948 م...)؟

إن النكبة الكبرى في فلسطين العام (1948 / 1949 م)... هي نتيجة لمجموعة من النكبات التي حلت بالأمة العربية، انطلاقاً من مطلع القرن العشرين عندما طفت على السطح الأطماع الاستعمارية في الوطن العربي، وفي ثرواته وموقعه ودوره ومستقبله، والتي تلخصها بست نكبات:

**النكبة الأولى:** نكبة اتفاقية سايكس - بيكو (16 / 5 / 1916 م). التي قسمت الوطن العربي وجزأته تحقيقاً للأطماع الإمبريالية الاستعمارية، كي يبقى في دائرة الفقر والتخلف والتبعية.

**النكبة الثانية:** هي نكبة وعد بلفور المشؤوم (2 / 11 / 1917 م) الذي وصف بأنه وعد من لا يملك لمن لا يستحق، والذي أطلقته الإمبراطورية البريطانية العظمى تساوياً مع نداء نابليون بونابرت، وخطوة عملية لتحقيق مقررات المؤتمرات الصهيونية من المؤتمر الأول إلى الرابع (1897 - 1904 م)، وأيضاً عملاً بنتائج ووصيات مؤتمر كامبل نبرمان.

**النكبة الثالثة:** صك الانتداب وتعيين الصهيوني هربرت صموئيل أول مندوب سامي بريطاني على فلسطين (24 / 7 / 1922 م)، الذي عُدَّ أخطر خطوة عملية في إقامة الكيان الصهيوني على الأرض الفلسطينية... وفتح فلسطين على مصراعيها أمام الهجرة الصهيونية، وال مباشرة بتدريب العصابات الصهيونية والاستيلاء على الأراضي بإشراف قوات الانتداب.

**النكبة الرابعة:** التآمر على الإضراب الفلسطيني الكبير (إضراب الأشهر الستة).... وقبول نداء المسلمين والأمراء العرب لفك الإضراب الأطول في تاريخ الثورات على مستوى العالم والرکون لنواباً الصديقة بريطانيا يوم (11 / 11 / 1936 م).

**النكبة الخامسة:** إنهاء الثورة الفلسطينية الكبرى التي امتدت من (1936 - 1939 م) مع بدايات الحرب العالمية الثانية، تجاوباً مع الكتاب الأبيض البريطاني الثالث، والذي سمي فلسطينياً الكتاب الأسود.(++)

**النكبة السادسة:** هي قرار تقسيم فلسطين الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة 29 / 11 / 1947 م، تحت الرقم (181) الذي يُعدُّ أول اعتراف دولي على هذا المستوى بالمطامع الصهيونية بالأرض الفلسطينية.

كما أن نكبة العرب الكبرى في فلسطين أسست لمجموعة من النكبات التي لا تقل عنها خطورة في العقود التالية، ويمكن تلخيصها بست نكبات كذلك وفق الآتي:

**النكبة الأولى:** ضرب الوحدة العربية الأولى في العصر الحديث وتفكيك الجمهورية العربية المتحدة في جريمة الانفصال (28 / 9 / 1961 م)، بدعم من الدوائر الإمبريالية والصهيونية والرجعية العربية لفك الحصار المضروب على الكيان المحتل من إقليمي الجمهورية العربية المتحدة...

**النكبة الثانية:** النكسة حزيران / يونيو 1967م التي استكملا خلالها العدو احتلال البقية الباقية من فلسطين، إضافة إلى احتلال الجولان وسيناء وأراض من جنوب لبنان، والتي جاءت مع جريمة الانفصال من كبرى الطعنات التي وجهت إلى المشروع القومي العربي حامل لواء الحرية والاشتراكية والوحدة، حيث بدأ دور الرجعيات يتضاعف على حساب القوى القومية العربية.

**النكبة الثالثة:** اقتلاع الثورة الفلسطينية المسلحة المعاصرة من بين جماهيرها ومن ساحتها الرئيسة ساحة شرق الأردن (أيلول / سبتمبر 1970 م\_ تموز/ يوليو 1971 م) التي شكلت اقتلاعاً للثورة من بيئتها الحاضنة وضرراً لنهج المقاومة على أطول جبهات المواجهة مع المحتل الصهيوني... تلك الجبهة المتدة من بحيرة طبريا إلى خليج أم الرشراش (العقبة - إيلات).

**النكبة الرابعة:** اتفاقيات كامب ديفيد الخيانية (17 - 18 / 9 / 1978 م) تلك الاتفاقيات التي شكلت عملياً الخرق الأول للساحة القومية العربية والتي نقلت مصر بما تمثل من ثقل وطني وقومي من كونها قلعة التصدي للإمبريالية والصهيونية والرجعية إلى مركز معاد للأمة العربية وأحلام أجيالها في التقدم والنهضة والازدهار.

**النكبة الخامسة:** اتفاقيات أوسلو المشؤومة (13 / 9 / 1993 م)، وهي من أخطر النكبات على الإطلاق، حيث جرى ما سمي الاعتراف المتبادل بين منظمة التحرير الفلسطينية والكيان الصهيوني، وفيه اعترفت المنظمة بالكيان المحتل قائماً على ما مساحته (78%) من أرض فلسطين، فيما عُدّت الـ (22%) الباقية أراضي متباينة عليها. وهذا ما يُعدُّ في علم السياسة عملاً كارثياً، وفي المعيار الوطني خيانة وطنية عظمى.

---

**النكبة السادسة:** العدوان الامبرالي الغربي العربي على العراق بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، ودوليات الخليج (19 / 3 / 2003م) واحتلاله وتدمير جيشه وتفكيكه كمدخل لتدمير الأمة العربية انطلاقاً من الربيع الأمريكي الصهيوني المدمر.

ونقفز إلى العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين الذي بدأ باحتلال الجمهورية العربية الليبية على أيدي قوات الناتو في العام 2011م، وانتشار ما يسمى "الربيع العربي" ... مما يفتح صفحات مئة عام من المؤامرات والمؤتمرات والخيانات لنكتشف أن المخفي أعظم والأتي أخطر وأن التاريخ يعيد نفسه لكن بصورةأسوأ، فما يسمى الثورة العربية الكبرى (10 / 6 / 1916م) سرقت، والأحلام العربية وُتُدُت، والأمة جزئت والثروات نهبت، والمستقبل تسلمت زمامه الدول الاستعمارية، وانتهى الأمر.

اليوم يمكن القول: "ما أشبهه اليوم بـ البارحة" تتشابه الخطوات وتنطبق التطلعات والعدو المتربص بالأمة بمخالبه ومطامعه ومخططاته، هو.. هو.. يزداد تفولاً. ويزداد توحشاً. مما يخطئ للوطن العربي وما يخطئ للأمة العربية مخيف وخطير. الوطن العربي إلى المجهول وإلى المزيد من التجزئة والتقطيع وإلى مزيد من سلب الخيرات ونهب الثروات وسرقة الأحلام (سرقة الوحدة والنهضة والتطور...)، مالم تتحمل الطلائع الثورية مسؤولياتها الوطنية والقومية في الدفاع عن حاضر الأمة ومستقبلها.

إن الاستعمار والإمبريالية تنظر إلى الوطن العربي على أنه سوق استهلاكية ومخزون استراتيجي للنفط ومنجم للمعادن المختلفة، واليد العاملة الرخيصة، والأدمنجة المبدعة الواudedة.....

ربما تميزت فلسطين: القضية الشعب والثورة، خلال بضعة عقود من الزمن بأنها القضية الأبرز على المستوى العالمي في محطات تاريخية فاصلة شهدت تحولات كبرى، وحروبًا عظمى، وانقلابات عميقه في الاستراتيجيات والتكتيكات والتحالفات في قارات العمومرة الخمس.

واليوم يمكن القول وبلا تردد: إن قضية فلسطين هي القضية الأعقد، وهي القضية الأصعب، بل هي القضية الوحيدة على صعيد البشرية بأسرها التي ما زالت الشاهد الأكبر على انعدام العدالة وتفشي سياسة الغاب في الوقت الذي يتشقق المحكمون بمقاييس الدفة العالمية بالحضارة والتقدم والازدهار!

وعلى مر هذه العقود ثبت شعب فلسطين على ثوابته، وقاوم الانتدابات والهجرات والاحتلالات بجميع أشكالها وتسمياتها، وظل في طليعة الأمة تضحية وعطاء وفداء وإباء...

### **الحركة الوطنية الفلسطينية بعد العام 1948 م**

عكست هذه النكبة نتائجها بشكل مباشر على الشعب الفلسطيني بالدرجة الأولى بشكل يعتقد إلى أبعد حد تطلعاته إلى التحرير ونضاله من أجل استرداد وطنه وتقدير مصيره على ترابه الوطني، فدعا شعراً مقتضاً بحسب مناطق الانتشار والولايات السياسية - بحكم واقعه الجديد. وهكذا شكلت النكبة الكبرى في فلسطين العام 1948/1949 م ضريراً لأسس البنية الاجتماعية للشعب الفلسطيني جراء الاحتلال الأرض وتشريد الشعب، فحاولت القيادات مواجهة الحالات المستجدة.

#### **حكومة عموم فلسطين 1 / 10 / 1948 م:**

عقد المؤتمر الوطني الفلسطيني في غزة بتاريخ 1 / 10 / 1948 م، برئاسة الحاج محمد أمين الحسيني رئيس الهيئة العربية، وأعلن فيه استقلال فلسطين استقلاً ناجزاً، وتم انتخاب حكومة عموم فلسطين برئاسة أحمد حلمي عبد البافي باشا، مما أغضب جماعة ملك شرق الأردن، فحمل على تجمع الرجعية الفلسطينية وزعماء البرجوازية في الضفة الغربية - غير المحتلة - وعقدوا مؤتمراً شكلياً في أريحا في 10/12/1948م تبعه سريعاً مؤتمر آخر في نابلس في 28/12/1948 م قرروا فيهضم بقية الأراضي التي لم تحتلها العصابات الصهيونية (الضفة الفلسطينية) إلى مملكة شرق الأردن تحت اسم المملكة الأردنية الهاشمية وألحق قطاع غزة بالإدارة المصرية.....

وقد سعى الشباب الفلسطيني المتمرد على الواقع اليائس البائس للانضمام للأحزاب الوطنية والقومية العربية وإلى الجيوش العربية إيماناً منه بأن ذلك هو المدخل الصحيح لتحرير فلسطين، لذلك كان انخراط الشباب الفلسطيني مطلع خمسينيات القرن المنصرم في الأحزاب القومية والجيوش العربية كحل متوفراً للمساهمة في تحرير فلسطين وإعادة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم وممتلكاتهم التي هجروا منها العام 1948 م وما بعد ذلك التاريخ.

وكلما أصابت النكبة فلسطين فإنها أصابت الوطن العربي، فالزلزال الذي ضرب فلسطين وصلت ارتداداته إلى الأقطار العربية وبعد فضائح الأسلحة الفاسدة وهزالة الجيوش العربية شهدت عواصم عربية عدة سلسلة من الانقلابات العسكرية التي اقترب بعضها ليصبح ثورة على الواقع. من تلك الثورات سلسلة الثورات السورية التي بدأت في 30/3/1949م وانتهت بثورة الثامن من آذار / مارس العام 1963م، وثورة 23 تموز / يوليو 1952م في مصر، وثورة 14 تموز / يوليو 1958م و8 شباط / فبراير 1963م في العراق، وثورة 26 أيلول / سبتمبر 1962م في صنعاء / اليمن.

كذلك شهدت خمسينيات القرن الماضي اشتغال عدد من الثورات الوطنية والألمانية في أنحاء مختلفة من العالم في مقدمتها الثورة الفيتامية وانتصارات قلعة (ديان بيان فو)، والثورة الكوبية بقيادة فيدل كاسترو ورفيقه الشائر الأممي الأرجنتيني المولد أرنستو تشي جيفارا وبدايات النصر على نظام باتيستا العميل الذي أسقط العام 1959م، وكذلك الثورة الجزائرية بقيادة جبهة التحرير الجزائرية وجيش التحرير الجزائري التي عُرِفت بثورة المليون ونصف المليون شهيد بقيادة الشائر أحمد بن بلّه ورفاقه، والتي حولت المناضلة جميلة بو حيرد إلى أسطورة على كل شفة ولسان في الوطن العربي الكبير، حيث حررت الجزائر بعد ضمها لفرنسا وبعد احتلال دام (130) عاماً، مما أسهم في تحقيق انتصارات عربية وعالمية تحريرية كبيرة انعكست آثارها على أبناء الشعب العربي الفلسطيني، فأنشئت آمالهم بالعودة وكشفت أمام أعينهم الواقع السيئ الذي كانوا يعيشونه، وأخذت مجموعات نشطة منهم تبدي تمللها من الخضوع للواقع المظلم، وتدعوا لبحث الوضع واقتراح الحلول، وتعمل على التجمع في تظيمات ومجموعات صغيرة لتحقيق الآمال الوطنية والقومية المتتجددة.

بين المأساة والمأساة ومن قلب أزقة مخيمات البؤس والتشرد واللجوء تفجرت ثورة الشعب الفلسطيني إبداعاً ثورياً خلاقاً يبشر بفجر جديد لثورة شعبية جماهيرية واسعة هي حرب العصابات، حرب التحرير الشعبية، حرب الشعب طولية الأمد في مواجهة العصابات الصهيونية ومن يقف خلفها من الدول الاستعمارية تلك العصابات التي احتلت الأرض وهجرت الأهل وارتكبت عشرات المجازر في المدن والقرى والأرياف والبادية الفلسطينية.

بدأت مجموعات من الشباب الفلسطيني تتأثر بالتحولات الثورية على الصعيد العالمي، وبالتحولات القومية على الصعيد العربي، وبالانتصارات التي حققتها حركات التحرر العالمية والعربية، فبرزت طلائع من الشباب أقسمت على تحويل مخيمات وجموع اللاجئين الفلسطينيين إلى معاقل ثورية، وطلائع كفاحية تسهم في إنجاز التحول الثوري من خلال الإرادة الثورية، وبناء التنظيم الثوري الذي يচقل الإرادات ويصهر الأهداف في بوتقة نضالية واحدة تشكل الأرضية لبناء التنظيم الثوري الذي يتصدى للمهام الكبرى وفي المقدمة منها تحرير الأرض والإنسان واستعادة الحقوق وبناء المجتمع الثوري المقاوم. وطرح شعار تحرير فلسطين بأسلوب الحرب الشعبية، أو حرب العصابات. وقد جوبه هذا الشعار بالاستهجان والعداء من الأحزاب العربية التقليدية المسيطرة آنذاك لخوفها من أن يشكل خطراً على وجودها وتهدىداً لصالحها، فأخذت توهם الجماهير بأن الظروف الموضوعية تجعل الشعار غير قابل للتحقيق، وأن مطاليقه جماعات مرتبطة بأجهزة أجنبية.

بدأت فكرة تشكيل جبهة وطنية لتحرير فلسطين تراود أذهان العديد من المناضلين من أبناء شعبنا الموزعين في البلاد العربية المختلفة بحكم لجوء شعبنا في عام 1948 م بعد النكبة إلى أكثر من دولة عربية، وكذلك بسبب حالة الحصار التي عاشها شعبنا بفعل الأنظمة العربية التي كانت قائمة آنذاك، حيث منع أبناء شعبنا من اتصال بعضهم بالأخر، ولهذا كان من الطبيعي أو المنطقي أن تشكل أكثر من نواة للعمل من أجل تحرير الوطن، ولكن لم يقدر للعديد من هذه الحركات أو التنظيمات الاستمرار حيث سرعان ما تجمدت وانفلشت.

واستمرت المسيرة ببطء بسبب الظرف العربي المحيط، إذ كانت الأنظمة العربية تمنع أي نشاط فلسطيني بعيداً عن إرادتها ووصايتها، وكذلك كان معظم شبابنا وأبناء شعبنا قد لجأوا إلى الأحزاب العربية القائمة في ذلك الوقت، كحزب البعث العربي الاشتراكي، وحركة القوميين العرب، وأحزاب الإخوان المسلمين في بلاد الشتات والأحزاب الشيوعية العربية، إضافة إلى الالتحاق بالكليات العسكرية العربية أو التطوع في صفوف الجيوش العربية، بحثاً عن وسيلة أو أسلوب يقربهم من تحرير وطنهم، متأثرين بحالة الإحباط واليأس اللتين ألقا بهما نكبة فلسطين على كاهل الشباب العربي عامه والفلسطيني خاصة وضلوع بعض الأنظمة العربية في مؤامرة اغتصاب فلسطين.

كذلك تطوع عدد من الشباب الفلسطيني في الحرس الوطني التابع للجيش السوري فيما أسس الرئيس جمال عبد الناصر الكتيبة (141) الفدائية بقيادة المقدم مصطفى حافظ، في نيسان / أبريل 1955م رداً على المجازر الصهيونية التي تعرض لها قطاع غزة بدءاً من 28/2/1955م). أما في سوريا فقد شكلت الكتيبة (68) المعروفة باسم كتيبة الفدائين والتي اقتصر عملها على العمليات الاستطلاعية في داخل فلسطين، وقد قدمت الكتيبة 68 عدداً من الشهداء على أرض فلسطين.

وهكذا فقد بدأت المسيرة الطويلة لنضال تحرير فلسطين بأسلوب الحرب الشعبية طويلة الأمد أو حرب العصابات، بالاستفادة من تجارب حديثة العهد لشعوب عربية وأجنبية مارست النضال وحرب التحرير الشعبية، وكان انتصار معظم هذه التجارب يؤكد حتمية انتصار الشعوب في مقاومة الاحتلال وتحقيق الحرية والانتصار.

### قيام منظمة التحرير الفلسطينية

لقد مثلت الحقبة التاريخية التي سبقت إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية مرحلة متميزة في حياة الشعب العربي الفلسطيني، تختلف نوعياً عن المراحل السابقة، حيث تصاعدت بوتائر عالية النزعة نحو إبراز الشخصية الوطنية الفلسطينية في أوساط وتجمعات الفلسطينيين على امتداد الساحات العربية.

لقد أحدثت الإرهادات الأولى في التعبير عن الشخصية الوطنية للشعب العربي الفلسطيني، وأشاعت مناخاً عاماً لدى الأوساط الشعبية الفلسطينية، حيث أعطت انعكاساً واضحاً على مستوى نضج التفكير الباحث عن شكل مؤسساتي تمثيلي جامع للشعب العربي الفلسطيني، يؤمن له مستوى أرقى لأخذ زمام المبادرة فيما يتعلق بقضيته الوطنية، واتباع الوسائل الكفيلة بعودته إلى وطنه، وتقرير مصيره بمحض إرادته.

### بدايات تأسيس المنظمة

في الدورة الأربعين التي انعقدت في أيلول / سبتمبر 1963م اتخذ مجلس جامعة الدول العربية قراراً ينص على (تأكيد حق شعب فلسطين في بلاده وتمكينه من

تقرير مصيره بنفسه وممارسته حقوقه الوطنية كاملة... ويعلم أن الوقت قد حان ليتولى أهل فلسطين أمر قضيتهم، ومن واجب الدول العربية أن تتيح لهم الفرص لتمكينهم من ممارسة ذلك الحق بالطرق الديمقراطية)، كما اتخذ مجلس جامعة الدول العربية قراراً كلف بموجبه السيد **أحمد الشقيري** تمثيل فلسطين في اجتماعات جامعة الدول العربية خالفاً للمرحوم **أحمد حلمي عبد الباقي** رئيس حكومة عموم فلسطين.

في أعياد النصر في مدينة بور سعيد (23 / 12 / 1963) دعا الزعيم القومي الرئيس جمال عبد الناصر قادة الأمة العربية إلى اجتماع قمة طارئ لمواجهة مخططات الكيان الصهيوني بتحويل مجرى نهر الأردن وسرقة مياهه، وللبحث أيضاً في تطورات القضية الفلسطينية....

في الفترة من (13 - 17/1/1964) التقى الملوك والرؤساء العرب في مؤتمر قمة عربي في القاهرة تلبية لدعوة الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة، وقرروا العمل بتنظيم الشعب الفلسطيني وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره، وأن يستمر السيد **أحمد الشقيري** ممثلاً فلسطين لدى جامعة الدول العربية في اتصالاته بالدول الأعضاء بغية الوصول إلى القواعد السليمة لتنظيم الشعب الفلسطيني.

وعلى الرغم من أن قرار القمة العربية لم يشر صراحة إلى أهمية إنشاء كيان فلسطيني إلا أن السيد **أحمد الشقيري** المدرك لحقيقة وواقع وظروف الشعب الفلسطيني واختمار الوعي العام بالشخصية الوطنية لديه قد أمسك فعلاً بهذا الهدف المركزي خلال جولاته على الدول العربية ولقاءاته العديدة من ممثلي الرأي العام الفلسطيني في أماكن تجمعاتهم ومع مختلف القوى السياسية الفلسطينية، ممهداً بذلك الطريق لعقد أول مؤتمر فلسطيني من هذا النوع. وانتهى المؤتمر بقرار موجز جداً وهو التالي:

أن يستمر السيد **أحمد الشقيري** ممثلاً فلسطين لدى الجامعة العربية في اتصالاته بالدول الأعضاء والشعب الفلسطيني بغية الوصول إلى إقامة القواعد السليمة لتنظيم الشعب الفلسطيني وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره.

ويقول **الشقيري**: وخرجت من المؤتمر وليس في جيبي إلا هذا القرار.

ويضيف: "وبدأت وأول ما بدأت بأن أخذت أرسم الكيان الفلسطيني على ورق... تماماً كما يفعل المهندس، وأبرزت صورة الكيان الفلسطيني في مجلس وطني يمثل التجمعات الفلسطينية، تبشق منه لجنة تنفيذية تقود النضال الفلسطيني، وكتائب فلسطينية تجسد النشاط العسكري الفلسطيني، وصندوق قومي لتمويل الحركة الفلسطينية، ومكاتب في العواصم العربية، وجهاز إعلامي للدعوة للقضية الفلسطينية، ذلك هو الهيكل العام للكيان الفلسطيني كما رسمته في الميثاق والنظام الأساسي".

وبجهد واضح من الزعيم أحمد الشقيري انعقد المؤتمر الفلسطيني التأسيسي الأول في القدس صباح 28/5/1964م ولغاية 2/6/1964م، وشهدته وفود تمثل الجامعة العربية وكثيراً من الدول العربية، وقد ألقى الشقيري كلمة تاريخية في افتتاح المؤتمر، ومما جاء فيها:

في هذا اليوم التاريخي، وفي مدينة القدس الخالدة، يجتمع شعب فلسطين ولأول مرة بعد كارثة فلسطين، فما أعظم هذا اللقاء وما أكرم معناه وأبعد مداه وفي جولتي الأخيرة في الوطن العربي من المحيط إلى الخليج شهدت بنفسي لهفة الأمة العربية على فلسطين ولوعتها على ضياعها وتحرقها على الكفاح لتحريرها، لقد شهدت احتفالات تونس لتحرير بنزرت، فكان الشعب في تونس يهتف لفلسطين إلى جانب هتافه لبنزرت.

وشهدت ذكرى استقلال ليبيا في طرابلس، فكان الشعب الليبي يهتف لفلسطين إلى جانب هتافه لاستقلال ليبيا، ، ، والتقيت بالشعب في صيدا - لبنان في المؤتمر الكبير وكانت الجماهير تصيح هنا الطريق إلى فلسطين..... في سوريا وقفت مع الإخوان في القرى الأمامية المطلة على الجليل، وكان السؤال الصارخ على أفواه الجميع: متى نحرر هذه الربوع من الوطن الغالي؟

وفي الكويت كان حديث الشعب إلى أشد حماسة من حديثي إليهم. الأموال والرجال فداء فلسطين، كذلك هذا الشعور الفياض في قطر والبحرين. شهدت مؤتمراً كبيراً في الجزائر فأعلن شعب الجزائر أن سيادة الجزائر لا تتم إلا بتحرير فلسطين، وشهدت اجتماعات وطنية في المغرب فكان المغرب يهتف لتحرير فلسطين إلى جانب هتافه لحريته واستقلاله.

وخطبُت في مساجد الخرطوم ونواحيها فكان شعب السودان يهتف لفلسطين وتحرير فلسطين وفي قاعة الخلد في بغداد كان شعب العراق يرد على خطابي مطالباً بالتطوع والسلاح.

وفي الجمهورية العربية المتحدة شهدت احتفالات أسوان فكان بناء السد العالي يهتفون في أذن الرئيس خروشوف لتحرير فلسطين ولما يجفَّ العرق على جباههم. أما في الأردن وقد كانت لي اجتماعات كبرى في ضفتيه فقد شهدت الفلسطيني أردنياً والأردني فلسطينياً [الكل] سواء في الكفاح تجمعهم إخوة المصير والسلاح، واستقر في ضميري أن أهل الكرك وعمان والسلط وإربد عازمون على تحرير فلسطين مع أهل عكا وحيفا ويافا لا جنباً إلى جنب بل قلبٌ إلى قلب.. ولو أتيح لي أن أزور الجزيرة العربية لرأيت فيها المشاعر العربية نفسها سواء وكلها تتطلع بالتأكيد لفلسطين ولكيان فلسطين.(5).

وخلال (133 يوماً) أنهى السيد أحمد الشقيري جولاته واجتماعاته ولقاءاته في المخيمات الفلسطينية واللجان التحضيرية ليلتئم المؤتمر الفلسطيني التأسيسي الأول في مدينة القدس بحضور 350 مندوباً فلسطينياً وذلك في الفترة من 2/5/1962 - 6/6/1962م) ويعلن قيام منظمة التحرير الفلسطينية بعد إقرار الميثاق القومي الفلسطيني (المكون من مقدمة و 29 مادة) والنظام الأساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية وانتخاب السيد أحمد الشقيري رئيساً للمجلس الوطني الفلسطيني الأول ورئيساً للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية مكلفاً بسمية أعضاء اللجنة التنفيذية.

بعد أن أنجز السيد أحمد الشقيري بناء منظمة التحرير الفلسطينية بمؤسساتها وهي كلياتها حضر إلى مؤتمر القمة العربي الثاني في الإسكندرية (1964/9/5) رئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية ورئيساً للجنة التنفيذية التي ألفها من (15) عضواً وقاداً أعلى لجيش التحرير الفلسطيني الذي عُدد من أهم مركبات منظمة التحرير الفلسطينية... ولقد طار صواب الأنظمة الرجعية العربية من هذا الإنجاز وعدَّت السيد أحمد الشقيري بأنه قد تجاوز التفويض الذي منح له في مؤتمر القمة العربي الأول في منتصف شهر كانون الثاني / يناير 1964م) في القاهرة... فالتفويض ينص على أن يتقدم ممثل فلسطين بدراسة عن الكيان الفلسطيني وليس بمنظمة قائمة بقيادتها ودوائرها ومؤسساتها وميثاقها ونظمها الأساسي، لكن الدعم الكبير من الزعيم القومي ورئيس القمة الرئيس جمال

عبدالناصر جعل مؤتمر القمة يوافق على قيام منظمة التحرير الفلسطينية وعلى إنشاء جيش التحرير الفلسطيني، وعده يوم (9/9/1964) عيداً لتأسيس جيش التحرير الفلسطيني يحتفل به كل عام إلى يومنا هذا، وأصبحت منظمة التحرير عضواً كامل العضوية في جامعة الدول العربية.

وهكذا ولدت منظمة التحرير الفلسطينية، وهكذا أسس جيش التحرير الفلسطيني، وانطلقت إذاعة الثورة الفلسطينية، وأنشئ مركز الأبحاث الفلسطيني كركائز راسخة متينة للكيان الفلسطيني.

يقول عيسى الشعبي في كتابه "الكيانية الفلسطينية" ... (لم يكن قيام منظمة التحرير الفلسطينية في إطار الرسمية العربية وبترحيب منها، أكثر من استجابة عملية لحالة قائمة في الواقع الفلسطيني ذاته، فقد كانت كل الحقائق الحسية القائمة آنذاك في الحياة السياسية الفلسطينية تتذر بالبشرة الكيانية، وتشير إلى قرب انعتاقها من تحت سطح رقابة الجامعة العربية)....(6).

ويقول حسين أبو النمل في كتابه "قطاع غزة 1948 - 1967 تطورات سياسية واقتصادية واجتماعية وعسكرية" :

"تمثل هذه الحقبة في تاريخ القضية الفلسطينية عموماً، وقطاع غزة خصوصاً مرحلة متميزة نوعياً عن الفترة السابقة، حيث تصاعدت النزعة الكيانية الفلسطينية في [كافه] الأوساط الفلسطينية من شعبية وحزبية ورسمية) .... (7).

#### انطلاق الثورة الفلسطينية المسلحة المعاصرة 1964/12/31

ست سنوات من التدريب والإعداد السري سبقت الإعلان عن انطلاق الثورة الفلسطينية المسلحة المعاصرة، وذلك في الساعات الأخيرة من العام 1964م، ومع إطلاة العام 1965م؛ تؤكد الطلائع الثورية الفلسطينية والعربية المناضلة ما جاء في الميثاق القومي الفلسطيني من أن فلسطين هي قضية وطنية وقضية قومية: وهي قضية الأجيال المؤمنة بأنها القضية المركزية للأمة العربية والقضية المقدسة للعالم الإسلامي؛ وبذلك تكون أعظم ثورات العالم تضحيه وفداء.

بعد نكسة حزيران 1967م كان للشقيقين الدور المهم في إصدار لاءات الخرطوم الثلاث (لا تفاوض / لا صلح / لا اعتراف) مع الزعيم العربي الرئيس جمال عبد الناصر.

وجراء الواقع العربي الذي جاءت به الهزيمة، واستمراراً لدور الرجعيات العربية في محاربة المنظمة ورئيسها، ولعدم قناعته بشعار إزالة آثار العدوان، وجه الشقيري استقالته إلى الشعب الفلسطيني عبر الإذاعة بتاريخ (24/12/1967) قال في ختامها: وعهدي لمن يأتي بعدي أن أكون له سندأً وعضداً أضع بين يديه تجربتي وطاقتني في طاعة الجندي بين يدي قائدده، فتلك سيرة سيدنا خالد، قاتل قائداً وقاتل جندياً والحمد لله أولاً وأخيراً...

وبعد مرحلة انتقالية امتدت حتى مطلع العام 1969 م، سيطرت المنظمات الفدائية الفلسطينية على منظمة التحرير الفلسطينية، فاختلط العمل السياسي بالعمل العسكري.

إن منظمة التحرير الفلسطينية بعد مسيرتها الطويلة والشاقة التي امتدت حتى الآن إلى ما يزيد عن (52) عاماً كانت ثمرة جهود ونضال وتضحيات الشعب الفلسطيني كله بقيادته وفصائله الوطنية وتضحيات ودماء وآلام شبابه وجماهيره، وبهذا تكرست ممثلة لنضال الشعب الفلسطيني وعبرةً عن طموحاته الوطنية وهوية نضالية لهذا الشعب تجسّد أمانية وحقوقه الوطنية في تحرير أرضه وعدوته إلى وطنه وتقرير مصيره على هذه الأرض بمحض إرادته من دون تدخل أو وصاية.

إن منظمة التحرير الفلسطينية الأمينة على ميثاقها والمتزمرة به هي طريق الشعب الفلسطيني نحو فلسطين، وهي بهذا ليست ملكاً لفئة أو طبقة أو فصيل أو فريق أو قيادة بل هي إطار نضالي وتعبير سياسي وتنظيمي عملي، وهي أهم إنجاز وطني تلتزم به أي قيادة تعبر على الدوام عن إرادة الشعب الفلسطيني لتحقيق أهدافه والالتزام بميثاقه.

**تُعدُّ منظمة التحرير الفلسطينية الكيان السياسي المعنوي الذي يمثل إرادة الشعب الفلسطيني والإطار الذي يجسد هويته الوطنية وشخصيته المستقلة.** إن الحفاظ على الإطار الكياني الفلسطيني مجسداً بمنظمة التحرير الفلسطينية التي نالت الاعتراف الرسمي عربياً دولياً، وحظيت بأوسع التفاuf جماهيري قد حولها كممثلاً شرعياً ووحيداً للشعب الفلسطيني، وباتت تحتل موقعاً مهماً في الحرب مع العدو الإمبريالي - الصهيوني يجعل من التأكيد على الكيانية الفلسطينية والسعى لإبراز الهوية الوطنية وشخصيتها المستقلة وترسيخها، والإصرار على بناء الدولة الفلسطينية ثوابتاً أساسية في الاستراتيجية الفلسطينية.

---

### الهدف الاستراتيجي :

فلسطين بحدودها التي كانت قائمة في عهد الانتداب البريطاني وحدة إقليمية لا تتجزأ(8).

إن الهدف الاستراتيجي للكفاح الذي تخوضه قوى الثورة الفلسطينية هو تحرير فلسطين من الاحتلال الصهيوني الاستعماري الكولونيالي، وإقامة دولة ديمقراطية على كامل التراب الوطني الفلسطيني وعاصمتها القدس، تكفل الحقوق المشروعة لجميع مواطنيها على أساس المساواة وتكافؤ الفرص من دون تمييز بسبب الدين أو الجنس أو العقيدة أو اللون، وتكون معادية للصهيونية والإمبريالية وذات أفق وحدوي ديمقراطي مع سائر الأقطار العربية.

إن التناقض الأساسي الذي يحكم مرحلة التحرر الوطني الفلسطيني يتجسد بالتناقض التاخيري القائم بين شعب فلسطين على أرض فلسطين وجميع مواقع التشرد والكيان الصهيوني المغتصب والمحتل لوطنا، أما التناقض الأساسي في المنطقة العربية فهو بين الأمة العربية المسنودة بقوى التحرر والتقدم والاشتراكية في العالم من جهة والكيان الصهيوني والحركة الصهيونية والإمبريالية والرجعية من جهة أخرى.

"الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين، وهو يشكل استراتيجية وليس تكتيكًا، ويؤكد الشعب العربي الفلسطيني تصميمه المطلق وعزمه الثابت على متابعة الكفاح المسلح والسير قدما نحو الثورة الشعبية المسلحة لتحرير وطنه والعودة إليه، والدفاع عن حقه في الحياة الطبيعية فيه، وممارسة حق تقرير مصيره فيه والسيادة عليه" ... (9).

الحرب في مواجهة الأعداء حرب طويلة الأمد شارك فيها الجماهير العربية بقيادة قواها الطبيعية الوطنية والديمقراطية بهدف إلحاق الهزيمة الحاسمة بالكيان الصهيوني على الأرض الفلسطينية بوصفه كياناً عدوانياً استيطانياً عنصرياً توسعياً إجلاقياً، يشكل قاعدة متقدمة للدواوير الإمبريالية التي يعمل في خدمة استراتيجيةيتها وهيمنتها الكاملة على المنطقة العربية بمجموعها، وهذا الأمر يستوجب توفير شروط فلسطينية وعربية دولية جديدة ونوعية تقضي في محصلتها النهائية إلى تغيير موازين القوى القائمة تغييراً جذرياً وحاسمأً لصالح قوى الثورة، كما يستوجب نضالاً ضارياً ومعقداً وطويلاً وتضحيات جسيمة.

"العمل الفدائي يشكل نواة حرب التحرير الفلسطينية، وهذا يقتضي تصعيده وشموله وحمايته وتغطيته الطاقات الجماهيرية والعلمية الفلسطينية كافة، وتنظيمها وإشراكها بالثورة الفلسطينية المسلحة وتحقيق التلامم النضالي الوطني بين مختلف فئات الشعب الفلسطيني، وبينها وبين الجماهير العربية، ضماناً لاستمرار الثورة وتصاعدتها وانتصارها". (10)....

## **مسارات التسوية**

فور وقوع النكبة وصدور قرار اتفاقيات الهدنة بين العدو والأقطار العربية، والذي نص أن الهدف هو الوصول إلى تسوية، وبعد حين من الزمن بدأت الأمور تأخذ اتجاهًا مغايراً بشكل متدرج بدءاً من شعار: تحرير المحتل من الأرض إلى إزالة آثار العدوان إلى قبول القرار(242) الصادر عن مجلس الأمن في(22/11/1967) الذي ينص على انسحاب العدو من (الأراضي المحتلة... أو من أراض محتلة)بحسب الصيغتين الفرنسية والإإنكليزية لنص القرار، مع ما يصاحب ذلك من اعتراف بالعدو كإحدى دول المنطقة، ثم مشروع روجرز الذي بدأ تفسيذه في(8 / 8 / 1970 م) يأنهاء حرب الاستنزاف على جبهة القناة ثم القرار(338) الصادر في (22/10/1973) الذي ينص على نقطتين:

1- وقف إطلاق النار 2- تففید القرار(242). وهذا يعني ضمناً الاعتراف بالعدو المحتل ثم المباشرة بمقاييس الخيمة (101) واتفاقيات سيناء وصولاً إلى اتفاقيات كامب ديفيد لتبدأ طروحات خطيرة تتسلل إلى الثقافة والمفاهيم من أخطرها: الأرض مقابل السلام، والأمن مقابل السلام، والتطبيع مقابل السلام، فالسلام مقابل السلام، وهكذا كل شيء يصب في مصلحة الكيان الصهيوني الغاصب الذي يحتل الأرض ويقضى الأرض وبهؤ الأقصى، ويحصل مقابل ذلك على السلام والأمن والتطبيع والاعتراف وفتح أبواب العاصمة العربية على مصراعيها أمام تمدد الاقتصادى والدبلوماسي. وحدها دمشق التي تواجه حرباً كونية منذ خمس سنوات بقيت صامدة ثابتة شامخة تدافع عن شرف الأمة وكرامتها ومستقبل أجيالها.

جاء في قرار مجلس الأمن (16 تشرين الثاني / نوفمبر 1948 م) التفاوض لإقرار هدنة في سبيل تسهيل الانتقال من حالة المهادنة إلى حالة السلم النهائي في

فلسطين. وإن إقامة المدنة بين القوات المسلحة للفريقين مرحلة ضرورية في سبيل تصفية النزاعسلح وإعادة السلم إلى فلسطين.

حافظت منظمة التحرير الفلسطينية على برنامج التحرير طوال فترة ترؤس السيد أحمد الشقيري لها (1964 - 1967)، فيما حافظت المنظمة مع قوى الثورة الفلسطينية على هذا البرنامج حتى عام 1970م، حيث بدأت طروحات التسوية. وفي العام 1974م تمكنت قوى التسوية أن تفرض نهجها و برنامجهما على مقررات المجالس الوطنية، وفي إطار الصراع بين نهجي التسوية والتحرير تمكّن أصحاب نهج التسوية من السيطرة على مقاليد الأمور في منظمة التحرير الفلسطينية.

مواقف هذا اليمين واضحة جداً، فعندما تعاونت الإمبريالية والصهيونية والرجعية لاجهاض حركة المقاومة بالخلب الرجعي الأردني عام 1970م بعد ذلك مباشرة بدأ هذا اليمين وبعض المراهقين اليساريين ينادون بالتنازل عن برامج منظمة التحرير السياسية التي حددت أهداف النضال الفلسطيني بتحرير كامل التراب الفلسطيني وإقامة الدولة الفلسطينية العلمانية التي يتساوى فيها العرب واليهود، فطربوا موضوع (الدولة الفلسطينية المستقلة) على أي جزء يمكن تحريره، وبعد أحداث جرت في لبنان تنازلوا عن هذا أيضاً، وخاصة في مؤتمر قمة بغداد، وقبلوا (الدولة الفلسطينية المستقلة) على الأرضي التي احتلت عام 1967م. (استمر التنسيق السياسي بين اليمين الفلسطيني والرجعية العربية، بحيث إن اليمين - وخلال عقود - كان وباستمرار يدخل في أزمات حادة جداً مع أطراف حركة التقدم العربية، فدخل في صدامات مع سوريا رغم أهمية سوريا التاريخية للنضال الفلسطيني وأهمية موقعها الجغرافي ثم دخل في أزمة أخرى مع الجماهيرية، وكان القصد إسكات الأصوات الوطنية التقدمية العربية في سوريا والجماهيرية، تمهدًا للجلوس مع الإسرائيليين ووضع النهاية للنزاع العربي - الصهيوني لصالح المخططات الإمبريالية والرجعية والصهيونية).(11).

مبكرأً بدأت تتسلّب إلى الساحة الفلسطينية طروحات تسووية مع العدو الفاصل، وقد تجلّت بشكل واضح في نهاية السبعينيات وبداية السبعينيات من القرن المنصرم من خلال ما سمي البرامج المرحلية التي للأسف الشديد جاءت على حساب الأهداف الاستراتيجية والبرامج الاستراتيجية للثورة الفلسطينية.

اشتهرت قمة الخرطوم إثر هزيمة حزيران/ يونيو 1967م بصدور ما يعرف بلاءات الخرطوم الثلاث لا صلح، لا تفاوض، لا اعتراف بالكيان الصهيوني... ومع التحول الكبير الذي طرأ على السياسة المصرية مع غياب القائد جمال عبد الناصر بما كان يمثل من وزن مؤثر على الصعيد العربي والإقليمي والدولي بدا واضحاً أن ذلك التحول مس جوهر الموقف القومي المصري؛ مما أثر في الموقف العربي بمجمله، وانعكس سلباً على أبسط قواعد التضامن العربي.

بدأ مسلسل التراجع بعد الخروج من بيروت عام 1982م وتشتيت قوى الثورة في المناجم ثم حدث انقسام خطير في منظمة التحرير الفلسطينية على إثر اتخاذ القيادة الرسمية قرارات الاعتراف بالعدو الصهيوني، وعقد اتفاق غزة - أريحا الذي حمل اسم اتفاق أوسلو في (13/9/1993م)، ويتضمن في جوهره تصفية القضية الوطنية لشعبنا وإضفاء الشرعية على الاحتلال فلسطين!

لقد مثل الفكر السياسي العربي في بعض محطاتهأسوء برامج البراغماتية السياسية والميكافيلية التي تتظر للهزيمة، وتسوّغ تقلها من استسلام إلى آخر، وتوظيفها ل Capacities شعوبها وتضحياتها خدمة لسياساتها التفريطية. في حين عقليّة التحرير من جهة ومنطق التسوية من جهة أخرى تحول أول انتصار للجندي العربي في حرب تشرين/ أكتوبر عام 1973م إلى كارثة سياسة.

ومع طرح ما سمي بمبادرة الأمير فهد لتسوية القضية الفلسطينية بقمة فاس 1981، وهي المبادرة ذاتها التي أصبحت مشروع الملك فهد بقمة فاس الثانية بعد خروج المقاومة الفلسطينية من لبنان عام 1982م، وقد وجد المشروع طريقه للتفكير السياسي العربي، وتقاطع في حينه مع مشروع الرئيس الأميركي ريجان (1/9/1982م)، ووسط هذا المناخ العربي المريئ تفتقت عقلية النظام العربي عن طرح أخطر مشروع لتصفية الصراع العربي / الفلسطيني من خلال ما سمي بمبادرة السلام العربية التي قدمها ولی عهد بنی سعود في قمة بيروت عام 2002م، حيث بدأت المجالس الوطنية الفلسطينية من الدورة التاسعة إلى الدورة الحادية عشرة بالتعاطي باستحياء مع هذه البرامج.

### **برنامج النقاط العشر**

في الدورة الثانية عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني التي عقدت في القاهرة من 6 إلى 12 حزيران/ يونيو 1974م تم تبني برنامج النقاط العشر، وهو البرنامج

المرحلـي الأـخـطـر لـما تـضـمـنـه مـن تـرـاجـع كـبـيرـهـد الـهـدـفـاـسـتـراتـيـجيـلـلـثـورـةـالـفـلـسـطـينـيـةـوـلـنـظـمـةـالـتـحرـيرـالـفـلـسـطـينـيـةـالـذـيـيـؤـكـدـعـلـىـتـحرـيرـفـلـسـطـينـكـلـفـلـسـطـينـ.

وجاءت النقاط العشر على النحو التالي:

**أولاً:** تأكيد موقف منظمة التحرير السابق من أن القرار 242 يطمس الحقوق الوطنية والقومية لشعبنا، ويعامل مع قضية شعبنا كمشكلة لاجئين. ولذا يرفض التعامل مع هذا القرار على هذا الأساس، في أي من مستويات التعامل العربية والدولية، بما في ذلك في مؤتمر جنيف.

**ثانياً:** تناضل منظمة التحرير بالوسائل كافة، وعلى رأسها الكفاح المسلح لتحرير الأرض الفلسطينية، وإقامة سلطة الشعب الوطنية المستقلة المقاتلة على كل جزء من الأرض الفلسطينية التي يتم تحريرها، وهذا يستدعي إحداث المزيد من التغيير في ميزان القوى لصالح شعبنا ونضاله.

**ثالثاً:** تناضل منظمة التحرير ضد أي مشروع كيان فلسطيني شمنه الاعتراف والصلح والحدود الآمنة والترازيل عن الحق الوطني وحرمان شعبنا من حقوقه في العودة وتقرير مصيره فوق ترابه الوطني.

**رابعاً:** إن أية خطوة تحريرية تم هي حلقة متابعة تحقيق استراتيجية منظمة التحرير في إقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية المنصوص عليها في قرارات المجالس الوطنية السابقة.

**خامساً:** النضال مع القوى الأردنية الوطنية لإقامة جبهة وطنية أردنية فلسطينية، هدفها إقامة حكم ديمقراطي في الأردن، يتلاحم مع الكيان الفلسطيني الذي يقوم نتيجة الكفاح والنضال.

**سادساً:** تناضل منظمة التحرير لإقامة وحدة نضالية بين الشعبين وبين قوى حركة التحرر العربي المتفقة على هذا البرنامج.

**سابعاً:** على ضوء هذا البرنامج تناضل منظمة التحرير من أجل تعزيز الوحدة الوطنية والارتقاء بها إلى المستوى الذي يمكنها من القيام بواجباتها ومهماتها الوطنية والقومية.

**ثامناً:** تناضل السلطة الوطنية الفلسطينية بعد قيامها، من أجل اتحاد أقطار المواجهة في سبيل استكمال تحرير كامل التراب الفلسطيني، كخطوة على طريق الوحدة الشاملة.

**تاسعاً:** تناضل منظمة التحرير من أجل تعزيز تضامنها مع البلدان الاشتراكية وقوى التحرر والقدم العالمية؛ لاحباط المخططات الصهيونية والرجعية الإمبريالية كافة.

**عاشرًا:** على ضوء هذا البرنامج تضع قيادة الثورة التكتيك الذي يخدم هذه الأهداف، ويمكّن من تحقيقها.

وهكذا بدأت – وبتسارع – مسيرة الصفقات والتنازلات والآخوات في الساحتين الفلسطينية والعربية مع توقيع اتفاقيات الذل والإذعان، مجسدةً في اتفاقيات كامب ديفيد على صعيد مصر بعد حرب تشرين / أكتوبر 1973م التي حولها الرئيس المصري محمد أنور السادات بالتعاون مع صديقه دائحة السياسة الخارجية الأمريكية الصهيوني هنري كيسنجر من حرب للتحرير إلى حرب للتحرّيك من أجل الولوج في مسارات التسوية والتصفية.

#### **اتفاق 17 أيار/مايو 1983م**

على صعيد لبنان بعد الاجتياح الصهيوني له في 6 / 6 / 1882م، وحصار العاصمة بيروت ثم اقتحام الثورة الفلسطينية منها وتشتيت قواتها في المناطق، مما انعكس بشكل جلي على الواقع الفلسطيني، وقع اتفاق الذل والإذعان.. اتفاق 17 أيار / مايو 1983م، وبذلك يكون لبنان هو الدولة العربية الثانية التي توقيع اتفاق ذل مع العدو الصهيوني، وبفضل تحالف الحركة الوطنية اللبنانية وقوى الثورية الفلسطينية وبدعم سوري تم إسقاطه هذا الاتفاق بعد معارك ضارية في الجبل والإقليم وانتفاضة العاصمة بتاريخ 6 / 2 / 1984م.

وعلى صعيد المجالس الوطنية عُدَّ المجلس الوطني الفلسطيني السادس عشر المنعقد في الجزائر (شباط / فبراير 1983م) آخر مجلس وطني فلسطيني شرعي سمي مجلس الحد الأدنى من الإجماع الوطني الفلسطيني... .

قادت هذه المساعي ذات المنحني التراجعي إلى توقيع اتفاقيات أوسلو بدءاً من أيلول - سبتمبر 1993م والانحراف في تطبيقها، (وتهدف هذه الاتفاقيات إلى تجزئة

وحدة الشعب الفلسطيني وحقوقه الوطنية وطمس هذه الحقوق وتصفية قضيته الوطنية على قاعدة تثبيت المستوطنات وتكرис الاحتلال وإعادة تنظيمه بإقامة سلطة حكم ذاتي خاضعة لـ "إسرائيل"، وترك قضايا القدس واللاجئين والمصير النهائي للأراضي المحتلة بعدها 1967م إلى مفاوضات تجري ضمن شروط تمكين "إسرائيل" من التحكم بنتائجها وفقاً لمصالحها التوسعية، وقطع الطريق على حق شعبنا في الاستقلال وتقرير المصير).(12).

#### **صفقة أوسلو المشؤومة:**

بدأت مسيرة أوسلو قبل عام 1993م، بوقت طويل، أي منذ أن أخذت موضوعات كانت في حينها فكرية تطرح في الساحة الفلسطينية مثل الدولة الديمقراطية العلمانية، والدولة شأنية القومية... الخ.

ففي عام 1990 عقد في باريس اجتماع فيلا خاشقجي بين أرائيل شارون وبين وفد من منظمة التحرير الفلسطينية للبحث في إقامة حكم ذاتي في قطاع غزة. وفي 20/1/1993م عقد أول اجتماعاً رسمياً بين وفد رسمي فلسطيني في النرويج من أصل 14 اجتماعاً في أجواء سرية مطلقة إلى أن وقع المجرم شمعون بيريز وزير خارجية الكيان الصهيوني في (19/8/1993م) على مسودة الاتفاق. في (13/9/1993م) وقع رسمياً في واشنطن على اتفاق أوسلو ونص اتفاق أوسلو على إقامة سلطة حكم ذاتي محدود للفلسطينيين في الضفة وقطاع غزة لمدة 5 سنوات.

#### **تعديلات الميثاق الوطني الفلسطيني:**

في 18 كانون الثاني / يناير عام 1998م، كتب ياسر عرفات إلى الرئيس الأمريكي بيل كلينتون رسالة جاء فيها:  
عزيزي الرئيس الأمريكي!

في رسائل الاعتراف المتبادل بيني وبين رئيس الوزراء الإسرائيلي الراحل إسحاق رابين في التاسع والعشر من أيلول / سبتمبر عام 1993م، التزمت منظمة التحرير الفلسطينية بالالتزام بحق دولة "إسرائيل" في الوجود بسلام وأمان، وبقبول قراري مجلس الأمن 242 و 338 وبالحل السلمي للصراع بين طرفين.

ووافقت منظمة التحرير الفلسطينية على تغيير الميثاق الوطني الفلسطيني بما يتاسب مع هذه التعهادات.

وبناء على ذلك انعقد المجلس الوطني الفلسطيني في مدينة غزة بين 22\_25 نيسان/إبريل

عام 1996م وبجلسة عادية قرر تغيير الميثاق الوطني بإلغاء جميع البنود التي تتعارض مع الرسائل المتبادلة بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الإسرائيلية في التاسع والعشر من أيلول / إبريل 1993م"

وكانت هذه الصيغة قد حظيت على مباركة وموافقة الإدارة الأمريكية والحكومة الإسرائيلية، وأرسلت رسائل بخصوص هذا القرار لفخامتكم ولرئيس الوزراء الإسرائيلي شمعون بيرس، وقامت أيضاً بإرسال رسالة مماثلة لرئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو بعد تسليمها السلطة.

" ورحب فخامتكم ورئيس الوزراء الإسرائيلي بقرار المجلس الوطني الفلسطيني "

(وتقديراً لهذا القرار فقد قام حزب العمل الإسرائيلي بإلغاء البند الخاص ويرفض الدولة الفلسطينية من برنامجه السياسي كرد على الخطوة الفلسطينية) (ورغبة مني في وضع حد لهذه التساؤلات فإن المجلس الوطني الفلسطيني - وبما يتوافق مع المادة 33/ من "الميثاق - جاء [بمتابة] تعديل شامل للميثاق بحيث شملت التعديلات بنود الميثاق الـ 33/ التي تتعارض مع الالتزامات المذكورة أعلاه فيما يتعلق بالاعتراف بـ "إسرائيل" والعيش بسلام إلى جانبها)

(ونتيجة لذلك فقد تم إلغاء المواد من 6 – 10 و15 و19 – 23 و30 وإلغاء الأجزاء من المواد 1 – 5 و11 – 14 و16 – 18 و25 – 27 و29 التي تتعارض مع الالتزامات الواردة أعلاه)

(ولن يكون هنالك أي نشر للميثاق الوطني دون التغييرات الواردة أعلاه).  
بسهولة نجد أن هذه العملية تعني إلغاء 12/ مادة كلياً وإلغاء أجزاء من 16/ مادة أخرى، أي ما مجموعه 28/ مادة من أصل 33/، وهذا يعني عملياً نسف الميثاق الوطني الفلسطيني وتهشيم الكيان الفلسطيني المتمثل بمنظمة التحرير الفلسطينية التي ناضل وضحى شعبنا لتكون هي الممثل الشرعي الوحيد له.

ولكي نستوعب بشكل عملي ما يعنيه هذا الإلغاء من الأفضل استعراض المواد الملغاة لنرى ما حل بحق اللاجئين الفلسطينيين بالعودة بعد أن تم التخلص عن هدف التحرير وعن أسلوب الكفاح المسلح الذي انقلب الفصائل باسمه على قيادة منظمة التحرير عام 1967 م، وسلمت قيادة المنظمة مطلع العام 1969 م.

#### **اتفاق القاهرة في 4/5/1994:**

تناول هذا الاتفاق ما يُروج على أنه اتفاق إجرائي تفويضي لاتفاق أوسلو، وقد انطوى على تنازلات غير قليلة قدّمها المفاوض الفلسطيني، وفي هذا الاتفاق تم تغيب القضية الفلسطينية وتهميشه قضية اللاجئين وحق العودة غير القابل للتصرف، إذ أحال هذا الاتفاق شؤون اللاجئين إلى لجنة رباعية تتظر في أمرهم وعلى أساس فردي.

#### **اتفاق وادي عربة:**

ترجمة لاتفاق واشنطن (25 / 7 / 1994)، جاء اتفاق وادي عربة ثانى معاهدة توقعها دولة عربية مع الكيان الصهيوني، وكان الشاهد على التوقيع بيل كلينتون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية. وتم التوقيع في وادي عربة يوم 26 أكتوبر / تشرين الأول عام 1994م . وبتوقيع هذه المعاهدة أصبح الأردن ثانى دولة عربية بعد مصر وثالث جهة عربية بعد مصر ومنظمة التحرير الفلسطينية، توقيع معاهدة مع العدو.

استهدفت معاهدة وادي عربة تحقيق سلام عادل وشامل بين البلدين استناداً إلى قرار مجلس الأمن 338 و 242 ضمن حدود آمنة ومعترف بها، ويعُدُّ السلام قائماً بين المملكة الأردنية الهاشمية ودولة "إسرائيل" اعتباراً من تاريخ تبادل وثائق التصديق على المعاهدة..

**اتفاق طابا وقع في 28/9/1995** في واشنطن، وعرف باتفاق توسيع الحكم الذاتي الإداري الانتقالي.

**اتفاق الخليل 15/1/1997م**... هذا الاتفاق قسم مدينة الخليل إلى قسمين: قسم يهودي في قلب المدينة بما فيها الحرم الإبراهيمي، والقسم العربي ويشمل الدائرة الأوسع للمدينة، وتتضمن ترتيبات أمنية قاسية ومعقدة لضمان أمن (400) مستوطن يهودي على حساب (120) ألف فلسطيني.

**اتفاق وايريفر الموقع في 23/10/1989** الذي انطوى على مضمون أمنية بين تنفيذ الكيان الصهيوني للتزاماته المنصوص عليها في الاتفاق وبين جهود السلطة بمحاربة المقاومة الوطنية والإسلامية الفلسطينية مع شرط تعديل الميثاق الوطني الفلسطيني.

**اتفاق شرم الشيخ 4/9/1999** بين فريق أوسلو وباراك، حيث تم تمديد فترة الحكم الإداري إلى شهر أيلول / سبتمبر 2000 مفاوضات كامب ديفيد (2) التي جرت في الفترة (12 - 15 تموز/يوليو 2000) بحضور كلينتون وباراك وعرفات (المناقشة مشاريع واقتراحات توجد حالاً للقضايا المعقدة بين "إسرائيل" والسلطة الفلسطينية).(13).

ومع فشل مفاوضات كامب ديفيد (2) انتهت مرحلة كاملة من النشاط السياسي الهدف إلى التسوية واندلعت انتفاضة الأقصى في (28/9/2000) بعد زيارة استفزازية قام بها مجرم الحرب الصهيوني شارون للحرم القدس الشريف.

#### **خطة ميتشل 4/9/1999:**

تدعوا الخطة إلى وقف الانتفاضة مقابل وقف الاستيطان واستئناف المفاوضات وفق صيغة أوسلو السابقة، وشكلتْ هذه الخطة سقفاً لوقفها السياسي.

#### **مشروع بيل كلينتون للسلام كانون الأول / ديسمبر 2000:**

سعى الرئيس كلينتون في الأيام الباقية على ولايته إلى تقديم مشروع مشروع اللحظات الأخيرة في 22/12/2000 متضمناً النقاط التالية:

- 1- دولة فلسطينية على 94% إلى 96% من الضفة الفلسطينية و100% من قطاع غزة
- 2- تبادل أراضٍ مقابل النسبة التي يقتطعها العدو، إضافة إلى معبر دائم وأمن بين الضفة والقطاع.
- 3- يكون هناك حضور أمريكي صهيوني في وادي الأردن تحت سلطة قوة دولية...
- 4- القدس...المبدأ العام أن المناطق الأهلية بالسكان العرب هي مناطق فلسطينية والأهلة باليهود هي مناطق صهيونية... مع رقابة فعلية للفلسطينيين على المسجد الأقصى مع احترام معتقدات اليهود. لكن المشروع سقط مع نهاية ولاية كلينتون.

### وثيقة موراتينوس كانون الثاني /يناير 2001:

أعدت الوثيقة النهائية غير الرسمية (كتوبيق لمحادثات طابا) للاتحاد الأوروبي، وقد أعدّها المفوض الخاص السفير ميجل موراتينوس حول قضايا الوضع النهائي والمحددة بـ: 1- الأرض 2- القدس 3- اللاجئين 4- الأمن.

### وثيقة تبنت 2001/6/13:

تعيد هذه الوثيقة تأكيد الاتفاقيات الأمنية، خاصة التي وقعت في شرم الشيخ عام 2000م، والمبادئ الأمنية التي أوردها تقرير لجنة ميشيل، 2001م وخطة زيني 2002/3/27 وهي محاولة أخرى لتفعيل توصيات لجنة ميشيل، وتتضمن الخطة وقف إطلاق النار الصهيوني مقابل إنهاء الانتفاضة.

### خطة خارطة الطريق 2002/6/24:

وردت في خطاب الرئيس الأميركي بوش الابن، حيث أعلن رؤية الإدارة الأمريكية للتسوية في الشرق الأوسط، وأطلق عليها عنوان خطة الطريق، وتلخص بالآتي:

- 1 ينهي الفلسطينيون انتفاضتهم، وتتوقف أعمال المقاومة المسلحة ضد الاحتلال الصهيوني.
- 2 تقوم السلطة الفلسطينية بإصدار إعلان يعترف بحق الكيان الصهيوني بالوجود الآمن.
- 3 مقابل ذلك يتلزم الكيان الصهيوني بتنفيذ عدد من الإجراءات تتلخص بتحسين الظروف الإنسانية والحياتية للفلسطينيين.
- 4 إعادة انتشار جيش الاحتلال من المناطق التي احتلها من 28/9/2000م.
- 5 يتلزم الطرف الصهيوني بتقييد الاستيطان والسماح بعودة المؤسسات الفلسطينية في القدس الشرقية.
- 6 على أن يعقد مؤتمر يبحث في إمكانية قيام دولة فلسطينية بحدود مؤقتة.

### مبادرة السلام العربية بيروت 2002/3/27:

بعد مبادرة الأمير والملك فهد العام 1981/1982م جاءت مبادرة الأمير والملك عبدالله لتشكل بداية لسيطرة الرجعيات العربية على قيادة الدفة السياسية على

الساحة العربية وللتأكيد على مقررات قمة القاهرة (1996م) من أن السلام العادل والشامل خيار استراتيجي للدول العربية، وعلى أرضية ذلك تم إقرار مبادرة الأمير عبد الله التي تنص على إنشاء علاقات طبيعية مع (إسرائيل) في إطار هذا السلام الشامل، وقد بذل الرئيس أمين لحود والرئيس بشار الأسد جهداً مهماً لتأكيد حق العودة للاجئين الفلسطينيين ورفض التوطين.

هذه المبادرة التي وصفها مجرم الحرب الصهيوني القاتل شارون بأنها لا تساوي الحبر الذي كتبت به، وضرب بها عرض الحائط قبل أن يجف حبرها خلال اجتياح مدينة جنين ومخيمها وارتكاب أفعى المجازر.

## **التصدي والتــحدـي**

واجهت القوى الوطنية الثورية الفلسطينية نهج التفریط والاستسلام من خلال العمل الدؤوب في الميادين العسكرية والسياسية والإعلامية مؤكدة، بالقول والعمل أن البرامج المرحلية عندما لا تخدم البرامج الاستراتيجية تكون انحرافاً وطنياً ينبغي كشفه وفضحه والتصدي له.. وعليه مبكراً ظهرت التشكيلات الفلسطينية المتصدية لمخططات تصفية القضية الفلسطينية، كان أبرزها التيار الثوري في حركة التحرير الوطني الفلسطيني / فتح الذي تحالف مع القوى الأخرى في التشكيلات التي واكبت مراحل المخططات والصفقات التي كانت تستهدف قضية فلسطين... وسنشير في هذه الدراسة إلى أهم محطات التصدي لنهج التفریط والاستسلام.

### **جبهة القوى الفلسطينية الراضة للحلول الإسلامية:**

جبهة القوى الفلسطينية الراضة للحلول الإسلامية التي عرفت اختصاراً بـ(جبهة الرفض)... هي من اضخم التجارب الجبهوية التي شهدتها الساحة الفلسطينية وقد اقتربت من أن تكون جبهة وطنية... تكونـت نهاية العام 1973م جبهة القوى الفلسطينية الراضة للحلول الإسلامية التي تكوـت من أربعة تنظيمات فدائية فلسطينية فاعلة على الصعيد العسكري والسياسي، وهي (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، جبهة التحرير العربية، وجبهة النضال الشعبي الفلسطيني) التي انتهـت مبدأ العمليات الاستشهادية التي

دشنت بعملية الخالصة فاتحة العمليات الاستشهادية بتاريخ (11/4/1974م) تحت شعار: (قسماً سنحطم التسوية الاستسلامية)، بيد أن اليمين الفلسطيني استثمر العمليات الاستشهادية التي انتشرت بشكل واسع لتوصل رئيس اللجنة التنفيذية ياسر عرفات ليلقي خطابه في الجمعية العامة للأمم المتحدة في (13/11/1974م)، وليطلاق مقولته المشهورة: (جئتكم أحمل البنادق بيد وغصن الزيتون باليد الأخرى.. فلا تسقطوا غصن الزيتون الأخضر من يدي).

#### **الدعوة للوحدة الفلسطينية السورية 8/3/1975م:**

مواجهة نهج التسويات ومحاولات الاستفراد بالشعب الفلسطيني أطلق القائد الحالى حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية – في خطابه بمناسبة الذكرى الثانية عشرة لثورة آذار وذلك يوم 8/3/1975م – دعوته لإقامة وحدة سياسية وعسكرية نضالية سورية – فلسطينية فورية تتطلق من الالتزام المبدئي بوحدة المصير القومي في وجه العدوان الامبرىالي الصهيوني، ومن الالتزام التام بقضية الشعب العربي الفلسطيني كونها أساس الصراع الذي تخوضه الجماهير العربية ضد الغزوة الاستيطانية الصهيونية التي تشكل الموضع الأمامي للامبرىالية في المنطقة.

لكن أبطال (القرار الوطنى الفلسطينى المستقل في قيادة منظمة التحرير الفلسطينية) أفشلوا هذه الخطوة القومية، والفرصة التاريخية.

#### **ثورة يوم الأرض الفلسطيني 30 آذار/مارس 1976م:**

كتب الشباب الفلسطينى بالدم في ثورة يوم الأرض الفلسطينى في 30/3/1976م أن سنوات الاحتلال مهما طالت لن تغير من طبيعة فلسطين التي كانت عربية وستبقى، وبأنه لا تعايش مع المحتل الغاصب، من هنا جاء يوم الأرض بشهاداته الستة وعشرات الجرحى من المثلث والجليل رسالة للعالم أجمع بأن عروبة فلسطين لا تنتهي بالتقادم، وبأن الشباب الفلسطينى في الأراضي المحتلة منذ العام 1948م - وعلى الرغم من فرض هوية الاحتلال عليه - سيبقى طليعة الشباب العربى المستعد لفداء الأرض بدماء شبابه وفتياته.

**جبهة الصمود والتصدي العربية:**

أما على الصعيد العربي - ورداً على زيارة السادات المشؤومة إلى القدس المحتلة(19 / 11 / 1977م) - فقد شكلت جبهة الصمود والتصدي من الجمهورية العربية السورية، وجمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية، والجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، وجمهورية اليمن الديمقراطي، ومنظمة التحرير الفلسطينية، وكان من المقرر أن تضم جمهورية العراق إليها لكنها انسحبت في اللحظات الأخيرة.

**التحالف الوطني الفلسطيني:**

أصبح الانقسام الفلسطيني حقيقة واقعة بعد انعقاد دورة المجلس الوطني الفلسطيني الانشقاقية في عمان تشرين الثاني / نوفمبر 1984م لتقسم الساحة الفلسطينية إلى ثلاثة أقسام:

**أولاً:** التحالف الوطني الفلسطيني الذي تشكل من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة، طلائع حرب التحرير الشعبية / قوات الصاعقة، حركة التحرير الوطني الفلسطيني - فتح الانتفاضة - جبهة النضال الشعبي الفلسطيني.

**ثانياً:** التحالف الديمقراطي الفلسطيني، وتشكل من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين - الحزب الشيوعي الفلسطيني - جبهة التحرير الفلسطينية.

**ثالثاً:** القيادة المتنفذة والأطراف الأخرى التي تختطف منظمة التحرير الفلسطينية، وهي أطراف اختارت طريق التفاوض مع العدو الغاصب.

شكل التحالف الوطني الفلسطيني في أعقاب التحرك الثوري في داخل حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح في 9/3/1983م، وتشكل من حركة التحرير الوطني الفلسطيني / فتح الانتفاضة ، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة، طلائع حرب التحرير الشعبية / قوات الصاعقة، جبهة النضال الشعبي الفلسطيني، وكان شعارها من أجل حماية منظمة التحرير الفلسطينية ووحدتها الوطنية على أساس جبهوية والحفاظ على منجزاتها، وقد اقترح التحالف بتاريخ 16/5/1984م مشروع تشكيل هيئة مشتركة للإنقاذ الوطني وفق الأسس الآتية:

- 1- تشكيل هيئة مشتركة للإنقاذ الوطني تضم ممثلين عن الفصائل والقوى والشخصيات الوطنية يرأسها رئيس المجلس الوطني الفلسطيني، ويشارك فيها أعضاء اللجنة التنفيذية الذين يتخذون موقفاً مناهضاً لنهج الانحراف والاستسلام.
- 2- الهيئة المشتركة للإنقاذ الوطني إطار مؤقت يسعى للحفاظ على وحدة منظمة التحرير الفلسطينية وحماية منجزاتها وتطوير العمل الجبهوي في مؤسساتها وإسقاط نهج الانحراف والاستسلام.
- 3- يرأس جلسات الهيئة المشتركة رئيس المجلس الوطني الفلسطيني، وتحدد قراراتها على قاعدة الإجماع.

#### **جبهـة الإنـقـاذ الـوطـنـي الـفـلـسـطـينـيـة :**

شكلت جبهة الإنقاذ الوطني الفلسطينية في 25/3/1985، من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، القيادة العامة، حركة التحرير الوطني الفلسطيني / فتح الانقضاضية، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، طلائع حرب التحرير الشعبية / قوات الصاعقة، جبهة النضال الشعبي الفلسطيني، جبهة التحرير الفلسطينية، إضافة إلى السيد خالد الفاهموم رئيس المجلس الوطني الفلسطيني وأعضاء اللجنة التنفيذية المقيمين في دمشق، وحددت أهدافها بالآتي:

التمسك بمنظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني و برنامجه الوطني السياسي والتنظيمي على قاعدة الالتزام بالميثاق الوطني وقرارات المجلس الوطني في دوراته الشرعية التي تحمي خطها الوطني ومنجزاتها، وتعزيز العمل الجبهوي في إطارها، ومقاومة جميع الصيغ البديلة التي تنتقص من وحدانية التمثيل لشعبنا سواء الإنابة والتقويض أم المشاركة أو الإلحاق.

#### **الفصـائـل الـفـلـسـطـينـيـة الـعـشـرـة :**

عشر قوى فلسطينية تُحمل القيادة المتقدمة في منظمة التحرير الفلسطينية مسؤولية الاستجابة لمشروع الحكم الذاتي التصفوي. وتعد مشروع الحكم الإداري الذاتي مؤامرة أمريكية - صهيونية تستهدف تصفيـة القضية الفلسطينية.

ذلك أن مشروع الحكم الإداري الذاتي تكريس للاحتلال الصهيوني وإنماء لانتفاضات شعبنا المباركة وتنفيذ مشاريع التوطين والتهجير والوطن البديل.

في مرحلة التحضيرات لمؤتمر مدريد التقت قيادات الفصائل الفلسطينية في طهران وبعد مباحثات ع�قة بين التيارات الفلسطينية المختلفة القومية والعلمانية والإسلامية اتفق على تشكيل إطار جامع يتكون من الفصائل الفلسطينية العشر لمواجهة مخاطر الانزلاق في مسيرة التسویات المأهولة لتصفية القضية الوطنية الفلسطينية.

إن الانخراط في عملية التسوية بعد المتغيرات الدولية والإقليمية - وأبرزها انهيار الاتحاد السوفيتي وتفكك معسكره وحرب الخليج الثانية، وفيما بعد احتلال العراق، وما تم في مدريد وأوسло وغيرهما من المحطات - لم يخرج عن نطاق تفاصيل استراتيجية الإخضاع الكامل للمنطقة ووضعها تحت الهيمنة الأمريكية - الصهيونية ...

إدراكاً للخطر الداهم الذي يمثله مشروع الحكم الإداري الذاتي على مصير قضية شعبنا الوطنية، وحرصاً على صيانة حقوق شعبنا الفلسطيني، فقد تداعت القوى العشر الموقعة على هذا البيان إلى الاجتماع في دمشق بتاريخ 17/9/1992م لتدارس المخاطر التي يمثلها هذا المشروع واتخاذ الخطوات اللازمة لمواجهته وإفشاله.

هذا المشروع الذي تجري محاولات تمريره على يد فريق مدريد / واشنطن بغطاء من القيادة المتنفذة في منظمة التحرير الفلسطينية.

وبناء عليه فإننا - نحن المجتمعين - نعلن موقفنا من الحكم الإداري الذاتي كما يأتي:

- 1- نرفض مشروع الحكم الإداري الذاتي رفضاً قاطعاً.
- 2- نؤكد أن الفريق الفلسطيني المشارك في المفاوضات مع العدو الصهيوني لا يمثل الشعب الفلسطيني.
- 3- نحمل القيادة المتنفذة في منظمة التحرير الفلسطينية مسؤولية الاستجابة والقبول بهذا المشروع التصفوي.
- 4- نؤكد على تمسك شعبنا بثوابته الوطنية والإسلامية، وندعو إلى إجراء استفتاء حول كل ما يمس مصيره ومستقبله الوطني.

وقد ضمَّ الاجتماع كلاًً من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة، حركة المقاومة الإسلامية - حماس، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، حركة التحرير الوطني الفلسطيني - فتح الانتفاضة، حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، طلائع حرب التحرير الشعبية / قوات الصاعقة، الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، جبهة النضال الشعبي الفلسطيني، الحزب الشيوعي الفلسطيني الثوري، جبهة التحرير الفلسطينية.

#### **تحالف القوى الفلسطينية:**

هو تشكيل جبهوي يهدف إلى تطوير تحالف الفصائل الفلسطينية العشر، وأُعلن عبر مؤتمر صحفي للسيد أحمد جبريل وقادة الفصائل الفلسطينية في مجمع الخالصة في مخيم اليرموك، بتاريخ 6 / 1 / 1996 م، وضم الفصائل العشرة سالفة الذكر، واعتمد برنامج تحالف القوى الفلسطينية على:

- التمسك بالثوابت الوطنية.
- رفض مشاريع التسوية والتصفية كافة.
- العمل على استعادة منظمة التحرير الفلسطينية إلى نهجها الوطني المقاوم.

#### **المؤتمر الوطني الفلسطيني، دمشق 12-13/12/1998م**

تنادي أحرار فلسطين ورموز الشعب الفلسطيني النضالية والجهادية إلى عقد المؤتمر الوطني الفلسطيني في دمشق في يومي 12-13/12/1998م الذي عقد تحت شعار حماية الميثاق الوطني الفلسطيني واجب وطني وقومي نؤكد من خلاله أن فلسطين من النهر إلى البحر وطن الشعب العربي الفلسطيني وعاصمته القدس، وهو جزء لا يتجزأ من الوطن العربي، وشعبها جزء من الأمة العربية والإسلامية، وتحريرها واجب وطني وقومي وديني وإنساني.

حضر المؤتمر 368 عضواً يمثلون القوى والأحزاب والنقابات والفعاليات والشخصيات الوطنية في الوطن وببلاد المهاجر المتمسكون بنهج المقاومة بتحرير كامل فلسطين، وللتعبير عن رفض شعبنا وأمتنا العربية والإسلامية لاتفاقيات أوسلو (وأي بلانتيشن)، انطلاقاً من إيمانهم بثوابت الميثاق الوطني الفلسطيني ورفضهم المساس بها.

إن الشعب الفلسطيني يعُدُّ اجتماع غزة في 10/12/1998م المكرس لإلغاء الميثاق الوطني الفلسطيني وتمرير اتفاقيات أوسلو (واييلانتيشن) لا يماثله ولا يعبر عن إرادته الوطنية، ويشكل استجابةً للإملاءات الأميركيَّة الصهيونية.

لقد انعقدت اتفاقيات أوسلو من وراء ظهر الشعب الفلسطيني، حيث استُبدل بالبرنامج الكفاحي الذي قامت على أساسه منظمة التحرير الفلسطينية برنامج تصفوي شكل تحولاً نوعياً في نضال شعبنا المعاصر ، كما شكل طعنة غادرة لکفاح الشعب الفلسطيني والأمة العربية على امتداد السنوات والعقود الماضية.

لقد أحدث اتفاق أوسلو تداعيات سلبية مدمرة على المستويات المختلفة (14)..

ترأس المؤتمر السيد خالد الفاهوم رئيس المجلس الوطني الفلسطيني، وانبثق عن المؤتمر لجنة المتابعة العليا برئاسة السيد خالد الفاهوم.

ومن أبرز الشخصيات التي حضرت المؤتمر الرئيس الجزائري الأسبق أحمد بن بله والسيد حسن نصر الله والقيادات الناصرية والقومية والمناضل بهجت أبو غريبة وقادة الفصائل العشرة.

### **المؤتمر الوطني الفلسطيني دمشق 23- 25/1/2008م**

عقد المؤتمر تحت شعار: (التمسك بالحقوق الوطنية للشعب العربي الفلسطيني والوحدة الوطنية طريق التحرير والعودة) رداً على مؤتمر أنابوليس عقد المؤتمر الوطني الفلسطيني بحضور 1200 شخصية فلسطينية وعربية وإسلامية في مجمع صهارى بدمشق في الفترة من 23- 25/1/2008م برئاسة الدكتور طلال ناجي وحضور شخصيات وازنة من الوطن العربي والجمهورية الإسلامية الإيرانية والأحزاب الناصرية والمقاومة الإسلامية وسفارات الدول العربية الشقيقة والأجنبية الصديقة.

**وكانت أهداف المؤتمر الوطني الفلسطيني كالتالي:**

- 1- مواجهة الأخطار التي تهدد القضية الوطنية الفلسطينية نتيجة المؤامرة الأمريكية والعدوان الصهيوني على شعبنا والتحذير من استهدافات مؤتمر أنابوليس ووضع كل الأطراف الفلسطينية المعنية والنظم العربية أمام مسؤولياتها التاريخية بعدم تقديم الغطاء لهذه المؤامرة التي تستهدف تصفيية حقوق شعبنا.

- 2- العمل لوضع آليات لمعالجة حالة الانقسام الفلسطينية الراهنة من خلال الحوار الوطني الشامل والتأكيد على الوحدة الوطنية الفلسطينية في إطار منظمة التحرير الفلسطينية بإعادة بنائها على أساس ديمقراطي وعلى قاعدة الثوابت الوطنية.
- 3- استمرار المقاومة ضد الاحتلال الصهيوني باعتبار ذلك الشكل الرئيس للأشكال النضال الوطني الفلسطيني من أجل تحقيق الأهداف الوطنية لشعبنا.
- 4- التأكيد على التمسك بحق العودة لللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم وممتلكاتهم التي شرّدوا منها، واعتبار حق العودة حقاً فردياً وجماعياً لا يحق لأي جهة التنازل عنه أو المساومة على هذا الحق التاريخي. (15). وقد انبثق عن المؤتمر لجنة عليا للمتابعة الوطنية....

### ثورة السكاكين... ثورة فلسطين 10/10/2015م

بعد أن ضاعت الاتجاهات وتأهت البوصلة قرر فتية فلسطين (شباباً وشاباتٍ) إعادة تصحيح اتجاه البوصلة لتكون القدس وتكون فلسطين هي الاتجاه الصحيح لبوصلة الكفاح والنضال والجهاد، فكانت ثورة السكاكين ثورة فلسطين معمرة بدماء المئات من الفتية والفتيات الذين يتسابقون على الشهادة في ميادين الشرف وهم يطاردون سكاكينهم جنود الاحتلال المدججين بأعى أنواع الأسلحة الأمريكية.. ولتكون هذه الثورة هي الفجر الجديد لشعب آمن أن الثورة هي الطريق لاستعادة الحقوق وصيانة المنجزات وتصحيح المسارات ودحر الاحتلال، وأن النضال الحقيقي يكون في فلسطين والجهاد الحقيقي يكون في فلسطين وفي القدس قبلة العرب الأولى.

### اتفاق طهران (12/2/2016م):

التقت الفصائل الفلسطينية في طهران على هامش احتفالات انتصار الثورة، وناقشت سبل دعم ثورة الشباب الفلسطيني، وخلصت إلى الآتي:  
بناء على دعوة كريمة من الجمهورية الإسلامية في إيران للمشاركة في الاحتفالات التي أقيمت في طهران بمناسبة الذكرى السابعة والثلاثين لانتصار الثورة الإسلامية اجتمع الوفد الفلسطيني الذي يضم فصائل المقاومة الفلسطينية، وتداول في شأن الوطني الفلسطيني من مختلف جوانبه، وأكّد على ما يلي:

**أولاً:** دعم وتعزيز الانتفاضة المباركة على أرض فلسطين باعتبارها أولوية مركبة من خلال الآتي:

- 1- التأكيد على الأهمية القصوى لاتخاذ قرار سياسي واضح تعبّر من خلاله جميع الفصائل الفلسطينية عن وقوفها صفاً واحداً وراء الانتفاضة الشعبية ومشاركتها في فعالياتها بأقصى طاقتها.
- 2- السعي لتطوير البنية والهيكلية التنظيمية للانتفاضة بما في ذلك تشكييل إطار قيادي موحد لتسيير نشاطاتها وفعالياتها.
- 3- حشد طاقات الشعب الفلسطيني في مناطق وجوده كلّها، لإنساد الانتفاضة وتحمل المسؤولية المباشرة في دعمها وتعزيزها.
- 4- رصد كل الإمكانيات المادية والسياسية وتعبئه الطاقات والإمكانيات الفلسطينية وشبكة العلاقات الخارجية لتأمين المظلة والدعم الضروريين للانتفاضة لتصديقها وتمكينها من الانتصار وتحقيق أهدافها الوطنية.....(16).

#### **خاتمة:**

يوصف شعب فلسطين ليس فقط بالشعب العظيم أو الشعب العامل بل هو الشعب الأسطورة الذي يجترح بين الحين والحين أنماطاً نضالية جديدة وأشكالاً كفاحية مبتكرة لمواجهة الاحتلال الصهيوني وأسياده وأذنابه.... هو شعب الصمود والمقاومة شعب التصدي والتحدي على مدار قرن كامل، صاحب الإضراب الأطول إضراب الأشهر السبعة العام 1936م، مجرر الثورة المسلحة الأكبر في تاريخ الكفاح الشوري المسلح منذ العام 1965م... وصنع الانتفاضة الجماهيرية الكبرى(1987 / 12 / 8).....

الشعب الذي خرج عشرات الآلاف من أطفال الحجارة وأشبال الأرببي جي وفتية السكاكين... وقدم مع الأمة العربية، ما يربو عن ربع مليون شهيد من أجل فلسطين.. وفي الطريق إلى فلسطين.. قدم تضحيات جساماً... وكان دائماً في الطليفة... ييد أنه على صعيد القطاف السياسي لم يكن هناك تعادل في النتائج... الحصاد السياسي كان بائساً... يدلل على بؤس السياسات. سياسات **النكبة ونكبة السياسات.. وبؤس السياسيين.. بؤس القيادات.. فالتضحيات**

العظيمة بددتها القيادات. والانتصارات العسكرية ضيعتها السياسات.. فالثورة والشعب بحاجة لقيادات أمينة ومؤمنة.

صحيح أن العملية الثورية تتفاعل فيها ظروف ذاتية وموضوعية بيد أن القيادة السياسية من أهم هذه العوامل الذاتية. وإن المستوى الذي كانت عليه الحركة الثورية قد رشح لها قيادة سياسية برجوازية الانتماء الفكري والتكون الطبقي، وهي لذلك لم تستطع أن تواصل مهمتها في قيادة هذه الحركة وتطويرها.....

إن قيادة تمتاز في تكوينها البورجوازية والإقطاعية - العائلية لا يمكن أن تجز مهامات الثورة بنجاح، ولابد من إفشال قضية الثورة بسبب العجز والتردد، وهذا ما حصل في الثورات الفلسطينية، حيث قادت البورجوازية والإقطاع العائلي إلى حرف نضال شعب فلسطين، فوجهت نضاله وجهاً ثانوياً، حيث اتفقت الرجعية الفلسطينية مع الرجعية العربية على الثقة بالغرب وإجهاض الثورة الشعبية الفلسطينية الكبرى، والثورات الفلسطينية المتعاقبة، بل عندما بدأت فكرة تشكيل منظمة تتبنى أسلوب الكفاح المسلح بعيداً عن وصاية الأنظمة العربية، واللهاث وراء سراب التحرير من خلال الحرب الكلاسيكية التي ستشنها الجيوش العربية، كما كانت أجهزة الإعلام تصور لجماهيرنا ذلك، وضعت الرجعيات وأذلامها كل إمكاناتها لضرب أي عمل ثوري حقيقي لتحرير فلسطين التاريخية.

ففي خضم النضال الوطني والقومي والأعمى المحتمم يستمر العامل الفكري عنصراً متيناً بدعم كفة الثورة وأنصارها، الأمر الذي يستدعي توجهاً جدياً لتوضيح القاعدة الفكرية المستندة إلى تراث شعبنا الكفاحي وتراث أمتنا العربية والإسلامية وإلى التراث الكفاحي للإنسانية جماء، واستخدام ذلك في النضال ضد المفاهيم والإيديولوجية المفترضة بقضاياها وثوابتها وحقوقنا ومستقبل أجيالنا...

(إن لكل مشروع سياسي جدي أساسه الاستراتيجي ورؤيته وغايته وقيمته، وهو موضوع تميزه الاستراتيجية التي تحدد ماهيته ونوع العمل والطموح والأهداف التي ينكب عليها)...(17).

حيث تمثل الغاية حلماً في زمن ما لكن بتعزيز الوعي والتمسك به وتوليد الطاقات الروحية والبشرية والمعرفية بالاستناد إليه وتفعيل القوة الكامنة كواجب وحق يمكن أن يتحول إلى حقيقة والغاية الكبرى لأي مشروع كفاحي وتحرري ووطني يشكل الأساس الذي يضبط وجهة سير الأداء، ويوفر الضبط الاستراتيجي للتطور، مستعيناً بمشروعه التاريخية المبنية على الحق التاريخي.

إن متابعة دقيقة للأحداث على الصعد العربية والإقليمية والدولية تثبت بلا كثرة عناء أن فلسطين - شعراً وأرضاً وقضية وقدسات - هي المستهدفة من المؤامرات والمخططات والحروب كافة والفووضى الهدامة التي تسعى الإمبريالية العالمية إلى تعيمها كرمى عيون الصهيونية الدولية وريبيتها "الكيان الصهيوني المزروع غصباً في قلب الوطن العربي" ... كوكيل للإمبريالية وقوى الاستعمار والاستكبار العالمي.

ومن الخطورة أن تمتلك الأمة مقدراتها، وتستثمر أدمنتها ذاتياً... ومن هنا بقي الوطن العربي مطمعاً للإمبريالية العالمية، واليوم - وبعد مئة عام من المؤامرات والمؤتمرات والمخططات والخيانات - نلاحظ بكل وضوح أن الأحلام مرة أخرى تسرق والحرية تسرق والوحدة تسرق، ويعود الاستعمار بلباس جديد وأشكال جديدة تدمج بين القديم والجديد وبين التقليدي والمتكرر، ويتحدون بما يسمى الثورات العربية الكبرى، أو الربيع المُنكَه بالخلطة الأمريكية الصهيونية.

ذلك أن أي حراك على المستوى العربي يحكم عليه من خلال:

- إنهاء وإسقاط صفقات واتفاقيات وأنظمة كامب ديفيد وأسلو ووادي عربة.
- دعم وإسناد قوى الصمود والشموخ والمقاومة العربية.
- الموقف من فلسطين أرضاً وشعراً وقضية وقدسات.
- الموقف من قوى الاستعمار والاستكبار العالميين.
- الموقف من المستقبل العربي والوحدة العربية.

... إن الأمة العربية وعلى امتداد الوطن العربي تواجه منعطفاً خطيراً سيحدد مستقبل منطقة جد هامة من العالم (هي منطقة المشرق العربي وما يحيط بها من أقاليم تشكل مركز العالم)، ونعتقد أنه كي يتجاوز العرب والوطن العربي والأمة العربية المخاطر التي تواجه المنطقة لابد من الخطوات الآتية:

**أولاً: تحديد معسكر الأعداء ومعسكر الأصدقاء، والتحرك الواضح وفق هذا التحديد.**

**ثانياً: الدفاع عن مستقبل الوطن العربي ومستقبل الأجيال القادمة من خلال الوحدة والنهضة واستثمار الخيارات وحماية المنجزات وتعزيز التحالفات.**

**ثالثاً: اعتماد الدراسات المستندة إلى البحوث العلمية حول مجل الأحداث والدروس المستخلصة منها، وسبل مواجهة المخاطر التي تهدد الأمة.**

رابعاً: البحث عن بديل وطني لجامعة الدول العربية تلك الصناعة البريطانية التي فشلت جميع محاولات تفعيلها، وهي لم تسهم في تحقيق أي شكل من أشكال الوحدة بل كانت العثرة الكبرى أمام الوحدة العربية.

خامساً: العودة إلى الثوابت الوطنية والقومية مثل الاتحاد قوة ويتربول العرب للعرب والرسالة الخالدة والأمة الواحدة ...  
ويبيقى الشرق العربي مبعث النور والحضارة رغم أنف قوى البغي والظلم والعدوان.

#### وتبقى دمشق عاصمة الصمود والشموخ والمقاومة:

هكذا من قلب هدير الجماهير ومن وسط تزاحم وتسارع الأحداث ومن بين لهيب الحرائق ودخان وغبار الخراب والمدمار يبرز السؤال الكبير: الوطن العربي إلى أين؟ أين العرب مما يجري ويخطط؟ ما هو المستقبل القريب والبعيد لأمة يلامس تعدادها نصف مليار من البشر؟

فالوطن العربي يقع جغرافياً في موقع استراتيجي مهم جداً على خارطة العالم القديم والجديد، كما أن الخالق حبا العرب برسالة تاريخية، وثروات باطنية وميزات استثنائية فكراً ومواضاً لكن هل الثروات العربية نعمة أو نعمة؟ هل الموقع الاستراتيجي امتياز جغرافي أو عباء وطني؟

هل الماضي التاريخي يغنى عن المسؤولية العصرية؟ هل أتقن العرب قراءة التاريخ واستقراء المستقبل؟.

وتنتهي خمس سنوات عجاف وتحطم على صخرة صمود سورية العرب والعروبة مخطوطات الغرب الاستعماري وقوى الإجرام والتطرف، وتحطم كذلك على أسوار دمشق أحلام الشرق الأوسط الجديد والشرق الأوسط الكبير، ويبيقى المشرق العربي ينبع عزة وكرامة وفخرًا وإباء. فنصر سورية هو نصر لفلسطين.. ونصر سورية هو نصر للأمة العربية، ومن دمشق سترسم خرائط العالم من جديد على وقع الانتصارات الكبرى. وكما نعلم فإن النصف الأول من القرن العشرين شهد حربين عالميتين مدمرتين كان من نتيجة الحرب العالمية الأولى تجزئة الوطن العربي إلى دويلات متعددة والأخطر إقامة كيان مصطنع في قلب الجزيرة العربية، يسيطر على الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة، ويضطلع بدور

خطير، وحملَ الكيان اسم عائلة (بني سعود). وكان من نتيجة الحرب العالمية الثانية إقامة كيان مصطنع ثانٍ في قلب الوطن العربي في فلسطين سيطر على أولى القبلتين وثاني المسجدين وثالث الحرمين الشريفين ومهد السيد المسيح، الأقصى والقدس، وحمل أيضاً اسم عائلة (بني إسرائيل). كان للكيان الأول دور خطير في إقامة الكيان الثاني وفي دعمه، فيما يتولى الكيان الثاني حماية الكيان الأول، وقد تجلى ذلك بشكل صارخ خلال الحرب الكونية على سوريا وفي العدوان على اليمن.

ومع نهاية الحرب العدوانية على سوريا بالنصر المؤزر بفضل التضحيات العظيمة والصمود الأسطوري، فإن جميع الكيانات المصطنعة إلى زوال، وفي المقدمة كيان بنى سعود وكيان بنى صهيون.

#### المراجع العامة :

- الموسوعة الفلسطينية – القسم العام في أربعة مجلدات، الطبعة الأولى (1984).
- المسيرة التاريخية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين – القيادة العامة، بقلم الأمين العام المساعد، من دون تاريخ.
- التقرير السياسي الصادر عن المؤتمر العام السادس للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين – القيادة العامة (أيار 1986).
- التقرير السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.
- في الخيمة الأخرى، صفحات من الذكرة، الدكتور طلال ناجي، الطبعة الثانية 2004 م.
- فلسطين من النهر إلى البحر (المؤتمر الوطني الفلسطيني الوثائق الكاملة)، دارة الكنوز الأدبية، الطبعة الأولى، 1999 م.
- فلسطين ونهج التسوية خطوات في المجهول، الدكتور طلال ناجي، دار إلى الأمام للدراسات والتوثيق والنشر، الطبعة الأولى، 2009 م.
- المسألة الفلسطينية بين نهجين، مجموعة من الباحثين، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين – فرع سورية، الطبعة الأولى، دمشق، 2008 م.
- الفلسطينيون في سورية، نضال من أجل العودة، مجموعة من الباحثين، الاتحاد العام للكتاب والصحافيين الفلسطينيين – فرع سورية، الطبعة الأولى، دمشق، 2008 م.
- البرنامج الفلسطيني بين نهجي التحرير والتسوية، نزيه أبو نضال وعبد الهادي النشاش، دار الحقائق، الطبعة الأولى، 1984 م.
- كتاب السنابل (1)، منشورات الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين – فرع سورية، الطبعة الأولى 2000 م.
- أحمد جبريل: مواقف في الاستراتيجية، فلسطين الأمة وأمنها الحيوي، دار إلى الأمام للدراسات والتوثيق والنشر، الطبعة الأولى، 2011 م.
- في المسألة الفلسطينية 1975 - 2011 م، اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، المركز الفلسطيني للتوثيق والمعلومات (الملف)، الطبعة الأولى، 2014 م.
- الميثاق القومي الفلسطيني.
- الميثاق الوطني الفلسطيني.
- مجلة الكاتب الفلسطيني أعداد مختلفة.
- مجلة الهدف أعداد مختلفة.
- مجلة إلى الأمام أعداد مختلفة.
- صحيفة الحرية أعداد مختلفة.
- مجلة الكفاح أعداد مختلفة.
- مجلة الطلاق أعداد مختلفة.

**الهوامش:**

- 1- (من مقررات مؤتمر كامبل ببرمان).
- 2- مؤتمر كامبل ببرمان، هو مؤتمر انعقد في لندن عام 1905 واستمرت جلساته حتى 1907، بدعوة سرية من حزب المحافظين البريطانيين بهدف إيجاد آلية تحافظ على تفوق ومكاسب الدول الاستعمارية إلى أطول أمد ممكن. وقدم فكرة المشروع لحزب الأحرار البريطاني الحاكم في ذلك الوقت...ووضم الدول الاستعمارية آنذاك، وهي: بريطانيا، فرنسا، هولندا، بلجيكا، إسبانيا، إيطاليا . وفي نهاية المؤتمر خرجوا بوثيقة سرية سموها "وثيقة كامبل" نسبة إلى رئيس الوزراء البريطاني حينها هنري كامبل ببرمان.
- 3- (المادة 1 من الميثاق الوطني الفلسطيني).
- 4- وهنا نذكر بقول بوش الابن: إن الرب أمره بغزو العراق وتدميره.
- 5- رفض كيان آل سعود استقبال السيد أحمد الشقيري للبحث مع أبناء الشعب الفلسطيني في الجزيرة العربية سبل إقامة منظمة التحرير الفلسطينية، ورفض كذلك السماح بمجاورة أعضاء المؤتمر إلى القدس، إضافة إلى مقاطعته رسميًا للمؤتمر التأسيسي الفلسطيني.
- 6- عيسى الشعيبى: الكيانية الفلسطينية، مركز الأبحاث الفلسطيني، ص99
- 7- حسين أبو النمل: "قطاع غزة 1948 - 1967 تطورات سياسية واقتصادية واجتماعية وعسكرية، ص 21
- 8- (المادة 2 من الميثاق الوطني الفلسطيني)
- 9- (المادة 9 من الميثاق الوطني الفلسطيني).
- 10- (المادة 10 من الميثاق الوطني الفلسطيني).
- 11- (فلسطين حرية الأمة وأمنها الحيوي - مصدر سابق- ص<sup>(30)</sup>-<sup>(29)</sup>).
- 12- (في المسألة الفلسطينية - مصدر سابق - ص<sup>190</sup>).
- 13- فلسطين ونهج التسوية- مصدر سابق - ص42.
- 14- (فلسطين من النهر إلى البحر - مصدر سابق - الوثيقة السياسية، ص24).
- 15- (الوثيقة السياسية للمؤتمر الوطني الفلسطيني).
- 16- (مقططف من بيان الفصائل الصادر في طهران بتاريخ 12 / 2 / 2016م).
- 17- (التقرير السياسي - الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - ص<sup>187</sup>-<sup>188</sup>)

**نافذة أخيرة**



## الخمر القاتل

أ. الأرقام الرزببي

قلمٌ وزجاجةٌ من الخمر ولنفافةٌ من التبغ.. هي المستلزماتُ الأساسيةُ لاستحضارِ الأفكارِ لدى الكاتب الروسي "أنطوان شيخوف" معها وبسببها يستوحى.. يسافرُ في سفرِ الدم.. وضبابِ الموت، وصقيعِ الشوارع.. والأهمُ رطوبةُ الأقبيةِ والمعقلات؛ ومرض السُّل الذي قتل أخاه وقربَ الموتَ منه مع كلِّ هذا.. وبسببِ كلِّ هذا.. يُصبحُ الحلمُ بارتياح المدرسةِ والسطحُ على استغلالِ الطفولة.. وغيرهاِ قضاياً يمكنُ الكتابةُ عنها ولها.. فكانت مسرحيةُ "الحال / العم فانيا" و"النورس" .. والعديدُ من الأعمالِ والقصصِ التي مازالت مادةً للمسرحِ والسينما ومصدراً للاقتباسِ ومجالاً للنقدِ وال الحوار.

هذا الكاتبُ الطبيبُ.. اغتالِ الصفاتِ الحميدةَ لدى القيصر.. من خلال إظهارِ قبحِ معاملته للشعبِ وسرقةِه للقمةِ الفقراءِ وساديه استغلالِ عرقِ العمالِ وجهدِ الفلاحين.. ورغبةِ من "شيخوف" في الإبحار إلى النهاية في استغلالِ كلِّ ما هو قبيحٌ وعارٌ من قولٍ وعملٍ.. والوصول إلى قاعِ القاع.. وخميرةِ الخميرة.. لطرقِ التكبيلِ والذلِ والتهميش.. أقتطعُ غيرَ صاحبِ قرارٍ بجدوى رحلته إلى جزيرةِ "سخالين" وأهميّتها في تحديدِ طبيعةِ الأمراضِ التي تصيبُ المساجين.. له غايةٌ ولهم غايات.. لعلَّ أهمها الإمساكُ أكثرُ بأسبابِ الأمراضِ الأشدِ فتكاً وقتللاً للسجناءِ واستخدامها ضدهم.. ثلاثةُ أشهرٍ أمضاها "تشيخوف" في جزيرةِ "سخالين" مدينةِ المغيبين والمهمشين والساخطين والخارجين عن إمامَةِ القيصر.. هناك طالتْ لحيثُهُ أكثر.. واعتلى الصدأُ أسنانه أكثر وأكثر.. عاش المساواةُ التامةُ مع السجناء.. تقمص شعورهم وأسلوب حياتهم.. وقدراتهم على الصمود أو الانهيار.. ثلاثةُ أشهرٍ ليس معهم

الأصفاد والسلالس والقماش المخطط.. تعايش مع القمل والحشرات.. فكان "النص المنوع" فعلاً. حصل بروحه وموهنته وحساسيته عدسته على صور وقصص عن السجناء... فشكل مخزوناً نوعياً من القصص الإنسانية. كان من المفترض أن تموت، ويحلق بها حريق البرد.. وتذهب بعيداً مع ذرات الثلج المذاب في المحيطات أو المدفون في أعماق الأرض. "تشيخوف" أنقذ القصة، منها أن تموت.. نقلها من جنس أدبي إلى آخر، من الرواية إلى المسرحية إلى القصة بأنواعها... كتب قصصاً عن السجناء والسبّاحين قصصاً عن قهر الإنسان للإنسان.. نشر منها تسع مقالات منعت من النشر والتداول إلى حين.. ولكنها في الحقيقة كانت ملح ما كتب من أعمال بعد عام 1889م.

هنا يُدخل "تشيخوف" الأدب إلى عالم السياسة من باب جمالي إنساني إبداعي.. هنا يتجلّى دور الأديب في طرح الأسئلة وليس في الرد عليها.. هنا الأدب يتحد مع الواقع ويكتب الأدب - في المعنى الخاص - للواقع وليس للمطلق.. هنا "يكون الأديب موهبة أبيه "المجتمع" وشيئاً من روح أمه "المعاناة" - كما عبر تشيخوف - ويلعب دور السياسي بأمتياز...

الأدب أو الأديب كان وما زال مسؤولاً عن صناعة التوجه العام وصناعة الرأي للمجتمع وكشف المستور.. مسؤولية بتكليف من الذات أو من الآخر.. وعلى الأغلب بتكليف من الذات.

"النص المنوع" أو "العنبر رقم 6" ونصوص أخرى شكلت رافعة ثورية وسبباً بمشروعية الحلم بواقع جديد..

سنوات يتحول الحلم والسرد ومنطق النص إلى فعل ثوري، فكانت الثورة وانتقال روسيا من القيصرية إلى الاشتراكية؛ وفرح العمال وبعوده الحق للحق، وللمعلم عوامل ازدهاره وفرحة عماله.. ثورة لم يدركها "تشيخوف" جسداً، أدركها فعلاً أدبياً وسياسياً، أدركها قبل أن تلد، لا بل صنعها وحدّ تفاصيلها. "تشيخوف" مثال دائم للأديب المتحد مع الواقع الذي تبت كلماته من زحمة الأحداث وتدفقها وكأنها طلقات تتزاحم لتخرج من فوهه بندقية.. كل ذلك لا يمكن أن يكون لولا تمثّل "تشيخوف" وصفه لذاته حين قال: "الطيب زوجتي الشرعية، أما الأدب فهو عشقني.. عشق الأدب عشق للواقع و فعل و تثمير لطاقة الكلمة و فعلها".



# Al Fikr Alsiyasi

A political, social and intellectual quarterly  
magazine issued by The Arab Writers Union  
Issue No. 58 second quarter 2016 17<sup>th</sup>. Year

**General Manager**  
**Dr. Nidal Al Saleh**

---

**Editor In Chief**  
**Dr. Gaber Salman**

---

**Executive Editor**  
**Al Arkam Al Zou'obi**

---

**Editing Secretary**  
**Mirna Oglanian**

---

**Editorial Board**

**Thabet Mouhammad Dr. Khalaf Al Jarad**  
**Dr. Iskandar Louka Dr. Abdoullatif Oumran**  
**Dr. Moustafa Al Abdallah Al Kafri**

**Advisory Board**

**Dr. Turki Sakr Dr. Hussein Guma'a**  
**Dr. Khalaf Al Muftah Dr. Suheil Arousi**  
**Dr. Fayed Al Sayegh**

---

**Layout: Wafa'a Al Sati**